رسائل جامعية (١٣٧)

آيات حفظ القرآن الكريم

دراسة تفسيرية موضوعية

تأليف

د. إبراهيم بن عباس بن ناصر الشغدري

دار ابن الجوزي

آيات حفظ القرآن الكريم

دراسة تفسيرية موضوعية

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشغدري، إبراهيم عباس ناصر
آيات حفظ القرآن الكريم./ إبراهيم عباس ناصر الشغدري.- الدمام، ١٤٤٢هـ
٥٥٠ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٨ ـ ٩٧ ـ ٨٢٩٨ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ ـ القرآن ـ تحفيظ ٢ ـ علوم القرآن أ. العنوان
ديوي ٢٢٨,٩ ١٤٤٢/٥٧٦٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ

البارکود الدولي: 9786038298978

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٤٢هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣
٠١٣٨٤١٢١٠٠
ص ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي: ٤٩٧٣
الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩
جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com
+966503897671
aljawzi
eljawzi
aljawzi.net

رسائل جامعية (١٣٧)

آيات حفظ القرآن الكريم

دراسة تفسيرية موضوعية

تأليف

د. إبراهيم بن عباس بن ناصر الشغدري

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير نُوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية أصول الدين ـ قسم القرآن وعلومه: بتاريخ ٣ من شهر رجب ١٤٣٣هـ، الموافق: ٢٠١٢/٥/٢٤م، وحصل فيها الباحث على: ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى

تقديم رئيس قسم القرآن وعلومه
بكلية أصول الدين بالرياض

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم **أمّا بعد**:

قد تصفّحت رسالة الماجستير التي نوقشت في قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والتي بعنوان: «**آيات حفظ القرآن الكريم ـ دراسة تفسيرية موضوعية**»، **للشيخ إبراهيم بن عباس ناصر الشغدري**، وقد ألفيتها رسالة علمية نافعة درس فيها الباحث الآيات التي تحدّثت عن حفظ القرآن دراسة موضوعية، وفق منهج التفسير الموضوعي، وقد أحسن البحث والعرض والتحليل والترتيب، وفي نشرها وطباعتها إفادة للأوساط العلمية، وللمكتبة القرآنية، وخدمة لكتاب الله تعالى.

وأسأل الله أن يوفّق الباحث وأن ينفع برسالته المسلمين وأن يكتب له الأجر والثواب، والله من وراء القصد.

كتبه

د. فهد بن فرج بن أحمد الرفاعي الجهني

رئيس قسم القرآن وعلومه ـ كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

حرر بتاريخه: ٢٨/ ١٠/ ١٤٤١هـ

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين له بإحسان وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، **أمَّا بعد**:

فإنَّ كتاب الله هو الصراط المستقيم، والنور المبين، والذكر الحكيم، ليس ثمة طريق للنجاة إلا من طريقه، ولا سبيل إلى الهداية إلا باتباع ما جاء به، فكان للناس والحياة مكانة الروح من البدن، لا حياة حقة إلا في ظلاله، ولا سعادة محققة إلا من خلاله، ولا استغناء في فوز أو فلاح عن خيره ورشاده.

وخير العلوم ما تعلَّق بكلام الله بيانًا واستنباطًا وعلمًا وتعليمًا، وهو أساس العلوم وأجلِّها وأعظمها وأعلاها، أمر الله بتدبره والتأمل في معانيه فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩] وحفظه الله معنى ومبنى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢]، وتكفل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

وأقسم به الله ﷻ ووصفه بأنَّه مجيد: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ [ق: ١]؛ لسعة معانيه وعظمتها، وإنَّ من أعظم الأعمال أن يسخِّر المسلم من وقته

في طلب معانيه، واستخراج هداياته المباركة، ولطائفه النافعة، فأي شيء أعظم من الكتابة في طاعة الله، وتسخير الجهود في خدمة كتابه الكريم؟

وإنَّ من رحمة الله تعالى بعباده أن حفظ القرآن الكريم ليبقى للعباد نورًا وهدايةً، فلولاه ما اهتدى مهتد، ولصار الضلال مهيمنًا على العباد، لكن لُطف الله أوسع، ورحمته بعباده عظيمة، فله الحمد وله الشكر.

لقد ظهر الحديث عن حفظ القرآن منذ نزوله، حيث سعى ويسعى المكذِّبون في كل الأزمان إلى نفي حفظه؛ لعلمهم أهمية القرآن في عقيدة المسلمين، ووقع في ذلك غلاة المذاهب الباطنية المنحرفة، حيث طعنوا في القرآن في مذاهبهم وزعموا نقصه وتحريفه، وأنى لهؤلاء جميعًا أن ينالوا منه شيئًا، أو يصح لهم في ذلك دعوى؛ لأنَّ القرآن كلام الله تعالى، وهو المتكفل بحفظه.

وهذا البحث يُظهر حديث القرآن عن حفظ الله تعالى له منذ نزوله وعلى الدوام إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، وذلك بجمع الآيات التي تحدثت عن هذا الموضوع وتفسيرها تفسيرًا موضوعيًّا.

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد كثيرًا من الآيات التي تحدَّثت عن حفظ الله تعالى للقرآن الكريم وعنايته به، لذلك وقع اختياري على هذا الموضوع ليكون أطروحتي في الماجستير، وسمَّيته:

[آيات حِفْظِ القرآن الكريم ـ دراسة تفسيرية موضوعية]

وبالله أستعين وإياه أرجو.

حدود البحث ومعالمه:

يقتصر البحث على دراسة الموضوع من خلال القرآن الكريم، وفقًا للمنهجية المتبعة في التفسير الموضوعي، كما يشمل البحث الآيات التي

حملت معاني حفظ القرآن باللفظ أو المعنى، وسواء كانت الدلالة ظاهرة، أو تضمنًا، أو لزومًا.

ويشمل صور الحفظ المتعددة الواردة في القرآن؛ كحفظه في نزوله وبعد نزوله، وحفظ ألفاظه ومعانيه، وحفظه الشرعي؛ أي: التشريعات التي حفظ الله بها حرمته.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

(١) موضوع حفظ القرآن من أهم المواضيع؛ لما يترتب عليه من أهمية اعتقادية عند المسلمين، فالإيمان بحفظ القرآن من ضرورات دين المسلم.

(٢) جمع الآيات التي تحدثت عن حفظ القرآن ثم تفسيرها، يقوي الإيمان بالقرآن، وينفي الشك والريب عنه.

(٣) في دراسة هذا الموضوع إظهار بطلان ما عليه الفرق الباطنية التي تزعم الإيمان بالقرآن الكريم، ثم تطعن في حفظه؛ حيث إنَّ الموضوع يظهر حديث القرآن نفسه عن حفظ الله تعالى له، وبذلك من آمن بالقرآن آمن بحفظه لزومًا؛ لأن ذلك ما تحدث به القرآن.

(٤) خدمة كتاب الله والنصيحة له، وذلك ببيان هدايات آياته في بيان حفظ الله له.

(٥) وجود الكثير من الآيات التي تحدثت عن حفظ القرآن.

(٦) هذا الموضوع لم ينل حظه من البحث بالصبغة التفسيرية الموضوعية، جمعًا للآيات التي حملت معاني حفظ الله للقرآن ومن ثَمَّ تفسيرها تفسيرًا موضوعيًّا يُبرز حديث القرآن عن حفظه وصونه.

أهداف البحث:

(١) إظهار حفظ القرآن الكريم، من خلال آياته الكريمة، وبصوره المتعددة، التي وردت في القرآن الكريم.

(٢) دراسة الآيات المتعلقة بالموضوع دراسة تفسيرية موضوعية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال والنظر في قواعد البيانات المختلفة كمركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، وقاعدة البيانات الوصفية لأوعية الدراسات القرآنية والتي تشتمل على الأبحاث المختصة بالقرآن وعلومه ـ حتى الكتيبات الصغيرة ـ، والمواقع المختلفة بشبكة المعلومات الدولية (الأنترنت)، والبحث عن العنوان بجميع مرادفاته، لم أجد من تناول هذا الموضوع بدراسة تخصُّصية في التفسير الموضوعي، وهناك بحوث تناولت الحديث عن القرآن من جوانب أخرى كالردود والمناظرات ونقد الطاعنين في القرآن، وبحوث في جمعه وكتابته وفي مجال تأثيره وإعجازه، وهذه البحوث وإن كان فيها من الخير الكثير في الحديث عن القرآن، إلا أنَّ هذا البحث يضيف في دراسته حديث القرآن عن حفظه، ويجمع شتات الموضوع في دراسة قرآنية متخصِّصة، وفيما يلي بيان لتلك الدراسات السابقة والفروق بينها وبين هذا البحث:

(١) الانتصار للقرآن لأبي بكر الباقلاني المالكي (ت٤٠٣هـ).

(٢) المعجزة الخالدة، د. حسن ضياء الدين عتر.

(٣) جمع القرآن من العصر النبوي إلى العصر الحديث، محمد شرعي أبو زيد، ماجستير جامعة الكويت.

(٤) جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمٰن بن سليمان الرومي.

(٥) جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، المؤلف: د. عبد القيوم عبد الغفور السندي.

(٦) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دراسة ونقد، عمر إبراهيم رضوان، دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والرسالة ردت على شبه جولد زيهر وأمثاله من المستشرقين.

(٧) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي عرض ونقد، د. إدريس حامد محمد. (مؤلف).

(٨) دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد (الكتاب المقدس)، أ. د. محمد خليفة حسن.

(٩) كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثماني: دراسة تاريخية، مها عبد الله الهدب، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١٠) أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي، دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط حول القرآن ونبي الإسلام، د. خالد كبير علال، (مؤلف).

(١١) براءة أهل السُّنَّة من شبهة القول بتحريف القرآن، تأليف: محمد مال الله. (مؤلف).

(١٢) صيانة القرآن الكريم من التّحريف، محمد هادي معرفة، (مؤلف).

(١٣) موقف الرافضة من القرآن الكريم، مامادو كارمبيري، ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة.

(١٤) موقف المستشرقين من القرآن الكريم، دراسة في بعض دوائر المعارف الغربية إعداد: أ. د. عدنان الوزان.

الفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة:

(١) كتاب الانتصار للقرآن لأبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، رد فيه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ على بعض الشبه المثارة ضد القرآن، كقوله في الفصل الأول: فصلٌ فيما اعتَرَض به أهلُ الفساد على مصحف عثمان وردّ شُبَههم، وتحدث عن القراءات السبع، وغير ذلك من مواضيع علوم القرآن.

(٢) أما كتاب المعجزة الخالدة، د. حسن ضياء الدين عتر، فإنه كتاب تخصُّص بدراسة الإعجاز البلاغي والأسلوبي للقرآن الكريم؛ كحديثه عن فصاحة الألفاظ والجمل، وخصائص أسلوب القرآن البياني، معرِّجًا في آخر الكتاب على الرد على المستشرقين، بينما موضوع الرسالة إظهار لحديث القرآن عن حفظه وصونه من خلال دراسة الآيات دراسة تفسيرية موضوعية.

(٣) الفرق بين موضوع الرسالة ورسالة جمع القرآن من العصر النبوي إلى العصر الحديث، محمد شرعي أبو زيد، ماجستير جامعة الكويت، وأمثالها من أبحاث جمع القرآن، أن الدراسة المذكورة درست جمع القرآن دراسة تاريخية، وقد تصفحت الكتاب فوجدت المؤلف درس تاريخ جمع القرآن دراسة تاريخية: جمعه في عهد النبي ـ جمعه في عهد أبي بكر الصديق ـ جمعه في عهد عثمان بن عفان ـ كيفية جمعه في هذه المراحل وإلى العصر الحديث معرجًا على الشبه التي أثيرت حول جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقرآن.. وليس في دراستي شيء من هذه العناوين.

(٤) الفرق بين الموضوع ورسالة آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دراسة ونقد، عمر إبراهيم رضوان، دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أنَّ هذه الدراسة دراسة نقدية تناولت

الرد على شبه جولد زيهر وأمثاله من المستشرقين، معرجًا على شبه المستشرقين حول القرآن والتفسير بالمأثور، بينما موضوع الرسالة ليس في تقسيماته شيء من ذلك؛ بل تقتصر على خدمة وتفسير الآيات التي تتحدث عن حفظ القرآن في دراسة تفسيرية تخصُّصية.

(٥) الفرق بين موضوع الرسالة، وكتاب أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي، دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط حول القرآن ونبي الإسلام، د. خالد كبير علال (مؤلف)، أنَّ الكتاب المذكور دراسة نقدية يرد فيها المؤلف على هشام جعيط حول القرآن، بينما موضوعي يدرس آيات القرآن الدالة على حفظه.

(٦) أمَّا كتاب صيانة القرآن الكريم من التّحريف، محمد هادي معرفة، (مؤلف)، فمؤلفه (محمد هادي معرفة) شيعي أراد بالكتاب نفي التحريف عن الشيعة كما لبَّس افتراءات على أهل السُّنَّة، وممن رد عليه، محمد مال الله في كتابه براءة أهل السُّنَّة من شبهة القول بتحريف القرآن، حيث رد على اعتذار محمد هادي ـ ملبسًا ـ عن النوري الطبرسي ما يطول ذكره. وقد تصفحت الكتاب فوجدته ينقل عن مراجع الشيعة، كما أنَّه قسَّم كتابه تقسيمًا تاريخيًّا: جمع القرآن: جمعه في عهد النبي ﷺ، جمعه في عهد أبي بكر الصديق، جمعه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

وتظهر الفروق العامة بين موضوع الرسالة والدراسات السابقة في كون الدراسات السابقة تناولت الحديث عن جمع القرآن، وتدوينه في دراسة تاريخية، ومنها ما تناول الدفاع عن القرآن في دراسة نقدية، ومنها ما يتكلم عن إعجاز القرآن.

أمَّا موضوع الرسالة فهو مبني على دراسة الآيات التي تحدثت عن حفظ القرآن في دراسة تخصُّصية تفسيرية، وفقًا للمنهجية المتبعة في

التفسير الموضوعي ـ وهو أحد مجالات البحث العلمي بقسم القرآن وعلومه ـ؛ أي: إظهار حديث القرآن عن حفظه، والأسباب التي قدرها الله تعالى لحفظه، وكذلك التشريعات التي شرعها الله تعالى حفظًا لحرمته الواردة في القرآن الكريم؛ فتكون فكرة الرسالة بذلك إضافة جديدة للمكتبة القرآنية.

جديد هذه الدراسة وأهم ما يميزها:

(١) جمع الآيات المتعلقة بحفظ القرآن ودراستها دراسة موضوعية متضمِّنة لأنواع حفظ الله تعالى للقرآن.

(٢) تفسير الآيات المتعلقة بحفظ القرآن في دراسة تخصُّصية تفسيرية.

(٣) مما تضيفه الدراسة إبراز عناية الله ﷻ بكتابه الكريم من خلال القرآن نفسه.

(٤) يُظهر الموضوع الأسباب ـ التي قدرها الله حفظًا للقرآن ـ المذكورة فيه، وهذا فيما يتعلق بالحفظ الكوني، كما يظهر الموضوع التشريعات التي شرعها الله تعالى في القرآن حفظًا للقرآن، وهذا فيما يتعلق بالحفظ الشرعي.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على: مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة، وفهارس، وهي على النحو التالي:

المقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدود البحث وأهدافه، والدراسات السابقة، والجديد الذي ستقدمه الدراسة، وخطة البحث ومنهجه.

التمهيد: وفيه: تعريف الحفظ والقرآن.

الفصل الأوّل: حفظ القرآن في تنزلاته.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حفظه في اللوح المحفوظ.

المبحث الثاني: حفظه في نزوله إلى بيت العزة.

المبحث الثالث: حفظه في نزوله على قلب النبي ﷺ.

الفصل الثاني: حفظ ألفاظ القرآن ومعانيه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حفظ ألفاظه ومعانيه من التحريف.

المبحث الثاني: حفظه عن الباطل والكذب.

المبحث الثالث: حفظ القرآن عن إلقاء الشيطان.

الفصل الثالث: حفظ القرآن عن المعارضة والتناقض والاختلاف.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى حفظ القرآن عن المعارضة.

المبحث الثاني: التحدي وعجز المكذبين عن معارضة القرآن.

المبحث الثالث: حفظه عن التناقض والاختلاف.

الفصل الرابع: دلالة أسماء القرآن وصفاته على حفظه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسماء وصفات اتصف الله بها ووصف بها كتابه الكريم.

المبحث الثاني: صفات أفادت حفظ القرآن بنسبتها إلى الله تعالى.

المبحث الثالث: دلالة أسماء القرآن وصفاته الأخرى على حفظه.

الفصل الخامس: الحفظ الشرعي للقرآن الكريم.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن.

المبحث الثاني: الاستماع والإنصات له.

المبحث الثالث: الأمر بالاستعاذة من الشيطان عند تلاوته.

المبحث الرابع: تحريم امتهانه والتأكل به.

المبحث الخامس: الطهارة لقراءة القرآن ومس المصحف.

المبحث السادس: الأمر بتلاوته وتعلمه وتعليمه والعمل به.

المبحث السابع: تحريم الجدال في آياته واتباع ما تشابه منه.

الفصل السادس: حفظ القرآن عن افتراءات المكذبين.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أساليب القرآن الكريم في الرد على المكذبين.

المبحث الثاني: رد افتراءات مكذِّبي القرآن على القرآن.

المبحث الثالث: رد افتراءات مكذِّبي القرآن على الرسول البشري والملكي.

الفصل السابع: ثمرات حفظ القرآن.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يقينية القرآن.

المبحث الثاني: خلود القرآن هداية للعالمين.

المبحث الثالث: عظمة القرآن وعلو مكانته.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته.

ثم قائمة المراجع والمصادر.

ثم فهرس الموضوعات.

ثم ملخص الرسالة باللغة العربية والإنجليزية.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي وذلك وفق **ما يلي:**

(١) جمع الآيات التي دلت على حفظ الله تعالى للقرآن، وما يمتُّ للموضوع بصلة، سواء كانت الدلالة ظاهرة، أو تضمنًا، أو لزومًا. وتفسيرها تفسيرًا موضوعيًّا.

(٢) تناول الموضوع كموضوع تفسيري قرآني لا كموضوع فكري أو فقهي.

(٣) الرجوع للأحاديث المتعلِّقة بالموضوع، المُعِينة على تفسير الآيات وفهمها، حيث إنَّ السُّنَّة مبينة لكلام الله تعالى شارحة له.

(٤) التعريف بما يحتاج إليه البحث من مصطلحات.

(٥) تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث، من مصادرها الأصلية؛ فإن كانت في الصَّحيحين أو أحدهما يكتفى بذلك، وإن كان في غيرهما أحقق صحته باستخدام منهج البحث في دراسة الأسانيد، وقد يكتفى ببيان درجته عن طريق نقل كلام العلماء المعتبرين في الحكم عليه.

(٦) الرجوع إلى المصادر القديمة الأصلية، والمراجع الحديثة التي لها علاقة بالموضوع.

(٧) عندما أجد للفظ الآية أكثر من تفسير وكان اللفظ محتملًا لها

جميعًا فإني أستدل بالآية على كل تلك المعاني، وعند تباين التفسير، أستدل بما يترجح بالدليل من تلك الأقوال.

(٨) توثيق النقل وعزوه إلى من نقل عنه وذلك في الهامش.

(٩) كتابة الآيات بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم، وترقيم الآيات، وعزوها إلى السور الواقعة فيها، وذكر اسم السورة ورقم الآية بجانب الآية.

(١٠) ضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط بالشكل، وشرح الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى شرح.

(١١) التعريف بالأماكن التي تحتاج لتعريف.

(١٢) الترجمة للأعلام غير المشهورين.

(١٣) التعريف بالأمم والفرق والقبائل التي تحتاج إلى تعريف.

(١٤) وضع خاتمة تتضمن أهم النتائج التي يتوصل إليها من خلال البحث.

(١٥) عمل فهارس في آخر البحث تُجلي جوانب البحث.

۞ ۞ ۞

التمهيد

وفيه تعريف الحفظ والقرآن

أولًا: تعريف الحفظ:

(ح ف ظ): الحاء والفاء والظاء أصلٌ واحد يدلُّ على مراعاةِ الشيء، يقال: حَفِظْتُ الشيءَ حِفْظًا. والغَضَبُ: الحفيظة. والتحفظ: قلّة الغَفلة. والحِفاظ: المحافَظة على الأمور[١]، حَفِظْتُ الشيءَ حِفْظًا؛ أي: حَرَسْتُه، وحَفِظْتُهُ أيضًا بمعنى: استظهرته[٢]. وفي لسان العرب: «حَفِظَ المالَ والسِّرَّ حِفْظًا: رَعاه»[٣].

والحفيظ: من صفات الله ﷻ، فكل شيء إنَّما وجوده بحفظ الله؛ من جماد وحيوان ونبات، وهو الحفيظ الحافظ على خلقه ما كانوا يعملون من خير وشر، وقد حفِظ السمواتِ والأرضَ بقدرته: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥][٤].

ووصف الله تعالى نفسه بالحفيظ في موضعين في القرآن[٥]،

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (حفظ) (٢/ ٨٧) بتصرف.

(٢) الصحاح تاج اللغة (٣/ ١١٧٢)، وانظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص٦٩٥)، والمحكم، لابن سيده (٣/ ٢٨٥)، مادة: (حفظ).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (حفظ) (٧/ ٤٤١).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة: (حفظ) (٧/ ٤٤٠).

(٥) هما الآية: ٢١ من سورة سبأ، والآية: ٦ من سورة الشورى.

وحافظًا في سورة يوسف[١]، وحافظين بجمع التعظيم للواحد في موضعين أيضًا في سورتي الحجر والأنبياء[٢].

والحَفَظة: الذين يُحْصُونَ الأعمال ويكتبونها على بني آدم، وهم الملائكة الحافظون، وفي التنزيل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ [الانفطار: ١٠]، والحِفْظ نقيض النِّسْيان، وهو التعاهُد وقلَّة الغفلة[٣].

والمصطلحات المرادفة للحفظ: الصَّون[٤]، والحراسة[٥]، والوقاية[٦]، والحماية[٧]، والحِرازة[٨]، والعناية[٩]، والعصمة[١٠]، والكلاءة[١١]، والحَصانة[١٢].

ثانيًا: تعريف القرآن:

تعريف القرآن لغة:

اتفق العلماء أنَّ لفظ القرآن اسم وليس فعلًا ولا حرفًا، ولكنهم اختلفوا في اشتقاقه من عدمه على **قولين**:

---

(١) الآية: ٦٤ من سورة يوسف.

(٢) الآية: ٩ من سورة الحجر، والآية: ٨٤ من سورة الأنبياء.

(٣) انظر: لسان العرب، مادة: (حفظ) (٧/ ٤٤٠).

(٤) انظر: انظر: لسان العرب، مادة: (صون) (١٣/ ٣٠٨).

(٥) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (حرس) (٢/ ٣٨).

(٦) انظر: لسان العرب، مادة: (وقى) (١٥/ ٤٠١)، وتاج العروس، مادة: (وقى) (٤٠/ ٢٢٦).

(٧) انظر: الصحاح تاج اللغة (٦/ ٢٣١٩ ـ ٢٣٢١)، وتاج العروس (٣٧/ ٤٧٧)، مادة: (حمى).

(٨) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (حرز) (٢/ ٣٨).

(٩) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (عَنَى) (٤/ ١٤٦)، والمخصَّص، لابن سيده (٣/ ٤١٦).

(١٠) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (عصم) (٤/ ٣٣١).

(١١) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (كلأ) (٥/ ١٣١).

(١٢) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (حصن) (٢/ ٦٩).

الأول: أنَّه اسم عَلَم غير مشتق من شيء؛ بل هو اسم خاص بكلام الله كالتوراة والإنجيل، قال الشافعي: «وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين[١] وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت، كان كل ما قرئ قرآنًا، ولكنَّه اسم للقرآن، مثل: التوراة والإنجيل»[٢].

الثاني: أنَّه مشتق، واختلف من قال باشتقاقه في الأصل الذي اشتق منه، ويمكن تلخيص هذه الأقوال فيما **يلي**:

(١) أنَّه مشتق من (قرأ) بمعنى تلا، ويكون على هذا مصدرًا بمعنى القراءة، وهو قول أكثر العلماء.

(٢) أنَّه مشتق من القَرْء بمعنى الجمع؛ تقول: قرأت الماء في الحوض، أي: جمعته؛ لجمعه الآيات والسور في كتاب واحد، وهو قول الزجَّاج[٣].

(٣) أنَّه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه؛ لقِران الآيات والسور فيه، وبه قال الأشعري وآخرون[٤].

---

(١) أبو إسحاق، إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المخزومي، مولاهم المكي المقرئ المعروف بالقسط، قارئ أهل مكة في زمانه، شيخ الشافعي وآخر أصحاب ابن كثير وفاة، توفي سنة ١٩٠، وقيل: ١٧٠هـ. انظر: جمال القراء (ص٥٣٥)، ومعرفة القراء (ص٨٥ ـ ٨٧)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٦٥).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٤٠١).

(٣) أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، الزجَّاج، عالم بالنحو واللغة. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلَّمه المبرد، كان مؤدبًا للقاسم بن الوزير عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي)، ولما كبر ولي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتَّابه، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: بغية الوعاة (١/ ٤١١)، وطبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه (١/ ٥٢).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٨)، وروح المعاني (١/ ٩).

(٤) أنَّه مشتق من القرائن؛ لأنَّ الآيات والقصص يشبه بعضها بعضًا، فهي أشباه ونظائر، يصدِّق بعضه بعضًا، وهو قول الفراء[١]، قَالَ الزَّجَّاجُ: «وَهَذَا الْقَوْلُ سَهْوٌ، والصَّحِيحُ أَنَّ تَرْكَ الْهَمْزِ فِيهِ مِنْ بَابِ التَّخْفِيفِ»[٢].

والراجح من الأقوال السابقة أنَّه مشتق من (قرأ) بمعنى: تلا؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨]، فإنَّ أكثر المفسرين فسَّروا القرآن هنا بالقراءة؛ أي: أنَّ أصله (قرأ)، قال الطبري: «﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾؛ فمعناه: وأقم قرآن الفجر؛ أي: ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن»[٣].

وقال الزجاج: «أي: فأقم قرآن الفجر، وفي هذا الموضع فائدة عظيمة تدل على أنَّ الصلاة لا تكون إلا بقراءةٍ؛ لأنَّ قوله: أقِمِ الصلاة وأقِمْ قرآن الفجر قد أمر أن نقيمَ الصلاة بالقراءة حتى سمِّيت الصلاة قرآنًا، فلا تكون صلاة إلا بقراءة.

وقوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ جاء في التفسير: أنَّ ملائكة الليل يحضرون قراءة الفجر، وملائكة النهار يحضرونها أيضًا»[٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨]؛ أي: قراءته؛

---

(١) أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، الأسلمي، المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، عالم بارع بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان له اتصال بالمأمون، انتهت علوم العربية إليه وإلى الكسائي في بغداد. توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: إرشاد الأريب (٦/ ٢٨١٢ ـ ٢٨١٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ١٧٦ ـ ١٧٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٨)، وانظر: روح المعاني (١/ ٩).

(٣) جامع البيان، الطبري (١٧/ ٥٢٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

ولأنَّ قراءة التسهيل يمكن ردها إلى قراءة الهمز بخلاف العكس[١].

تعريف القرآن اصطلاحًا:

القرآن في الاصطلاح: كلام الله المنزل على محمد ﷺ المعجز، المتعبَّد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر[٢].

التعريف السابق جامع مانع[٣]؛ فخرج (بكلام الله) كلام غيره، وخرج (بالمنزل) الكلام الإلٰهي الذي استأثر الله به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر.

وخرج بعبارة: (على محمد) ما نزل على غيره من الأنبياء؛ كالتوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية.

وخرج (بالمعجز والمتعبد بتلاوته) الأحاديث الربانية (القدسية).

وخرج بعبارة (المنقول بالتواتر) ما ينقل بغير التواتر، ويدخل في ذلك القراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد، فلا تسمَّى قرآنًا لذلك[٤]، والمقصود بذلك مصطلح التواتر عند القراء وليس كما هو عند المحدثين؛ فإن القراءة وإن رويت بسند الآحاد في مواضع من السند لكنها متواترة عند الأمة في كل تلك الأعصار.

قال الزرقاني: «وأنت ترى أن هذا التعريف جمع بين الإعجاز

---

(١) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني (ص٤٢).

(٢) انظر: مناهل العرفان (١/ ١٤)، والنبأ العظيم (ص٤٣).

(٣) أي: جامع لأوصاف المعرَّف مانع من دخول أوصاف غيره فيه، قال أبو البقاء الكفوي: «الْجَامِع الْمَانع الَّذِي يجمع الْمَحْدُود وَيمْنَع غَيره من الدُّخُول فِيهِ». الكليات، لأبي البقاء الكفوي (ص٣٩١).

(٤) انظر: النبأ العظيم (ص٤٣ ـ ٤٤)، ودراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٢١ ـ ٢٢).

والتنزيل على النبي ﷺ والكتابة في المصاحف والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة، وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم، وإن كان قد امتاز بكثير سواها. ولا يخفى عليك أنَّ هذا التعريف كان يكفي فيه ذكر بعض تلك الأوصاف ويكون جامعًا مانعًا، غير أن مقام التعريف مقام إيضاح وبيان فيناسبه الإطناب لغرض زيادة ذلك والبيان»[1].

❁ ❁ ❁

(١) مناهل العرفان (١/ ١٩).

الفصل الأوّل

حفظ القرآن في تنزلاته

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حفظه في اللوح المحفوظ.

المبحث الثاني: حفظه في نزوله إلى بيت العزة.

المبحث الثالث: حفظه في نزوله على قلب النبي ﷺ.

مدخل

تعدد نزول القرآن، فنزل جملةً ونزل منجمًا، وهذا قول أكثر أهل العلم[١]، بل نقل القرطبي الإجماع على ذلك[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أُنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر؛ فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئًا أوحاه أو أن يحدث منه شيئًا أحدثه»[٣]. وروي مثل ذلك عن سعيد بن جبير[٤]، والربيع بن أنس[٥][٦].

وأكثر العلماء نصَّ على النزولين، نزوله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة، ونزوله من بيت العزة منجمًا على الرسول ﷺ، وأضاف بعضهم نزولًا ثالثًا، هو: إنزاله جملة إلى اللوح المحفوظ، وبه قال

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٤٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٥٦٩) رقم: (٤٩٥)، وفي شعب الإيمان (٣/ ٥٢٢)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧١)، رقم: (١١٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤١)، رقم: (٢٨٧٧). وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرِّجاه.

(٤) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧٢)، رقم: (١١٩).

(٥) الربيع بن أنس البكري، ويقال: الحنفي البصري ثم الخراساني، من صغار التابعين، مات في خلافة أبي جعفر المنصور، قيل سنة ١٣٩هـ أو سنة ١٤٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩)، والوافي بالوفيات (١٤/ ٥٦).

(٦) أخرجه عنه عبد بن حميد، ونقله السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٦٧).

الزرقاني وغيره[١]، حيث عدُّوا ذلك تنزُّلًا، ليكون أحد ثلاثة أنواع من تنزلات القرآن، ومعنى إنزاله إلى اللوح المحفوظ: إثباته فيه، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢][٢].

ولا تناقض بين اعتبار وجوده في اللوح المحفوظ نزولًا، وبين قول أكثر أهل العلم الذين يقولون إنَّ له نزول جملة ونزول تنجيم؛ فإنَّهم يقولون أيضًا بحفظه في اللوح المحفوظ.

والقصد النظر في الآيات ذات الصلة بحفظ القرآن، حيث ذكرت الآيات العظيمة حفظ القرآن في السماء وفي تنزلاته، ودراستها في المباحث التالية.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: مناهل العرفان (١/ ٤٣ ـ ٤٤)، ومعلم التجويد (ص٢١٥).
(٢) انظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ص٢٤).

المبحث الأول

حفظه في اللوح المحفوظ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى اللوح المحفوظ، وأسماؤه.

المطلب الثاني: كتابة القرآن في اللوح المحفوظ.

المطلب الثالث: الحكمة من حفظ القرآن في اللوح المحفوظ.

المطلب الأول

معنى اللوح المحفوظ وأسماؤه

معنى اللوح المحفوظ:

اللوح المحفوظ: اسم معرّف مركب[١] من كلمتين: (اللوح) و(المحفوظ)، ولا يميز إلا بهما معًا؛ فإن قيل: (اللوح) وحده لم يفد معناه، وإن قيل: (المحفوظ) وحده أيضًا لم يفد معناه، ولا يفيد معناه إلا بهما، هكذا: (اللوح المحفوظ).

واللوح: كلُّ صَفِيحة عريضة خَشَبًا أَو عَظْمًا، واللَّوْح: الكَتِف إِذا كُتِبَ عليها، ولاح الشيء لَمَع، ولاح البرق وألاح، إذا أومض[٢]. أمَّا المحفوظ فهو اسم مفعول من حفظ، وقد سبق تعريف الحفظ في التمهيد.

في اللوح المحفوظ قدَّر الله ﷻ مقادير الخلق وأعمالهم قبل أن يخلقهم، كما جاء في «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة،**

---

(١) مركَّب وصفي، والمركب الوصفي هو: ما تألفَ من الصفة والموصوف، ومثاله أيضًا: المسجد الحرام، حيث لا يستغنى بإحدى الكلمتين عن الأخرى في الدلالة على المسجد الذي هو قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم. فيكون مركبًا بيانيًّا وصفيًّا. انظر: النحو الوافي (١/ ١٣٢)، وجامع الدروس العربية (١/ ١٥).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة: (لوح) (٥/ ٢٢٠)، والصحاح تاج اللغة (١/ ٤٠٢)، وتاج العروس (٧/ ١٠١)، مادة: (لوح).

وعرشه على الماء»[١].

وأحصى الله تعالى فيه كل شيء، وأحاط فيه بعلم كل شيء كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، كما أحصى أعمال العباد وما يقترفون، لذا قال بعدها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وقال: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ: ٣]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السُّنَّة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دل القرآن على أن الربَّ تعالى كتب في أُمِّ الكتاب ما يفعله وما يقوله؛ فكتب في اللوح أفعاله وكلامه فـ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: ١] في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب»[٢].

واللوح المحفوظ من أوائل المخلوقات، وله قلم هو قلم القدر، وهو أول ما خلق الله تعالى كما جاء في الحديث: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ، قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[٣]، ولا يعلم كيفية اللوح والقلم إلا الله، وهما

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٤/ ٢٠٤٤)، رقم: (٢٦٥٣)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) شفاء العليل (ص٤١).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب القدر (٤/ ٤٥٧)، رقم: (٣٣١٩)، وأبو داود في سننه كتاب السُّنَّة (٤/ ٣٦٢) رقم: (٤٧٠٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣١٧)، رقم: (٢٢٧٠٥)، عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عن أبيه.

مخلوقان من مخلوقات الله ﷻ[(١)].

والإيمان به من المعتقدات الواجبة، قال الطحاوي رحمه الله: «ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقم..»[(٢)].

أسماء اللوح المحفوظ:

(١) اللوح المحفوظ: قال تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢٢]، والمحفوظ: صفة للوح وذلك أنَّه محفوظ أن تطاله الشياطين أو غير المطهَّرين، ومحفوظ أيضًا من التغيير، كما وصف أيضًا بالحفيظ في قوله تعالى: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾ [ق: ٤]، وهو محفوظ والله تعالى الحافظ له، وهو حفيظ حافظ لما أودع فيه[(٣)]. أمَّا اللوح فقد سبق بيانه.

(٢) الكتاب: سمي كتابًا؛ لأنَّه كتب فيه أمر الخلائق كلها، وتسمّى الكتابة في اللوح المحفوظ بالكتابة الأزلية؛ أي: التي حدثت في الأزل في أمر الله للقلم أن يكتب مقادير الخلق والخلائق، وقرن اسم الكتاب بأوصاف هي: الحفيظ في قوله تعالى: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾ [ق: ٤]، والمُبين كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١]، ووُصِف بالمُبين لوضوحه وظهوره، كما وُصِف بالمسطور كما في قوله تعالى: «﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الطور: ١ ـ ٣]، ووصف بالمكنون؛ أي: المصون، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨]، قال ابن عاشور: «وهو

---

(١) انظر: التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، د. صالح الفوزان (ص١١٦).

(٢) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص٥٣).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨٠).

ظاهِرٌ في أَنَّ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ، والكتاب المكنون شيء واحد»[١].

(٣) **الذِّكر**: ورد تسمية اللوح المحفوظ بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وتفسير الذكر باللوح المحفوظ في الآية قال به سعيد بن جبير، ومجاهد ومقاتل بن سليمان وغيرهم[٢].

(٤) **أُمُّ الكتاب**: قال تعالى عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤]، أي: محفوظ في اللوح المحفوظ، وسُمي اللوح المحفوظ أمُّ الكتاب؛ «لأنه أصل كل كتاب لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢]»[٣].

(٥) **الإمام المُبين**: قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]؛ أي: في اللوح المحفوظ، وسمِّي إمامًا؛ لأنه أصل الكتب وإليه مرجع الكتب التي تكون بأيدي الملائكة، وسمي مبينًا؛ لأنه لَا يَنْدَرِسُ أثرُ مكتوبه؛ ولأَنَّهُ يَبِينُ عَنْ حَقِيقَةِ جَمِيعِ مَا أُثْبِتَ فِيهِ[٤].

(٦) **الغيب**: سمي بالغيب كما في قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الطور: ٤١][٥]، وسمي بالغيب؛ لأنَّ ما كُتب فيه من مقدَّرات غُيِّب علمُها عن الخلائق.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ٢٥٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٦)، ومعالم التنزيل، للبغوي (٥/ ٣٥٨).

(٣) التفسير المظهري لمحمد ثناء الله (١/ ٣٤٩٦).

(٤) انظر: جامع البيان (١٩/ ٤١٢)، ومعالم التنزيل، للبغوي (٧/ ١٠)، وتيسير الكريم الرحمٰن للسعدي (ص٦٩٢).

(٥) انظر: جامع البيان (٢٣/ ١٩٩)، وتفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٣١١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٤٦).

المطلب الثاني

كتابة القرآن في اللوح المحفوظ

حَفِظَ الله تعالى القرآن وشرَّفه وعظَّمه في السماء وفي الأرض؛ فمنذ نزوله وحتى بلاغه وعلى الدوام والله تعالى يحيطه بالحفظ والصون.

في التنزيل أقسم الله تعالى بالقرآن تعظيمًا لشأنه فقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ١ ـ ٣]، ثم قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٤].

هذا قَسَمٌ بالقرآن على القرآن، من ثَمَّ تأكيد على حفظه في اللوح المحفوظ، وأنَّه مكتوب فيه، وقد أظهرت الآية حفظ القرآن بما **يلي**:

(١) أنَّه محفوظ مكتوب في أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ.

(٢) أنَّه محفوظ عنده في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَدَيْنَا﴾.

(٣) أنَّه رفيع محكم لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض، رفيع عن أن يُنال فيُبدل، ﴿حَكِيمٌ ۝٤﴾؛ أي: محفوظ من نقص أو تغيير[(١)].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢]؛

---

(١) انظر: تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني (٥/ ٩١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٦٢)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢١٨)، وتيسير الكريم الرحمٰن للسعدي (ص٧٦٢).

(﴿بَلْ﴾): حرف إضراب إبطالي[١]، بعد أن ذكر تكذيب المكذبين للقرآن والرسول ﷺ أبطله بتمجيد القرآن، وبيَّن أنَّه محفوظ في لوح محفوظ.

قرأ نافع[٢]: (محفوظٌ) رفعًا، على أنَّه نعت للقرآن، وقرأ الباقون: (محفوظٍ) خفضًا على أنَّه نعت للوح[٣]، وكلتا القراءتين صحيحة ومتواترة[٤].

وقراءة الخفض هي قراءة أكثر القراء، وبناء عليها يكون الحفظ صفة للوح، «وفيه إشارة إلى أنَّ الشياطين لا يمكنهم التنزل به؛ لأنَّ محله محفوظ أن يصلوا إليه، وهو في نفسه محفوظ أن يقدر الشيطان على الزيادة فيه والنقصان»[٥].

ويكون بذلك قد وصفه ﷻ بالحفظ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، ووصف في آية سورة البروج محله بالحفظ، فهو بنفسه محفوظ ومحله كذلك محفوظ[٦].

---

(١) الإضراب الإبطالي: إبطال الحكم السابق، ونفي مضمونه، والقطع بأنَّه غير واقع، والحكم على مدَّعيه بالكذب، والانصراف عن ذلك الحكم إلى حكم آخر يجيء بعده.
والنوع الثاني من الإضراب: هو الإضراب الانتقالي، ويفيد الانتقال من معنى إلى آخر. انظر: تاج العروس، مادة: (ب ل ل) (٢٨/ ١١٨)، والنحو الوافي (٣/ ٥٩٧).

(٢) نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة، أخذ القراءة عن تابعي المدينة، انتهت إليه رياسة القراءة بها، وصار الناس إليها. تُوفي سنة ١٦٩هـ. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٣٦٨)، وطبقات القراء، لابن الجزري (٢/ ٣٣٠).

(٣) انظر: السبعة في القراءات (ص٦٧٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٥٧٨).

(٤) قال الطبري رحمه الله: «هما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب». جامع البيان (٢٤/ ٣٤٨).

(٥) التبيان في أقسام القرآن (ص٩٩).

(٦) انظر: المرجع السابق (ص٩٩).

فالقرآن محفوظ بكتابته في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ محفوظ ما حواه من كتابة القرآن وغيره من المكتوبات أن تطاله الشياطين أو تصل إليه، ومحفوظ أيضًا من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل[١].

أمَّا في سورة الواقعة فقد جاء الكلام عن حفظ القرآن مؤكدًا بالقَسَم، المعظَّم والمفخم؛ تمهيدًا لتعظيم المقسم عليه وهو حفظ القرآن في اللوح المحفوظ، حيث يقول تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦].

مواقع النجوم عالية في السماء، ومنها: ما لا يصل ضوؤه إلى الأرض، إلا بعد ملايين السنين الضوئية[٢]؛ لبعد مواقعها، فإذا كان ضوء القمر يحتاج إلى أكثر بقليل من ثانية واحدة للوصول إلينا، بينما ضوء الشمس يصلنا في ٨ دقائق، ويحتاج إلى أكثر من ٤ ساعات للوصول إلى حافة المنظومة الشمسية، أمَّا أقرب النجوم غير الشمس فيحتاج إلى أربع سنوات ونصف ليصل ضوؤه إلينا، ويزداد الأمر إعظامًا إذا علمت أنَّ الضوء يحتاج إلى ١٠٠,٠٠٠سنة ضوئية حتى يعبر مجرتنا من الحافة إلى الحافة، ومجرتنا التي تنتمي إليها أرضنا ما هي إلا واحدة من مليارات من المجرات التي لا يحصي عددها إلا الله، وكل منها يضم المليارات من النجوم والكواكب[٣].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ٢٩٩)، وتيسير الكريم الرحمٰن للسعدي (ص٩١٨).

(٢) السنة الضوئية تعني: أنَّ ما يقطعه الضوء في سنة زمانية يساوي سنة ضوئية، ولجأ علماء الفلك إلى تقدير قياس أبعاد النجوم بالسنين الضوئية؛ لأنَّ أبعادها هائلة وتزيد الأرقام ويصعب الحساب إذا قيست بالكيلومترات الطولية المعروفة، وما أشبه ذلك، والضوء يقطع مسافة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية الواحدة. انظر: القرآن وعلوم الأرض (ص٢٦، ١٢٣).

(٣) انظر: أسرار الكون في القرآن الكريم، د. داود سلمان السعدي (ص١٩١ ـ ١٩٤)، =

ولكنَّ ذلك ليس كل شيء، فهناك البعيد والأبعد من تلك النجوم، حتى أنَّ منها الغائر في السماء مع عظم حجمه وقوة ضوئه، واكتشف بعضها بمشاهدته بالمقراب؛ لكنه لم يصل إلى العين المجردة لبعد موقعه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: ٦٤]، حتى ما تشاهده العين المجردة غائرًا في السماء، فإن الكثير منها لبعد موقعه في السماء، لا يصل ضوؤه إلى العين على الأرض إلا وقد خنس واختفى؛ لطول السنين التي استغرق الضوء قطعها حتى يصل إلى الأرض، وصدق الله إذ يقول: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦][1].

قلت: اللطيف في الأمر أنَّ القرآن العظيم محفوظ فيما هو أبعد وأعلى من تلك المواقع، ونزل مما هو أبعد منها موقعًا، من أعلى سماء. نزل من مسافات هائلة البعد والعلو في السماوات؛ هداية للناس. وفي هذا عظة واعتبار للمخاطبين بالقرآن، إذ لا يحق لهم والحالة هذه في العظمة والاهتمام أن يتركوا هدي القرآن، ولا يعظموه حق تعظيمه، ومما سبق يتبين أنَّ القَسَم كان عظيمًا، والمقسم عليه أعظم.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٧]؛ أي: كثير خيره عظيم نفعه، ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٨] هو: اللوح المحفوظ، ومكنون؛ أي: مصون ومستور عن الخلق[2].

و«المحفوظ والمكنون بينهما تغاير في المفهوم وعموم وخصوص وجهيّ في الوقوع؛ فالمحفوظ: المصون عن كل ما يثلمه وينقصه ولا

= والتفسير المنير للزحيلي (٢٧/ ٩٨).

(١) أسرار الكون (ص١٩٥ ـ ١٩٧).

(٢) انظر: بحر العلوم (٣/ ٣٧٦)، والبحر المحيط (٨/ ١٦١).

يليق به، وذلك كمال له. والمكنون: الذي لا يباح تناوله لكل أحد وذلك للخشية عليه لنفاسته»[١].

ومن حفظ القرآن في السماء أنْ حَفظه الله عن أن يمس أو يطلع عليه غير المطهرين من الذنوب والمعاصي، حيث لا يمسه ويطلع عليه إلا المطهرون وهم الملائكة، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩][٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩] وجدت الآية من أظهر الأدلة على نبوة النبي ﷺ وأنَّ هذا القرآن جاء من عند الله، وأنَّ الذي جاء به روح مطهر، فما للأرواح الخبيثة عليه سبيل؛ ووجدت الآية أخت قوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١١]»[٣].

وحَفظ الله تعالى القرآن في الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ[٤] كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١١ ـ ١٦].

بيَّنت الآيات أنَّ القرآن في صحف مكرمة؛ أي: محفوظ في اللوح المحفوظ، وتلك الصحف مرفوعة حسيًّا ومعنويًّا، أمَّا حسيًّا فمرفوعة في السماء السابعة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مرفوعة فلا تصل إليها الشياطين، وأمَّا معنويًّا فرَفِيعَة الْقَدْرِ عظيمة الشرف عنده تعالى[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٤).
(٢) انظر: البحر المحيط (٨/ ١٦١)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٥٤٤).
(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٧٢).
(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ٤٥٣).
(٥) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٢٢١)، ومعالم التنزيل (٨/ ٣٣٧)، وتفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٧).

هذه الصحف بأيدي ملائكة وهم سفراء الله إلى الرسل المختارين، الملائكة هؤلاء مطهَّرون من الذنوب والمعاصي، منزَّهون عن الخطأ والخطيئة، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦]، منزَّهون عن التهمة، لا يخونون ولا يفرطون، كرام الخلق أعزاء على الله تعالى، بررة أتقياء، أحوالهم ثابتة على الطاعة، معصومون بعصمة الله تعالى(١).

ولا يعني كتابة القرآن في اللوح المحفوظ ونزول جبريل بالقرآن منه أنَّه لم يسمعه من الله تعالى؛ بل سمعه من الله تعالى، وهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة خلافًا للجهمية(٢) والمعتزلة(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ كونه مكتوبًا في اللوح

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٢٢١)، وتفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ٤٥٣)، ونظم الدرر (٢١/ ٢٧٤).

(٢) الجهمية هم: أَصْحَاب جهم بن صَفْوَان تتلمذ على الْجَعْد بن دِرْهَم الَّذِي قتله خالد بن عبد الله الْقَسْرِيُّ سنة ١٢٤هـ على الزندقة والإلحاد، وَهُوَ أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عَن صِفَاته، وَمن الجبرية الْخَالِصَة، ظَهرت بدعته بترمذ وَقَتله سلم بن أحوز الْمَازِني بمرو فِي آخر ملك بني أُميَّة، وَوَافَقَ المعتزلة فِي نفي الصِّفَات الأزلية وزاد عليهم بأشياء. الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦).

(٣) المعتزلة: فرقة كلامية ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وبلغت شأنها في العصر العباسي الأول، سمِّيت المُعْتَزلة بضم الميم وسكون العين وفتح التاء: «نسبة إلى الاعتزال وهو الاجتناب؛ وذلك لاعتزال إمامها واصل بن عطاء الغزَّال مجلس الحسن البصري؛ لقول واصل بأنَّ مرتكب الكبيرة ليس كافرًا ولا مؤمنًا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم هي: العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: الفرق بين الفرق (ص٩٦، ١٠٠)، والملل والنحل (١/ ٤٩ ـ ٥٣).

المحفوظ، وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة، لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوبًا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله..»[١].

وأدلة أهل السُّنَّة والجماعة على هذا الأَصل من الكتاب والسُّنَّة كثيرة جدًّا، منها: قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝١١٤﴾ [الأنعام: ١١٤].

و(من) في هذه الآيات كلها لابتداء الغاية[٢]، وإذا ضم الاستدلال بهذه الآيات إلى الآيات الأخرى الدالة على أَن الله متكلم حقيقة كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، كان ذلك دليلًا على سماع جبريل القرآن من الله تعالى[٣].

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٧).

(٢) انظر: [أوجه: (مِنْ)، بالكسْر] في: تاج العروس (٣٦/ ٢٠٨)، ومختار الصحاح (ص٢٩٩)، ولسان العرب (١٣/ ٤٢٢)، مادة: (من).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

المطلب الثالث

الحكمة من حفظ القرآن في اللوح المحفوظ

عرف الإنسان المتحضِّر أهمية الاحتفاظ بنسخة أُمٍّ للوثائق والأوراق الهامة، وهذا ما يسمى بالتوثيق أو الأرشفة، لكن الإنسان فعل ذلك لقصور حفظه لتلك الوثائق، أو خوفًا من نسيانها وضياعها.

وليس الأمر كذلك بالنسبة لحفظ القرآن في اللوح المحفوظ؛ فالله تعالى منزه عن النسيان محيط علمه بكل شيء، لا أَنَّهُ سبحانه كتب ذلك لنسيَانٍ يَلْحَقُهُ تعالى عن ذلك: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢]؛ فلمَّا ذكر الكتابة نزه نفسه عن النسيان.

إذن ما الحكمة من حفظ القرآن في اللوح المحفوظ؟

يمكن تلخيص الجواب على هذا السؤال فيما يلي:

(١) حفظ الله القرآن وسائر كتبه ومَقَادِيرَ الْخَلْقِ لتعتبر الملائكة بذلك[١].

(٢) «كتبه وهو يعلمه لتعظيم الأمر؛ أي: اعلموا أَنَّ هذا الذي ليس فيه ثواب ولا عقاب مكتوب، فكيف بما فيه ثواب وعقاب؟»[٢].

(٣) تعظيم شأن القرآن الكريم؛ فإنَّ الذي يقرؤه في الأرض

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ٥).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٥)، والذي فيه ثواب وعقاب: أعمال الثقلين من الحسنات والسيئات، وكل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ.

ويستشعر ـ اعتقادًا ـ أنَّه محفوظ في السماء يزيده ذلك تعظيمًا له وإجلالًا، ويظهر هذا التعظيم في تفخيم القَسَم على حفظ القرآن كما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦]، وبالقسم بالقرآن على حفظ القرآن وتكريمه كما في قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤].

(٤) حفظ القرآن في اللوح المحفوظ؛ لتقرأه الملائكة؛ ولأنَّ القرآن يشرِّف ما يكتب عليه فيشرف المصحف ويصبح تعظيمه من تعظيم شعائر الله، وكذلك الصحف التي بأيدي الملائكة وكتب فيها القرآن فهي عظيمة القدر شريفة كريمة، وليجتمع للملائكة القرآن محفوظًا في السطور والصدور، كما يحصل ذلك للمؤمنين في الأرض.

فإن قيل: حفظ القرآن، وحفظ كل شيء من مقادير الخلق والأعمال في اللوح المحفوظ، فما الميزة للقرآن في ذلك؟

قيل: الميزة في ذلك أنَّ للقرآن حفظًا خاصًّا في اللوح المحفوظ، دل على هذه الخصوصية أنَّ الله تعالى ذكر حفظ القرآن في اللوح المحفوظ في معرض تمجيد القرآن وتعظيمه، وخصَّه بذكر حفظه في اللوح المحفوظ، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢]، فخصوصية حفظ القرآن في اللوح المحفوظ ظاهرة في تخصيص الله تعالى لذكره محفوظًا فيه، وكل ذلك في معرض تمجيده وتشريفه.

المبحث الثاني

حفظه في نزوله إلى بيت العزة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: حفظه بعصمة الرسول الملكي.

المطلب الثاني: صفات جبريل في الآيات ودلالتها على حفظ القرآن.

المطلب الثالث: علاقة إنزال القرآن جملة إلى بيت العزة بحفظه.

المطلب الأوّل

حفظه بعصمة الرسول الملكي

الآيات في معرض حديثها عن حفظ القرآن تحدثت عن عصمة الرَّسول الملكي؛ كأحد الأسباب التي قدرها الله تعالى حفظًا للقرآن الكريم.

فنجد الآيات في سورة الشعراء تُظهر حفظ الله للقرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ [١٩٢]، حيث أضاف النزول إلى نفسه؛ ليشعر أنَّ القرآن محفوظ بحفظه، منزَّل بأمره، محاط بعنايته وعلمه؛ إذ نزل بعلم من لا يخفى عن علمه شيء: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

نزوله بعلمه هو بحد ذاته دليل على صونه وحفظه، قال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤].

ونفى جلَّ شأنه نزول الشياطين به فقال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١١].

قال الزجَّاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنَّه قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢]، ثم قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣]، و﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠] كالمتصِلِ بهذا، ثم أعلم أنَّ

الشياطين تَنَزَّلُ على كل أَفَّاكٍ أثيم؛ أي: على كل كَذاب»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] قراءتان:

(١) ﴿نَزَلَ﴾ خَفِيفَة، ﴿ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾: رفعًا؛ على أنَّ الفاعل جبريل عليه السلام والأمين نعت مرفوع تبعًا للفاعل[٢].

(٢) ﴿نزّل﴾ مُشَدّدَة، ﴿الأمينَ﴾: نصبًا، على أنَّ الفاعل: الله عز وجل، والأمين: نعت لمفعول به[٣].

وكلتا القراءتين مؤداهما في المعنى واحد، فمعناهما: (أنَّ الله تعالى أنزل جبريل بالقرآن). «وذلك أنَّ الروح الأمين إذا نزل على محمد ﷺ بالقرآن، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول، ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو إيمان بالله، وأن الله إذا أنزله به نزل»[٤].

فتأمل هذا السند القدسي السماعي، وهذا الاتصال المعصوم بعصمة الرسول الملكي والبشري، كل ذلك علامة على حفظ القرآن الكريم.

ومثل قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

لما قال المشركون: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ [النحل: ١٠١] زاعمين

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ١٠٤).

(٢) قراءة ابْن كثير، وَنَافِع، وَأبي عَمْرو، وَعَاصِم في رِوَايَة حَفْص، وأبي جعفر. انظر: السبعة، لابن مجاهد (ص٤٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٢٤).

(٣) قراءة ابْن عَامر، وَحَمْزَة، والكسائي، وَأَبي بكر عَن عَاصِم. انظر: السبعة (ص٤٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٤٢٤).

(٤) جامع البيان (١٩/ ٣٩٦).

تناقض النبي ﷺ في أوامره ونواهيه، وأنَّه يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، وَيَأْمُرُهُمْ بِخِلَافِهِ؛ ليقرروا بذلك أنَّ القرآن من كلام محمد ليس منزلًا من عند الله تعالى[1]، كان الرد عليهم أنَّ القرآن لم يتقوله محمد كما تزعمون، ولكن نزل به جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى، فجبريل عليه السلام قد اصطفاه الله اصطفاء للنزول بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥].

وفي سورة التكوير صدَّر تأكيد ذلك بالقسم في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير: ١٥ ـ ١٨]، حيث أقسم تعالى بالكواكب في ظهورها وغيابها، وبالليل في إقباله وإدباره، والصبح في أول ظهوره وإقبال روحه ونسيمه، وأنسه ونعيمه، وظهور نوره يبدد ظلام الأرض، وكأنّه نور القرآن يبدد ظلام الكفر والشرك[2].

والمقسم عليه حفظ القرآن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ [التكوير: ١٩]؛ أي: لتبليغ رسول من عند الله تعالى صفته أنَّه كريم، فلا يكتم شيئًا أُرْسِلَ به، والرسول في هذه الآية هو جبريل عليه السلام.

وإضافة القرآن إلى جبريل عليه السلام كما في الآية السابقة وإلى النبي ﷺ في آية سورة الحاقة إضافة تبليغ لا إنشاء[3].

قال ابن القيم رحمه الله: «فأضافه إلى الرسول الملكي تارة، وإلى البشرى تارة، وإضافته إلى كل واحد من الرسولين إضافة تبليغ لا إضافة

---

(١) انظر: أسباب النزول الواحدي (ص٢٨٠).

(٢) انظر: نظم الدرر (٢١/ ٢٨٧).

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٥/ ٤٢)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢١)، والتبيان في أقسام القرآن (ص١٢٠).

إنشاء من عنده، وإلا تناقضت النسبتان، ولفظ الرسول يدل على ذلك؛ فإن الرسول هو الذي يبلغ كلام من أرسله، وهذا صريح في أنَّه كلام من أرسل جبريل ومحمدًا وأن كلًّا منهما بلَّغه عن الله»[١].

وليست الحال كما ضلَّت فيه طوائف من المبتدعة؛ حيث زعمت أنَّ الله لم يتكلم بالقرآن، وأنَّ لفظه للرسول أو جبريل عليه السلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ردًّا على هؤلاء: «فمن قال إنَّ هذا القرآن قول البشر كان قوله مضاهيًا لقول الوحيد الذي أصلاه الله سقر.

ومن المعلوم لعامة العقلاء أنَّ مَن بلَّغ كلام غيره كالمبلغ لقول النبي ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيات وإنمَّا لكل امرىء ما نوى**»، إذا سمعه الناس من المبلِّغ قالوا هذا حديث رسول الله ﷺ، وهذا كلام رسول الله ﷺ ولو قال المبلغ هذا كلامي وقولي لكذَّبه الناس؛ لعلمهم بأنَّ الكلام كلام لمن قاله مبتدئًا منشئًا، لا لمن أداه راويًا مبلغًا.

فإذا كان مثل هذا معلومًا في تبليغ كلام المخلوق فكيف لا يعقل في تبليغ كلام الخالق الذي هو أولى ألا يجعل كلامًا لغير الخالق عز وجل»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النحل: ٢]، ذكر الله نزول الملائكة بالوحي على الرسل بالجمع وفي الآيات السابقة ذكر نزول جبريل به، وللعلماء في توجيه ذلك **قولان**:

الأول: أنَّ جمعًا من الملائكة ينزلون مع جبريل عليه السلام، ويكون معنى الروح في الآية جبريل، وحرف الجر (الباء)؛ بمعنى: مع، ومن ثم يكون المعنى: ينزل الملائكة مع جبريل بالوحي كَقَوْلِكَ: خَرَجَ بِثِيَابِهِ؛ أَيْ: مَعَ

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص١٢٠). (٢) دقائق التفسير (٢/ ١٨٠).

ثِيَابِهِ. ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾؛ أَيْ: بِأَمْرِهِ[١].

الثاني: تفسير الملائكة في الآية بـ (جبريل عليه السلام) والروح بـ (الوحي) وسمي روحًا؛ لأنه حياة من الجهل وموت للكفر، قال المفضل بن سلمة[٢]: «إذا كان القائل رئيسًا فيجوز الإخبار عنه بالجمع لاجتماع أصحابه معه، فلمّا كان جبريل رئيس الملائكة وكل ما يبعث إلّا ومعه جمع منهم فهي على هذا»[٣].

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾؛ يَعْنِي: نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[٤]، ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ يَعْنِي: أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]؛ أي: ناداه جبريل عليه السلام[٥].

وأَيًّا كان توجيه المعنى فهو يدل على عصمة جبريل عليه السلام وعظمته؛

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٦٧)، وعزاه القرطبي إلى أبي عبيدة.

(٢) أبو طالب، المفضّل بن سلمة بن عاصم، اللغويّ، له تصانيف في معاني القرآن والآداب. أخذ عن: ابن الأعرابي، وغيره من مشاهير العلماء، تُوفي سنة ٢٨٧هـ. انظر: إنباه الرواة (٣/ ٣٠٥)، والسير (١٤/ ٣٦٢).

(٣) معالم التنزيل (١/ ٤٣٥).

(٤) أبو سلمة: نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع، الأشجعيّ. صحابيّ، مشهور، له ذكر في البخاري، أسلم ليالي الخندق، وهو الّذي أوقع الخلاف بين الحيين قريظة وغطفان في وقعة الخندق، وخذل بعضهم عن بعض، توفي فِي خلافة عثمان، وقيل: بَلْ قُتِلَ يوم الجمل. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٥٧٢)، والإصابة لابن حجر (٦/ ٣٦٣).

(٥) انظر: تفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٥٥)، ومعالم التنزيل (١/ ٤٣٥)، والتفسير الكبير للرازي (١٩/ ١٦٩)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥/ ٩٥).

فعلى اعتبار التوجيه الأول فإنَّ جبريل لا ينزل بالقرآن وحده، بل يرافقه ملائكة اختارهم الله تعالى للقيام بهذه المهمة، وفي هذا تعظيم لحدث نزول القرآن، وعناية ربانية عظيمة لنزوله ليبقى محفوظًا، محروسًا بما قدره الله تعالى من أسباب لحفظه.

أمَّا التوجيه الثاني: فيظهر عظمة جبريل عليه السلام وهو يسمّى بالملائكة بصيغة الجمع؛ لتعظيمه وبيان رئاسته على الملائكة، فكان أعظم الملائكة ونقيبهم هو من نزل بالقرآن، ولا يخفى أثر ذلك على حفظ القرآن.

ولما طعن اليهود في عصمة جبريل عليه السلام وقالوا للنبي ﷺ: «مَنْ صَاحِبُكَ؟» قَالَ: «**جِبْرِيلُ**»، قالوا: «ذَاكَ الَّذِي ينزل بِالْحَرْبِ وبالقتال، ذاك عَدُوُّنَا، لو قلتَ: مِيكَائِيلُ، الذي ينزل بالمطر والرحمة اتبعناك»[1]: أبطل الله تعالى زعمهم وبيَّن عصمة تبليغ جبريل عليه السلام للقرآن الكريم وحفظه له حتى أبلغه قلب محمد ﷺ، كما قال تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

كما دلت صفات جبريل عليه السلام في الآيات على عصمته ومكانته ومن ثَمَّ دلَّت على حفظ القرآن، والمطلب التالي يبين تلك الصفات وتلك الدلالة.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص٢٩)، والعُجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٩٠)، ولباب النقول (١/ ١٢)، وهو جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عباس (٤/ ٣١٢)، والطبراني في المعجم الكبير، مرويات سعيد بن جبير عن ابن عباس (١٢/ ٤٥). والحديث حسن بشواهده.

المطلب الثاني

صفات جبريل في الآيات ودلالتها على حفظ القرآن

وصفت الآيات جبريل عليه السلام بصفات لها دلالتها على حفظ القرآن، وأنَّ اختيار جبريل للقيام بهذه المهمة سبب قدَّره الله تعالى لحفظ القرآن، وفيما يلي بيان ذلك:

الفرع الأول

جبريل عليه السلام رسول من عند الله تعالى

بيَّنت الآيات أنَّ جبريل عليه السلام رسول من عند الله تعالى منزل بأمره تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ [التكوير: ١٩]. الجملة مؤكَّدة بثلاثة مؤكِّدات: بالقسم فهي واقعة في جواب القسم، ومؤكدة بـ (إنَّ) التي تفيد التوكيد، وبلام التوكيد، وكل ذلك زاد المعنى تأكيدًا.

هذه شهادة لجبريل عليه السلام بالرسالة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج: ٧٥].

قال الشنقيطي رحمه الله: «في هذه الآية الكريمة: أَنَّهُ يصطفي؛ أي: يختار، رسلًا من الملائكة، ومن الناس؛ فرسل الناس لإبلاغ الوحي، ورسل الملائكة لذلك أيضًا، وقد يرسلهم لغيره..»[1].

وما كان الله تعالى ليصطفي إلا رسولًا معصومًا قادرًا أن يقوم بما وُكِلَ إليه من مهمات كما يريدها الله، وهذا دليل بحد ذاته على تبليغ

---

(١) أضواء البيان (٥/ ٣٠٠).

جبريل عليه السلام للقرآن وقيامه بالمهمة التي كُلِّف بها دون تفريط، ولكل من ذلك أثره على حفظ القرآن.

الفرع الثاني

وصف جبريل عليه السلام بالقوة وحصافة العقل ورجاحة الرأي

هذا الرسول الذي اصطفاه الله تعالى للنزول بالقرآن متصف أيضًا بالقوة، كما وصفته الآيات بذلك في قوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [النجم: ٥ ـ ٦]، هذه القوة استمدها جبريل عليه السلام من الله تعالى، وهي تتمثل في: قوة تأييد الله تعالى له، وقوته الخَلْقِية التي خلقه الله عليها، فعن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «**أَنَّ النَّبِيَّ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**»(١)، وفي رواية: «**رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ(٢) مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ**»(٣).

ومن قوته عليه السلام أنَّه لا يقدر شيطان أن يقربه، أو يحوم حول

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ (٦/ ١٤١)، رقم: (٤٨٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، بَابٌ: في ذكر سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١/ ١٥٨)، رقم: (١٧٤).

(٢) التهاويل: الألوان المختلفة من الأحمر والأصفر والأخضر، يقال لما يخرج في الزرع أو في الرياض من الشقائق والزهر، وأراد زينة ريش جبريل وما فيه صفرة وحمرة وخضرة. انظر: الفائق في غريب الحديث (٤/ ١١٧)، وغريب الحديث، لابن الجوزي (٢/ ٥٠٥)، وغريب الحديث، لابن قتيبة (١/ ٣٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٦/ ٢٩٤)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود (٨/ ٤١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ١٤١٥).

ساحته، حتى بلغ من قوته «أنَّه قَلَبَ مَدِينة قوم لُوطٍ بِقَوَادِمِ جناحه، وهي قرى أربع»[١].

هذه القوة التي رُزقها جبريل لها علاقتها بحفظ القرآن، أظهرت تلك العلاقة آية سورة النجم: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٥ ـ ٦]؛ أي: علَّم جبريل المتصف بالقوة القرآن محمدًا ﷺ[٢].

فانظر كيف كانت قوة جبريل دليلًا على ما سبق من قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٢ ـ ٤].

أمَّا وصفه بحصافة العقل ورجاحة الرأي، ففي قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٦]، وفي تفسير (ذو مرة) عند العلماء أوجه:

الأول: ذو منظر حسن، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

الثاني: ذو قوة وخَلْق طويل حسن، وهو قول قتادة ومجاهد[٤].

الثالث: ذو صحة في الجسم وسلامة من الآفات، وهو اختيار ابن جرير الطبري[٥].

الرابع: ذو حصافة في عقله ورأيه[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/ ٢٩٢).
(٢) انظر: جامع البيان (٢٢/ ٤٩٨)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٠١)، وأنوار التنزيل، البيضاوي (٥/ ١٥٧).
(٣) جامع البيان (٢٢/ ٤٩٩).
(٤) جامع البيان (٢٢/ ٤٩٩)، وانظر: النكت والعيون (٥/ ٣٩٢).
(٥) انظر: جامع البيان (٢٢/ ٤٩٩).
(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٥٧).

وكل هذه الصفات اتصف بها جبريل عليه السلام، **لكن على أي منها يرد لفظ الآية؟**

يرى الباحث أنَّ لفظ الآية يرد على التوجيه الرابع وهو أنَّ معنى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾؛ أي: ذو حصافة في عقله ورأيه، وذلك لما يلي:

(١) أنَّه الأنسب للسياق وما يراد من المعنى وهو بيان عصمة تبليغ القرآن الكريم، إضافة إلى أنَّ المعاني الأخرى قد سبقت في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾؛ فإنَّ صحة الجسم وسلامته من الآفات، وقوة الخلق تشمله الآية السابقة فلا يكرر.

(٢) أنَّ اللغة تخدم المعنى المختار، فأَصل الـمِرَّةِ: إِحْكامُ الفَتْلِ، وعليه يكون معناه المستقى من اللغة: إحكام الرأي، والْمرة الْعقل أَو شدته والأصالة والإحكام، يُقَال: إِنَّه لذُو مرّة؛ أي: ذو عقل وأصالة وإحكام[1].

(٣) زكى الله عقل الرسول البشري بقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ٢]، فناسب أن يزكي أيضًا عقل الرسول الملكي في قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٦]، والله أعلم بمراد كلامه.

الفرع الثالث

وصفه بالروح

وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بالروح في عدد من الآيات، وسُمي بالروح؛ لأنَّ الدين يحيا به وبوحيه؛ ولأنَّه يغلب عليه الروحانية؛ لرقته وهي صفة للملائكة، واختص بها جبريل عليه السلام تشريفًا له.

---

(١) انظر: لسان العرب (٥/ ١٦٩ ـ ١٧٠)، وتاج العروس (١٤/ ١٠٨)، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٦٢)، مادة: (مرر).

أمَّا إضافة الروح إلى القدس فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة كما يقال: حاتم الجود، وزيد الخير.

ورُوحُ الْقُدُسِ؛ أي: الروح المقدس المطهر من الأدناس البشرية، واتصافه بهذا الوصف له علاقته بحفظ القرآن كون ذلك ينعكس على طهر تعامله مع وظيفته الرسالية التي كلف بها(١).

الفرع الرابع

وصفه بالريادة والتمكين والأمانة

قال تعالى ـ واصفًا مكانة جبريل عليه السلام ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١]، مكين؛ أي: عند رب العرش له منزلة وقربة، فكانت المكانة على حسب حال الممكن، وهو أيضًا مطاع يطيعه أهل السماوات وأهل الأرض؛ فطاعته واجبة ونافذة، وهو أمين على وحي الله تعالى، فلا يزيد فيه شيئًا ولا ينقص أو يكتم منه شيئًا، وهو أمين عند الله وملائكته، قال تعالى عن القرآن: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣](٢).

إذن، لا شك بعد ذلك في حفظ القرآن حال نزوله، وهذه الصفات صفات من نزل به، فهذه صفات العصمة والكمال اللتان قدَّرهما الله تعالى لكتابه الكريم؛ ليخلد في الأرض هداية للناس، وقد اصطفى له رسولًا متصفًا بصفات القوة والقدرة على تبليغ القرآن على أتم الوجوه وأتقنها.

---

(١) انظر: النكت والعيون (١/ ١٥٦)، ومدارك التنزيل (٢/ ٣٢٩)، والسراج المنير، للشربيني (٢/ ٢٦٢).

(٢) انظر: بحر العلوم (٣/ ٥٥٢)، وتفسير القرآن، لابن أبي زمنين (٥/ ١٠١)، والكشاف (٤/ ٧١٢).

المطلب الثالث

علاقة إنزال القرآن جملة إلى بيت العزة بحفظه

حفظ القرآن بالكيفية الأكمل في كل مرحلة من مراحل نزوله؛ حيث نزل جملة إلى سماء الدنيا، وهي أكمل حال لحفظه في هذه المرحلة، أمَّا في نزوله إلى الرسول ﷺ فنزل منجمًا، وهي الكيفية الأكمل في هذه المرحلة؛ لأسباب سنبيِّنها إن شاء الله لاحقًا.

وقبل الحديث عن علاقة نزول القرآن إلى السماء الدنيا جملة بحفظه نذكر الآيات التي تحدثت عن نزول القرآن جملة، فقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

الأول: قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١].

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ٣].

أي: أنزل الله تعالى القرآن في الليلة المباركة وهي ليلة القدر من شهر رمضان جملة إلى السماء الدنيا، ونزوله جملة هو ظاهر القرآن كما في الآيات المتقدمة[1].

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٥٣٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٢٣)، وتفسير القرآن، لابن أبي زمنين (٥/ ١٤٩).

أمَّا علاقة هذا النزول بحفظ القرآن الكريم فيتلخص في أنَّ نزول القرآن جملة إلى بيت العزة نزول خاص، زاده حفظًا ووجودًا إضافة إلى وجوداته المتعددة، حيث يوجد القرآن الكريم في اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤]، ويوجد ـ أيضًا ـ في الصحف المطهرة الموجودة في أيدي الكرام البررة من الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦]، ويوجد ـ كذلك ـ في بيت العزة من السماء الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدخان: ٣]؛ فيكون القرآن محفوظًا في وجوداته المتعددة التي أحدها حفظه بوجوده في بيت العزة[١].

إذن، نزول القرآن إلى بيت العزة زداه وجودًا على ما سبق بيانه، ولهذا علاقة واضحة بحفظه، إضافة إلى ما في ذلك من تفخيم وتعظيم شأن القرآن الكريم، وشأن مَن نزل عليه.

قال أبو شامة[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قلت: **ما السر في إنزاله جملة إلى**

---

(١) انظر: نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول ﷺ (ص٢٧ ـ ٢٨)، ونزول القرآن الكريم وتاريخه (ص٢٢).

(٢) أبو القاسم، عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، المقدسي الشافعي المقرئ النحوي، المعروف بأبي شامة مؤرخ، مفسر، فقيه، أصولي، عالم بارع في علم اللسان والقراءات شرح الشاطبية واختصر تاريخ دمشق، توفي سنة: ٦٦٥هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ١٦٥)، والوافي بالوفيات، للصفدي (١٨/ ٦٧).

السماء الدنيا؟ قلت: (أي: أبو شامة): فيه تفخيم لأمره وأمر من أنزل عليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أنَّ هذا آخر الكتب، المنزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم، قد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أنَّ الحكمة الإلٰهية اقتضت وصوله إليهم منجمًا بحسب الوقائع لم نهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله تعالى باين بينهم فجمع له الأمرين، إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقًا»[1].

❁ ❁ ❁

(١) المرشد الوجيز (ص٢٤).

المبحث الثالث

حفظه في نزوله على قلب النبي ﷺ

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: حفظه بعصمة الرسول البشري ﷺ.

المطلب الثاني: دلالة صفات الرسول البشري في الآيات على حفظ القرآن.

المطلب الثالث: حفظه بجمعه في قلب النبي ﷺ وتيسير حفظه له.

المطلب الرابع: حفظه بنزوله منجمًا على قلب الرسول ﷺ.

المطلب الخامس: حفظه بتثبيت النبي ﷺ على تبليغه.

المطلب السادس: حفظه بمنع الجن والشياطين استراق السمع من السماء.

المطلب الأول

حفظه بعصمة الرسول ﷺ

وصل القرآن العظيم عن طريق جبريل الأمين محمدًا النبيَّ الكريم ﷺ، فكان محمد ﷺ وعاءه المعصوم، وإناءه المكنون، ومأواه المصون؛ حيث عصم الله تعالى الرسول البشري كما عصم الرسول الملكي، إذ ذلك اللائق بمقام حفظ القرآن.

وفي هذا المطلب والذي يليه نقف فيهما على الآيات التي بيَّنت عصمة الرسول البشري في تلقيه القرآن وتبليغه، مثل الذي سبق بيانه في الفصل السابق من عصمة الرسول الملكي، توضيحًا لأثر ذلك في حفظ القرآن، وهذا أوان الشروع في المقصود، وبالله التوفيق.

تحدثت الآيات عن عصمة النبي ﷺ فيما يتعلق بالقرآن من جهتين:

الجهة الأولى: عصمته ﷺ في تلقيه للقرآن.

الجهة الثانية: عصمته ﷺ في تبليغه للقرآن.

وهذه العصمة تتمثل في تثبيت الرسول ﷺ في تلقيه للقرآن وتبليغه، ومثال تثبيته في التلقي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾. [الفرقان: ٣٢]، ومثال تثبيته في التبليغ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤].

أكدت الآيات بالقسم عصمة الرسول البشري تلقيًا وتبليغًا، في مواضع عدة من القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا

بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٣].

هذا قَسَم بكل شيء في الوجود، ما تبصره أعيننا وما لا تبصره، والمقسم عليه بعد هذا التعظيم والتفخيم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠]، إضافة القول إلى الرسول إضافة التبليغ لا إضافة الإنشاء[١]. أمَّا الآية فإنَّ فحواها الإخبار عن عصمة تبليغ النبي ﷺ للقرآن، وأنَّه قد بلَّغ حروفه ومعانيه كما سمعها من جبريل عليه السلام دون زيادة أو نقصان أو تفريط أو كتمان.

وفي هذه الآيات أعادت سورة الحاقة مقصود سورة القلم؛ أعني: تنزيه الرسول ﷺ وبيان عصمة تبليغه للرسالة، ففي سورة القلم قال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم: ٢]، وفي سورة الحاقة قال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤١ ـ ٤٢][٢].

الشاعر هو الذي يقول الشعر، والكاهن هو الذي يُخبر عن المغيَّبات من جهة النُّجوم كذبًا وباطلًا[٣]، كلتا الصفتين وصف المشركون القرآن بهما، فنزه الله تعالى القرآن عن ذلك وبيَّن عصمة نبيه ﷺ.

قال قتادة رحمه الله: «﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾: طهَّره الله من ذلك وعصمه، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾، طهَّره الله من الكهانة، وعصمه منها»[٤].

إذن عصم الله تعالى رسوله ﷺ وهيأ له أسباب ذلك، ويوضح هذا

---

(١) [سبق أن بُين في الحديث عن الرسول الملكي صفحة ٤٤ من هذه الرسالة، بما يغني عن إعادته].

(٢) انظر: نظم الدرر (٢٠/ ٣٤٠).

(٣) الوجيز للواحدي (ص١١٣٠).

(٤) جامع البيان (٢٣/ ٥٩٢).

أيضـًا قـوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩].

وهنا سؤال: ما الوجه في نفي الإيمان عنهم عقب تنزيه ما جاء به ﷺ من القرآن عن أن يكون شعرًا، ونفي التذكر عنهم عقب تنزيهه عن أن يكون من قبيل قول الكهان؟

الجواب عن ذلك: أنَّ نفي كون القرآن من أقوال الكهنة أمر لا يحتاج إلى كبير نظر ولا استعمال طول فكر، بل يوصل إلى ذلك بأدنى التفات، فناسب هذا نفي: التذكر.

أمَّا تنزيهه عن الشعر، فقد صرف الجاحد المتعامي عن النظر تفكيره إلى تدبره والإصغاء إلى سماعه، والتعلق بأدنى شبهة، فناسب هذا نفي التصديق؛ لأنَّه إنَّما يكون عن نظر وتفكر، فجاء كل على ما يناسب(١).

ثم رجعت الآيات تؤكد حفظ القرآن وأنَّه من عند الله، باق في رعايته، دائم تحت علمه وعنايته: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤٣].

وعصمة الرسول البشري لا يمكن أن يؤتى القرآن من قبلها، فهي لا تُخرم أو يطرأ عليها ما يناقضها.

لكن لو افترض حصول ذلك بأن تقوّل الرسول البشري شيئًا غير ما تلقاه ـ وحاشاه ـ، فإنَّ القرآن سيبقى مصونًا محروسًا بعناية الله تعالى، لـذلـك قـال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧].

---

(١) ملاك التأويل، لأحمد بن إبراهيم الغرناطي (٢/ ٤٨٢)، [وسيأتي الرد مفصلًا ـ إن شاء الله ـ على افتراءات المكذبين على الرسول ﷺ في الفصل السادس صفحة ٣٧٦ وما بعدها، من هذه الرسالة].

وهذا إعلام بأنَّ القرآن سيبقى محفوظًا مهما كانت الظروف والأحوال؛ لأنَّ هذا قدر الله في حفظ كلامه: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف: ٢١].

ولنتأمل الآن هذه الألفاظ القوية التي أكنَّت وراءها معاني عظيمة، ومضامين كريمة، كأنَّ كل حرف منها يقول: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤﴾ [الحاقة: ٤٤]؛ حرف (لو): «حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ووقوعه لوقوعه»[١]، فلما امتنع تقول النبي ﷺ منع منه العذاب ولو وقع لوقع.

وقوله: ﴿عَلَيۡنَا﴾ ليبين أنَّ القرآن كلامه منزل بأمره محاط بحفظه، «وسَمَّى الأقوال المتقوَّلةَ أقاويل تصغيرًا لها وتحقيرًا، كقولك: أعاجيب، وأضاحيك، كأنَّها جمع أُفْعُولة من القَوْل»[٢].

ومعنى الآية: لو تقوَّل محمد على الله غير ما نزل عليه من السماء، فأتى بأشياء من عند نفسه، إمَّا أن يزيد في المنزل أو ينقص منه، أو يختلق الكذب فينسبه إلى الله، لو حصل ذلك التقول: ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ [الحاقة: ٤٥ ـ ٤٧].

حملت كلمات هذه الآيات في جملها القصيرة، معاني الحفظ، والوعيد، والتهديد، وهي بذلك تعطي الموضوع أهمية بالغة، وتوضح للخلق أجمعين أنَّ مقام القرآن مقام العناية الإلٰهية والكفالة الربانية، ولا تساهل أو تفريط في حفظه؛ ولا سبيل للتجاوز عمَّن يريد أن يمس

---

(١) اللامات، للزجاجي (ص١٢٧، ومقاييس اللغة، مادة: (لَوْ) (٥/ ١٩٨).
(٢) الدر المصون (١٠/ ٤٤٣).

حفظه، حتى أشرف الخلق ـ وحاشاه ـ لو تقوَّل فزاد أو نقص مما أوحي إليه من القرآن، كانت عقوبته الإهانة والهلاك.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: لأخذنا منه بقوة منا، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾: قطعنا نياط قلبه، وهو عرق إذا قطع هلك الإنسان، والمقصود بذلك أنَّ الله تعالى يعاجله بالعقوبة، ولا يؤخرها، ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾؛ يحجزون عنه هذا الهلاك[1].

هذا محمد الذي أوتي الشفاعة العظمى، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، خير البشر وأقربهم من الله تعالى، لو فرض تعديه على حفظ القرآن، سيكون جزاؤه الهلاك، فكيف بغيره؟!

وفي قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٥] بيّن حصول هلاكه وعذابه في الدنيا والآخرة إن وقع منه التقول، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ضعف الحياة وضعف الممات؛ يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة»[2].

أما آية سورة الشورى فأضافت معنى زائدًا إلى ما أفادته الآيات السابقة، وهو: كيف سيكون حال القرآن لو افترض تقوُّل الرسول البشري ﷺ ما لم يوح إليه منه؟

بيَّن سبحانه أنَّ القرآن الكريم سيبقى محفوظًا، على كل الأحوال، وأنَّه سبحانه وتعالى سيحفظ كتابه عن أي دخيل عليه بأن يمحو الباطل وتلك الأقاويل، فيبقى الوحي والتنزيل نقيًّا صافيًا من أي باطل كثير أو قليل، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٣/ ٥٩٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٥/ ٢١٨)، وبحر العلوم (٣/ ٤٩٣).

(٢) جامع البيان (١٧/ ٥٠٩).

ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ [الشورى: ٢٤].

فذكر ﷻ في الآية نتيجتين لعاقبة فعل التقول:

الأولى: أن يختم على قلبه، قال قتادة: «﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ أي: يطبع على قلبك فتنسى هذا القرآن يا محمد»(١).

الثانية: أن يمحُوَ الباطل الذي ليس من القرآن، ويثبت ما أنزل منه بلفظه الذي نزل دون تحريف أو دخيل، فقال: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾(٢).

وعقب بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك: ١٣]؛ ليعلم أن هذه العناية محفوفة بعلمه الواسع الذي لا يخفى عليه شيء حتى وسواس النفس، وما حوته الصدور والقلوب.

وفي مجموع الآيات فقد توعده ﷻ لو تقوَّل غير المنزل ـ وحاشاه ـ أن يهلكه، وأن يذيقه عذاب الدنيا والآخرة، وأن ينسيه القرآن، وهذا ينبئ عن الغيرة الإلٰهية لكتابه وكلامه، وانتصاره له.

أمَّا القرآن فبيَّن أنَّه يحفظه بأن يزيل كل باطل ليس منه، وأن يثبت ويحق كلماته كما نزلت دونما تحريف أو زيادة أو نقصان، وكل ذلك ينبئ عن إرادة الله الكونية بحفظ القرآن، والله غالب على أمره، ولا راد لما أراده.

وثمة فائدتان جليلتان ينبغي الوقوف عندهما:

الفائدة الأولى: أنَّ الآيات ذكرت حفظ القرآن بعصمة الرسول البشري، ـ وهذا هو اللائق بمقام القرآن ـ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٥٣٢).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٥٨٨).

كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ١ ـ ٤]، وغيرها من الآيات.

لكن لا يتوهم أنَّ القرآن الكريم لن يبقى محفوظًا بعد موت المعصوم، لذلك بيّنت الآيات الأخرى أنَّ زوال عصمة تبليغ القرآن عند الرسول البشري ـ لو افترض ذلك ـ لن تؤثر على حفظ القرآن؛ لأنَّ الله تعالى حافظه كما في آية سورة الشورى السابقة، **وفي هذا لفت للأنظار إلى أنَّ القرآن سيبقى محفوظًا ومعصومًا بعد أن ينتقل من المعصوم ﷺ إلى غير المعصوم ممن تلقاه منه، وكذلك الأجيال القادمة بعدهم؛ لأنَّ الله تعالى سيحفظه مهما كانت الظروف والأحوال.**

الفائدة الثانية: أخبر تعالى أنَّه سيهلك أحب رسله وخاتمهم لو افترى شيئًا لم يوح إليه من القرآن، وهذا إعلام أنَّ سنة الله تعالى في الكاذبين والمفترين على القرآن، أو المدعين أنَّ قولهم المفترى قرآن من الله، أن يهينهم ويهلكهم ويذيقهم خزي الدنيا وعذاب الآخرة، كائنًا مَن كانوا.

وقد أهان الله تعالى كل من حاول معارضة القرآن؛ كمسيلمة الكذاب وأمثاله، فكانت الآيات رسالة اعتبار لكل من سولت له نفسه أن يعتدي على حفظ القرآن وعصمته، وبيانًا أنَّ ذلك مستحيل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد قيل: آية الحاقة، وآية الشورى تُبيِّن أن لو افترى عليه لعاقبه؛ فهذه سنته في الكاذبين، وحقيقة الاستدلال بسنته وعادته: هو اعتبار الشيء بنظيره؛ وهو: التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين..»[1].

---

(١) النّبوات لابن تيمية (٢/ ٩٦٢ ـ ٩٦٣).

المطلب الثاني

دلالة صفات الرسول البشري في الآيات على حفظ القرآن

قررت الآيات الكريمة عصمة الرسول ﷺ كسبب له علاقته بحفظ القرآن الكريم؛ حيث كان الوصف دالًّا على ذلك من جهتي الإثبات والنفي:

الأولى: الإثبات: حيث وصفه ﷺ بصفات كمال العصمة في تلقي القرآن وتبليغه.

الثانية: النفي: حيث نزَّه الله نبيه ﷺ عمَّا ينافي العصمة في التلقي والتبليغ.

وفيما يلي بيان لتلك الصفات:

الفرع الأول

وصفه بالرسالة

وصفه الله تعالى بالرسالة في معرض الحديث عن حفظ القرآن وعصمة تبليغه، تمامًا كما وصف بذلك جبريل عليه السلام، وقد سبق الحديث عنه.

الرسالة والنبوة أكبر مِنَن الله على عبده، وأعلى منازل الخلق عند الله تعالى، ووَصْفُهُ بذلك إخبار بأنَّ القرآن محفوظ المصدر؛ فهو صادر عن رسل مختارين متصفين بصفات الكمال والعصمة، ابتداء بجبريل عليه السلام، وانتهاء بمحمد ﷺ، وفي كليهما يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ [التكوير: ١٩].

وفي سورة البينة جعل الله تعالى الرسول ﷺ وما جاء به من القرآن الحجة الواضحة، فقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ [البينة: ١ ـ ٢].

أي: لم يكونوا منتهين عن كفرهم وغيهم حتى تأتيهم حجة واضحة، وقد جاءهم ذلك: رسول من عند الله يتلو صحفًا مطهرة عن الأدناس والباطل والكذب؛ لأنّ الله تعالى حفظها أن تمس بشيء من ذلك[١].

الفرع الثاني
وصفه بكمال الهداية

تؤكد الآيات الكريمة في معرض حديثها عن حفظ القرآن كمال الهداية في قول الرسول ﷺ وما جاء به، كما تثبت تمام عقل الرسول ﷺ وتنفي عنه النقصان أو الجنون، أو ما ينافي كمال عقله وهدايته.

يأتي الحديث عن ذلك مؤكدًا بالقسم كقول الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ١ ـ ٢].

أقسم الله تعالى بالنّجم حال سقوطه ونزوله، وقيل: نجوم القرآن؛ لأنَّه كان ينزل منجمًا، قاله مجاهد بن جبر في إحدى الروايتين عنه[٢]، وفي رواية عنه: أنَّ النجم الثريا[٣]، وهو ما رجحه الطبري؛ لأنَّ العرب تدعوها النجم[٤]، وقيل: مجموعة النجوم، أقسم بالواحد منها وأراد

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٥٤٠)، وتفسير القرآن لابن أبي زمنين (٥/ ١٥١).
(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٢/ ٤٩٦).
(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٢/ ٤٩٥).
(٤) جامع البيان (٢٢/ ٤٩٧).

مجموعها[١]، ولعل الأخير هو الأرجح؛ أي: عموم لفظ النجم لجماعة النجوم.

والمقسم عليه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٢ ـ ٣].

جاءت الآيات بنفي الصفات المنافية لمقام النبوة، لتثبت أضدادها من صفات العصمة والنبوة للرسول هذه المنفيات كالتالي:

(١) نفى عنه الضلال والغواية، كما في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾؛ الضلال: العدول عن الصراط المستقيم، وهو نقيض الهداية، والضلال أعم من الغواية، حيث يشمل تضييع المقصد الحسي والمعنوي، أمَّا الغواية ففي المعتقدات والمعنويات فحسب، فنفى الأعم أولًا، ثم نفى عنه الأخص، ليفيد أنَّه على الجادة، غير منحرف عنها أصلًا[٢].

والضال هو الذي لا يعلم الحق، بل يظن نفسه على الحق وهو جاهل به، والغاوي هو الذي يعلم الحق ويعمل بخلافه اتباعًا لهواه وشهواته، فنزه الله نبيه عَن هذَيْن، فكان ﷺ عالمًا بالحق متبعًا له[٣].

(٢) نفى أن يكون ما جاء به من القرآن وغيره من الوحي صادرًا عن الهوى؛ بل مصدر ذلك الوحي من الله تعالى.

---

(١) النكت والعيون (٥/٣٨٩).
(٢) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (ص٢١٤)، والمفردات للراغب (١/٥٠٩).
(٣) جامع الرسائل لابن تيمية (١/٢٢٨).

الفرع الثالث

رجاحة العقل وأمانة التبليغ

قررت الآيات رجاحة عقل الرسول ﷺ وأمانة تبليغه للقرآن بنفي أضداد تلك الصفات عنه، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) نفى الله عن نبيه ﷺ الجنون مثبتًا له بذلك سلامة العقل وكماله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير: ٢٢].

(٢) نفى عنه كتمان القرآن الموحى إليه، فقال ﷻ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: ٢٤]، الضن: البخل، نفى عنه البخل بتبليغ القرآن؛ أي: كتمانه.

ووصفه أيضًا بعكس ما نفاه عنه من البخل والكتمان فوصفه بالكريم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠]؛ أي: كريم لا يضن بشيء من القرآن.

وكان لِما أعطى الله رسوله ﷺ من صفات العصمة والنبوة أثره في قيامه بحق القرآن الكريم، بإرادة قوية، وثبات متين، رغم ثقل الوحي، ومشقة التنزيل، فثبت بما كمله الله من تلك الصفات لما لم تثبت له الجبال. قال البقاعي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]: «في الآية مدح للنبي في ثباته لما لا تثبت له الجبال، وذم للمعرضين بكونهم أقسى من الجبال»[1].

❁ ❁ ❁

(١) نظم الدرر (١٩/ ٤٦٢).

المطلب الثالث

حفظه بجمعه في قلب النبي ﷺ وتيسير حفظه له

كان الرسول ﷺ حريصًا على حفظ القرآن عند تلقيه من جبريل عليه السلام، فكان يتعجل أخذه ويحرك لسانه لهجًا وترديدًا لكلماته، قيل: خَشْيَة أن ينسى أَوَّلَهُ قبل أن يفرغ من آخره أو يتفلت منه، وقيل: لما يجده من المشقة عند النزول، فيتعجل لتزول المشقة سريعًا، وقيل: لأجل أن يتذكره، وقيل: من حبه إياه، ولا يبعد تعدد السبب[1].

فخفف الله تعالى عن نبيه الكريم وتكفل بجمع القرآن وتيسير حفظه له، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩].

ويوضح ذلك سبب نزول هذه الآيات؛ ففي الصَّحيحين، عن سَعِيد بن جُبَيْر، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ قَالَ: «**كَانَ ﷺ يُعَالِجُ[2] مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ**»، فقال ابن عباس: «فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما»، وقال سعيد: «أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه ـ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ قال: جمعه لك في صدرك

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٦٨٢).

(٢) «يعالج من التنزيل»: أي: يمارس القول فيه، فيجد الشدة جراء كثرة ترديده وخوف فواته. انظر: فتح الباري (١/ ١٥٩)، ومشارق الأنوار (٢/ ٨٣).

وتقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾؛ قال: فاستمع له وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾؛ ثم إنَّ علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه»[١].

بيَّن الحديث المتقدم أنَّ الرسول ﷺ كان يجد مشقة وشدة في الوحي، وسبب ذلك هيبة الملك وثقل الوحي[٢]، حتى كان ﷺ يتصبب عرقًا إذا نزل عليه الوحي في الليلة شديدة البرد[٣].

فنهى الله نبيه بذلك عمَّا يشق عليه ورفع عنه الكلفة والمشقة التي كانت تناله في ذلك، مع ضمانه تعالى تسهيل الحفظ على نبيه، وجمعه له في صدره، وأمره أن يقرأه إذا فرغ جبريل من قراءته، وضمن له ذلك، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨][٤].

كما أمر الله تعالى نبيه ألَّا يعجل بالقرآن، فأمره أن لا يتلوه على أحد أو يأمر بكتابته حتى يبين له لفظه ومعناه[٥]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]، ولا يخفى ما في ذلك من حفظ للقرآن، فإنَّ الرسول ﷺ في كهذا حال يتلقى القرآن لفظًا ومعنًى في آن واحد، إذ لا تقل أهمية حفظ معناه عن حفظ مبناه، وكل ذلك حصل للرسول ﷺ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: الوحي، باب: بدء الوحي (١/ ٨) رقم: (٥). ومسلم: كتاب: الصلاة، باب: الاستماع للقراءة (١/ ٣٣٠)، رقم: (٤٤٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (٤/ ١٦٦).

(٣) انظر الرواية في: صحيح البخاري، كتاب: الوحي، باب: بدء الوحي (١/ ٦)، رقم: (٢)، عن الحارث بن هشام رضي الله عنه.

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٥٢٦).

(٥) انظر: تفسير مجاهد (ص٤٦٧)، وجامع البيان (١٨/ ٣٨٢).

لقد خاف الرسول ﷺ أن ينسى ما يوحى إليه من القرآن، لكن الله تعالى طمأنه، وبيَّن له أنّه قد تكفل بجمعه له وتيسير حفظه له: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧].

إنَّ كلمة ﴿عَلَيْنَا﴾ لتشعر بما حظي به القرآن من الكفالة الربانية والعناية الإلٰهية بحفظه؛ حيث اقترن حرف الجر (على) بضمير الجمع (نا) المفيد لتعظيم الواحد الأحد وهو الله تعالى، إشعارًا بتلك الكفالة القدسية والحصانة الإلٰهية التي حظي بها القرآن.

هذا يذكرنا بكلمات كثيرة لها ذات المدلول ككلمة: ﴿لَدَيْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤]؛ والتي أشعرت أيضًا بالعناية الإلٰهية بالقرآن؛ حيث ذكر حفظه لديه في السماء، وعند وصوله الأرض يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾.

كل ذلك يؤكد استمرارية الحفظ ودوام العناية والرعاية للقرآن الكريم في جميع مراحل انتقاله من السماء إلى الأرض؛ فهو محفوظ في أول نزوله وآخر نزوله، وقبل نزوله وبعد نزوله.

وبيَّن تعالى أنَّ الروح الأمين جبريل عليه السلام ينزل به على قلبه مباشرة؛ فقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤]؛ ليدل ذلك على أنَّه لم تكن هناك فرصة للنسيان؛ لأنَّ الشي إذا وصل إلى القلب وثبت فلا سبيل لنسيانه، وهذا أمر اختص الله به نبيه ﷺ حفاظًا على الكتاب الخاتم[1].

هذه الكفالة الإلٰهية ظاهرة أيضًا في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الأعلى: ٦ ـ ٧]؛ فهذا وعد

---

(١) انظر: مدخل في علوم القراءات، د. السيد رزق الطويل (ص١٨).

من الله لنبيِّه أن يُقرئه القرآن فلا ينسى بعد إقرائه، وفي ذلك معجزة للنبي ﷺ؛ لأنَّه كان أميًّا لا يكتب ولا يقرأ، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن، ويحفظه منه دون أن يكرر عليه آياته.

ومعلوم أنَّ القرآن الكريم يجب أن يحفظ حفظًا كاملًا ودقيقًا؛ فلا يجوز اللحن في آياته، فضلًا عن زيادة حرف أو نقصانه، هذا الحفظ الكامل المتقن تأتَّى لرسول الله ﷺ بما هيأه الله تعالى له من المعجزة والكرامة(١).

أمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾؛ فمعناه: إلا ما شاء الله مما رفع حكمه؛ إذ كان نزوله في زمن مؤقت، وهذا هو المنسوخ، وبه قال الجمهور؛ كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة: ١٠٦](٢).

وقيل: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾: ما يطرأ من النسيان على الرسول ﷺ مما هو طبيعة البشر، ونسيان النبي ﷺ ممتنع فيما أمر بتبليغه؛ إذ هو معصوم، فإذا بلغه ووعي عنه فالنسيان جائز عليه(٣).

فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سمع رسول الله ﷺ رجلًا يقرأ في سورة بالليل، فقال: «**يَرْحَمُهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**»(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣١٦)، والمحرر الوجيز (٥/ ٤٦٩)، والتسهيل لابن جزي (٢/ ٤٧٤).

(٢) انظر: غرائب التفسير (٢/ ١٣٣٠)، ونظم الدرر (٢١/ ٣٩٦).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٩).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: نسيان القرآن، وهل يقول: نسيت آية كذا وكذا (٦/ ١٩٤)، رقم: (٥٠٣٧)، ومسلم: كتاب: =

ولأنَّ الرسول ﷺ ينسى كما ينسى البشر، كان جبريل يدارسه القرآن لتثبيت حفظه؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**»(١).

كما أنَّ من الأسباب التي حفظ الله بها القرآن أن أنزله بلسان الرسول ﷺ؛ أي: بلغته التي ألفها ويتكلم بها، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الدخان: ٥٨]، وسيأتي الحديث عن أثر نزوله باللسان العربي على حفظ القرآن في الفصل التالي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

مما سبق يظهر حفظ القرآن في المعالم التالية:

(١) تكفل الله تعالى بجمع القرآن وحفظه في قلب نبيه وعصمته في تبلغيه دون زيادة أو نقصان كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧].

(٢) تثبيت قلب الرسول بالقرآن لفظًا ومعنًى، ونهيه أن يبلغه حتى يقضى إليه الوحي لفظًا ومعنًى؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

= صلاة المسافرين وقصرها، باب: الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها (١/٥٤٣)، رقم: (٧٨٨). عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الوحي، باب بدء الوحي (١/٨)، رقم: (٦)، وأخرجه مسلم: كتاب: الفضائل، باب: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٤/١٨٠٣)، رقم: (٢٣٠٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) مدارسة جبريل عليه السلام القرآن للرسول ﷺ كسبب لتثبيت الحفظ، مع تكفل الله عز وجل للنبي ﷺ بحفظه وجمعه في صدره حتى لا يضيع منه شيء.

(٤) نزول القرآن باللغة التي يألفها رسول الله ﷺ ويتكلم بها، الأمر الذي يسر له حفظه، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان: ٥٨].

وبهذا اكتمل للرسول ﷺ تمام الحفظ، وكمال العصمة والرسالة، عندما اكتملت له كل تلك الأسباب في تلقيه القرآن.

۞ ۞ ۞

المطلب الرابع

حفظه بنزوله منجمًا على قلب الرسول ﷺ

لقد هيأ الله تعالى للقرآن الأسباب المناسبة لحفظه؛ فكل مرحلة من مراحل نزوله حفظ بما يناسب تلك المرحلة، فكان أنسب أسباب حفظه في نزوله إلى سماء الدنيا نزوله جملة، بينما كان أنسب أسباب حفظه في نزوله إلى النبي ﷺ نزوله منجمًا.

إلا أنَّ عقل الإنسان قد يقصر عن إدراك تلك الحكم الربانية المقصودة، والقضايا الإلٰهية الحكيمة، لا سيما إذا اقترن بذلك القصور العناد ومحادة الله ورسوله، كما هو عند الكافرين.

وعندئذٍ صار ما يكون ميزة للقرآن في أعين هؤلاء مثلبة يطعنون بها عليه ويشغبون بما يظنونه ـ قصورًا أو عنادًا ـ أنَّه سينقص من حفظ القرآن.

لكن الآيات جلَّت هذا الوهم، وكشفت ذلك الزور، فبينت أن ما يطعنون به على القرآن من نزوله منجمًا على قلب الرسول ﷺ، هو بذاته أحد الأسباب التي قدرها الله تعالى لحفظ القرآن.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: من اليهود ومشركي قريش، ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾؛ أي: مجتمعًا بجميع آياته وسوره كما أنزلت التوراة والإنجيل جملة على عيسى وموسى، والأمر في النبي محمد ﷺ يختلف

عن الأنبياء قبله فقد كانوا كتبة وهو أمي[١].

«إذن، فهذا الاعتراض من المشركين اعتراض لا طائل تحته؛ لأنَّ الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقًا، مع أنَّ للتفريق فوائد، منها ما أشار إليه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾؛ أي: كذلك أنزلناه مفرقًا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه؛ لأن حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان عليه الصلاة والسلام أميًّا وكانوا يكتبون، فلو ألقي عليه جملة لعيل بحفظه، ولعله لم يستتب له؛ فإن التلقف لا يتأتى إلا شيئًا فشيئًا؛ ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى..»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ أي: فرّقه الله ولم ينزله جميعه حيث أنزله بطول عشرين سنة.

قال قَتَادَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦]: «نزَلَ مُتَفَرِّقًا ولم ينزل جَمْعًا وكان بين أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ نحو من عشرين سنة»[٣].

﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾؛ أي: على تُؤَدة وترسُّل، فترتله وتبيِّنه[٤]، ثم قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾، قال: ونزلناه تذكيرًا منه أنَّه الآمر بنزوله بهذه الكيفية، وتعظيمًا لأمر نزوله.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٩)، ومدارك التنزيل (٢/ ٥٣٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٢).

(٢) أنوار التنزيل (٤/ ١٢٣).

(٣) تفسير عبد الرزاق، تفسير سورة الإسراء (٢/ ٣١٩)، وفضائل القرآن لابن الضريس، باب: كيف أُنْزِلَ القرآن؟ وفي كم أُنْزِلَ؟ (ص٧٣)، وانظر: جامع البيان (١٧/ ٥٧٥).

(٤) تفسير عبد الرزاق، تفسير سورة الإسراء (٢/ ٣١٩)، عن مجاهد بن جبر. وانظر: جامع البيان (١٧/ ٥٧٥).

هذا التعظيم المتمثل في كون ﴿نزّل﴾: فعل ماضٍ فاعله هو الله تعالى؛ «وذلك أَنَّ الفعل الذي يُسْنَدُ إلى الله تعالى إنَّما يراد به أتقن أنواع تلك الْمَاهِيَّةِ»[1]، ﴿تَنزِيلًا﴾؛ أي: بعضه في إثر بعض، مفرقًا بحسب الوقائع، وقيل: معناه: فصلناه تفصيلًا[2].

والمتأمل في الآيات الكريمة يجدها متضمنة بيان حكمة نزول القرآن منجمًا، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

(١) تثبيت قلب الرسول ﷺ بموالاة الوحي بالقرآن، وفي هذا أنس له، وتقوية لعزيمته، كلما نزل عليه الروح الأمين بكلام الله تعالى في موالاة مستمرة، وهذه الحكمة بيَّنَهَا اللهُ تعالى بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢][3].

واستمر هذا التثبيت في الآية التالية، حيث وعد الله نبيه ﷺ أن ينزل عليه من القرآن ما يقطع حججهم ويعلو على باطلهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣].

(٢) معرفة الناسخ من المنسوخ؛ فمن القرآن ما هو ناسخ ومنه المنسوخ، ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة، إذ لو نزل جملة واحدة؛ لوقع الناس فى حَيْرَةٍ؛ حيث يقع الاضطراب بأي الحكمين يأخذون، وأيهما يقدمون؟

فمثلًا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١٨٠).

(٢) انظر: نظم الدرر (١١/ ٥٣٢)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٨٦).

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص١١٧)، والمعجزة الكبرى القرآن (ص١٨).

[المجادلة: ١٢]، نزلت فترة من الزمن عندما كان الناس يتحدثون مع الرسول ﷺ محبة في منادمته، وربما ضاع وقت الرسول ﷺ فيما لا ينفع(١).

فكان مقصود هذا التشريع تثمين وقت الرسول ﷺ، وقد شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم لقلة ذات اليد لدى كثير منهم مع رغبته في مناجاة الرسول ﷺ.

فنسخت الآية بقوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة: ١٣]، ولو نزلت كلتا الآيتين في آن واحد لما فهم المقصود، ولما طبق في واقع الحياة لتتجلى الحكمة من تشريعه(٢).

قال ابن قتيبة رحمه الله(٣): «ولو أتاهم القرآن نجمًا واحدًا لسبق حدوث الأسباب التي أنزله الله بها، ولثقلت جملة الفرائض على المسلمين، وعلى من أراد الدخول في الدين، ولبطل معنى التنبيه، وفسد معنى النسخ؛ لأنَّ المنسوخ يعمل به مدة ثم يعمل بناسخه بعده، وكيف يجوز أن ينزل القرآن في وقت واحد: افعلوا كذا ولا تفعلوه؟»(٤).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص٤١٣)، ولباب النقول للسيوطي (١/ ١٩٠).
(٢) انظر: أنوار التنزيل (٤/ ١٢٣)، والتسهيل لابن جزي (٢/ ٨٢).
(٣) أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري المشهور بابن قتيبة، عالم مجوِّد نحوي، من المصنفين المكثرين، من تصانيفه: «غريب القرآن»، «غريب الحديث»، كتاب «المعارف» وغيرها، ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، توفي ببغداد سنة ٧٠هـ، وقيل: ٧١هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٢ ـ ٤٣)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).
(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (١/ ١٤٨).

(٣) التدرج في تشريع الأحكام، ولا يخفى ما للتدرج من منافع؛ فقد ساعد ذلك في انتزاع ما كان عليه العرب من العقائد، والعبادات الباطلة، والعادات المذمومة.

(٤) نزول القرآن منجمًا يثير الاهتمام بأحكامه، وييسر فهم معانيه، كما يجعل الآيات تحاكي واقع الحياة التي نزلت فيها.

(٥) التحدي والإعجاز؛ فإنَّ المشركين أمعنوا في الأسئلة التعجيزية، فكانت نجوم القرآن تتنزل جوابًا على تلك الأسئلة، تظهر المغيبات وتشفي صدور قوم مؤمنين، كما أن الإعجاز بالتحدي بنزوله منجمًا أبلغ من التحدي بنزوله كاملًا، ثم تحدي المكذبين أن يأتوا بمثله؛ حيث وقع التحدي أن يأتوا بسورة من أقصر سوره[1] كما قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ «أي: هاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه، وهلموا نجمًا فردًا من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفتريات. وهذه غاية التبكيت، ومنتهى إزاحة العلل»[2].

(٦) تيسير حفظ القرآن الكريم وفهمه للرسول ﷺ ولأمته التي هي مخاطبة به؛ فالرسول ﷺ أمي وأمته أمة أميَّة لا تعرف القراءة ولا الكتابة، كانت أداة حفظهم هي الاعتماد على قوة الذاكرة، وصفاء الذهن. وهناك سبب آخر لنزول القرآن منجمًا يُلمس من حال العرب ومن شؤونهم؛ ذلك أنَّ الكتابة فيهم ليست رائجة، ونادرًا أن يوجد مَن عرفها وأندر منه من يجيدها، فكان نزول القرآن مفرقًا هو الأسهل والأيسر

---

(١) انظر: مدارك التنزيل (٢/ ٥٣٥)، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص١١٦).

(٢) الكشاف (١/ ٩٧).

لهم؛ لكي يحفظوه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦][1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المعجزة الكبرى القرآن (ص١٨).

المطلب الخامس

حفظه بتثبيت النبي ﷺ على تبليغه

بعد أن حفظ الله القرآن في قلب نبيه ﷺ، وهيأ له أكمل أسباب الحفظ كما سبق بيانه، استمرت عناية الله بالقرآن وعصمته لمبلغه ﷺ، فثبته الله تعالى على تبليغه.

قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥].

وردت روايات مختلفة في سبب نزول هذه الآيات تفتقد شروط الصحة؛ منها: الروايات الواردة عن بعض التابعين مرسلة، وتفتقد شرط اتصال السند فهي لذلك ضعيفة[(١)].

أمَّا رواية ابن عباس رضي الله عنهما فضعيفة أيضًا؛ لأنَّها من طريق عطية العوفي[(٢)]، وهو ضعيف. ونص الرواية: «أن ثقيفًا كانوا قالوا للنبيّ ﷺ: يا رسول الله أجِّلنا سنة حتى يُهْدَى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهْدى لآلهتنا

---

(١) هذه الروايات مروية عن قتادة، ومجاهد، ومحمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، مرسلة. انظر الروايات في: جامع البيان (١٧/ ٥٠٧ ـ ٦٦٣). ورواها عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٧) عن قتادة، مرسلة.

(٢) عطية بن سعد العوفي الكوفي، تابعي معروف، ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس، توفي سنة ١٢٧هـ. انظر: المجروحين، لابن حبان (٢/ ١٧٦)، وتعريف أهل التقديس (ص٥٠).

أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يعطيهم، وأن يؤجِّلهم، فقال الله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤]»[١].

وزاد على ضعف أسانيدها اختلاف متونها، واضطرابها، وتباينها تباينًا واضحًا؛ فإن بعض متون تلك الروايات، ذكر أنَّ السبب منع قريش للرسول ﷺ أن يستلم الحجر، حتى يلم بآلهتهم، فحدَّث رسول الله ﷺ نفسه، فنزلت الآية، وهي مروية عن سعيد. ورواية قتادة ذكرت أنَّهم خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة فمجدوه وعظموه، فما زالوا يكلِّمونه حتى كاد أن يقارفهم؛ أي: يقاربهم، فنزلت الآية[٢]. ورواية ابن عباس المتقدمة نصَّت على أن ثقيفًا طلبوا أن يؤجلهم حتى يُهدى لآلهتهم. وهذه الروايات في اختلاف متونها واضحة في الاضطراب.

وإضافةً إلى اضطراب متونها، وانقطاع أسانيدها بالإرسال، خلا رواية ابن عباس رضي الله عنهما وهي ضعيفة كما تقدم، فإنَّ فيها مساسًا بمقام العصمة النبوية، وهذه أمور تدل مجتمعة على بطلان ما ورد منها، وأن الأسلم في تفسير الآية الإيمان بظاهرها دون الالتفات إلى تلك الروايات.

وهذا هو الذي جعل ابن جرير يقول وأحسن فيما قال: «والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عُني بذلك منه»[٣].

إذن، فالصواب الإيمان بظاهر الآيات، وهي تخبر عن أساليب

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٧/٥٠٧).
(٢) انظر: الروايات في: جامع البيان (١٧/٥٠٦ ـ ٥٠٨).
(٣) جامع البيان (١٧/٥٠٨).

اتخذها المشركون أرادوا بها فتنة الرسول عمَّا أوحى الله له من القرآن؛ ليقول بمقالات يرضون بها، توافق أهواءهم.

ولعل تلك الأساليب اختلفت عن أساليبهم الأخرى القائمة على الترهيب والعنف والتهديد، فهذه المرة استخدموا أساليب أخرى من الترغيب والإغراء.

لو حصل ذلك منه ﷺ لاتخذوه خليلًا؛ أي: حبيبًا صديقًا يوالونه ويصافونه، ثم امتن الله تعالى على رسوله ﷺ أن ثبته وعصمه أمام هذا الإغراء وتلك الأساليب الماكرة، مبينًا أنَّه بدون ذلك كان قد قارب أن يركن إليهم شيئًا قليلًا؛ وفي هذا دليل على أن القليل من الركون لم يحصل، لعصمة الله لنبيه ﷺ[(١)].

ثم بيَّن تعالى عقوبته له لو ركن إليهم وتقوّل على الله الأقاويل؛ فقال: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٥]؛ أي: لأذقناك عذاب الدنيا والآخرة[(٢)].

وفي الآية السابقة وعيد شديد بعقوبة مضاعفة للرسول ﷺ إن هو فرّط في بلاغ القرآن بأي حال. ومثلها أيضًا آية سورة الحاقة التي سبق الحديث عنها.

وقوله: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾؛ ضِعْفُ الشَّيْءِ مِثْلُهُ مَرَّتَيْنِ؛ أي: أذقناك مِثْلَيْ ما يُعَذَّبُ بِهِ غيرك مِمَّنْ يَفْعَلُ هذا الفعل في الدارين[(٣)]؛

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٦/ ١١٨)، والنكت والعيون (٣/ ٢٦٠)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٤٨١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: كتاب الزهد (٧/ ٢٢١)، رقم: (٣٥٥٠٦)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٨٨)، كلاهما عن جابر بن زيد من قوله.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٠١)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٤).

«لأَنَّك نبي يضاعف لك العذاب على غيرك، وليس على رسول الله ﷺ نقص فى هذا الخطاب ولا وعيد، ولكن ذكّره الله تعالى مِنَّته بالتثبيت بالنبوّة»(١).

ولكن، لماذا شدد في الوعيد، وضاعف العقاب لرسوله لو بدر منه ذلك؟

أجاب عن ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين»، فقال: «إِنَّ مَنْ كملت عليه نعمة الله، واختصه منها بما لم يختص به غيره في إعطائه منها ما حرمه غيره.. اقتضت حاله من حفظ مرتبة الولاية والقرب والاختصاص بأن يراعي مرتبته من أدنى مشوِّش وقاطع، فلشدة الاعتناء به، ومزيد تقريبه، واتخاذه لنفسه، واصطفائه على غيره، تكون حقوق وليه وسيده عليه أتم، ونعمه عليه أكمل، والمطلوب منه فوق المطلوب من غيره»(٢).

فعقابه أشد مع التفريط من غيره؛ بسبب منزلة القرب والاختصاص التي تقتضي القيام بالأمر على أتمه دون تفريط.

وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الخطاب للأمة، وإن كان ظاهره للرسول ﷺ؛ فقد حكى القرطبي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله: «كان رسول الله ﷺ معصومًا، ولكن هذا تعريف للأمة لئَلَّا يَرْكَنَ أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه»(٣).

ومما سبق يظهر حفظ الله تعالى لكتابه الكريم **بما يلي**:

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ٤٧٤).
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤٢).
(٣) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٠٠).

(١) حفظ الله تعالى القرآن بتثبيت الرسول ﷺ على تبليغه مع تنوع أساليب المكر وقوة دواعيها، هذه العصمة ليست إلا بتوفيق الله تعالى وحفظه، ولذلك كان الرسول ﷺ يدعو: «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**[١]**، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ**»[٢].

(٢) العناية الدائمة والمستمرة بالقرآن الكريم ممن لا يعزب عن علمه شيء.

(٣) تعظيم شأن حفظ القرآن بعقوبة من يريد أن يمس حفظه زيادة أو نقصانًا، كائنًا مَن كان.

❁ ❁ ❁

(١) (طَرْفَة عَيْنٍ)؛ أَيْ: لحظة ولمحة. عون المعبود (١٣/ ٢٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، الأدب المفرد: باب الدعاء عند الكرب (ص٢٤٤)، وأبو داود السجستاني في السُّنن: كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح (٤/ ٣٢٤)، رقم: (٥٠٩٠)، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة عن أبيه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٠).

المطلب السادس

حفظه بمنع الجن والشياطين

استراق السمع من السماء

كانت الجن والشياطين قبل بعثته ﷺ لا تُحجب عن التسمُّع لما يدور في الملأ الأعلى، أمَّا بعد بعثته فتغيرت الحال تمامًا، فكانوا يُرجمون بالشهب إذا حاولوا الاستماع، كما أخبر الله في سورة الجن فقال عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٨ ـ ٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكَاظٍ[١]، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وأرسلت عليهم الشُّهُبُ، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحوَ تِهَامَةَ[٢] إلى النبي وهو بِنَخْلَةَ[٣] عَامِدِينَ إِلَى

---

(١) (عكاظ): موضع بقرب مكة كانت تقام بالجاهلية سوق، ويقيمون فيه أيام. النهاية في غريب الحديث، مادة: (عَكَظَ) (٣/ ٢٨٤).

(٢) (تهامة): تقابل نجد، وأَوَّلُ تِهامة ذَاتُ عِرْق إلى البحر وجُدَّة. وَقِيلَ: تِهَامَة ما بينَ ذَاتِ عِرق إلى مرحلتين من وراء مكة. انظر: النهاية في غريب مادة: (تهم) (١/ ٢٠١).

(٣) (نخلة): هناك نخلتان الأولى: اليمانية، والثانية: الشامية، والنخلة التي في الحديث هي اليمانية، موضع على ليلة من مكّة، تقع عَلَى الطَّرِيقِ الْقَدِيمِ بَيْنَ =

سوق عُكَاظٍ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١ ـ ٢]، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]»[(١)].

لقد لفت أنظار الجن أمر غير مألوف لهم، هو الحيلولة بينهم وبين خبر السماء، وقالوا واصفين لحال السماء: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن: ٨ ـ ٩].

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾؛ أي: طلبناها لاستراق السمع، كما جرت بهم العادة، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾؛ فوجدنا السماء ملئت بكثير من الملائكة الحفظة، والشهب المحرقة؛ وهي النجوم التي ترجم بها الشياطين. قالوا: وكنا من قبل لنا مقاعد في السماء بلا حرس ولا شهب، أمَّا الآن فتبدلت الحال، فإن من يستمع الآن يجد له شهابًا محرقًا، أرصد لحرق المتسمِّعين للسماء[(٢)].

حدثت متغيرات كبيرة في العالم العلوي؛ فالسماء ملئت بالملائكة

= مَكَّةَ وَالطَّائِفِ. انظر: معجم ما استعجم (٤/ ١٣٠٤)، والأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسمَّاه (١/ ٨٨٧)، ومعجم المعالم الجغرافية (ص٣١٧ ـ ٣١٨).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر (١/ ١٥٤)، وأخرجه مسلم: كتاب: الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (١/ ٣٣١). عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ٤١٨)، وجامع البيان (٢٣/ ٦٥٧)، والنكت والعيون (٦/ ١١٢).

الأشداء الأقوياء، والشهب أُرصِدت إرصادًا لتحرق الجن ومردة الشياطين المتسمِّعين.

وأصبحت السماء تحت حراسة مشددة، كل جوانبها في غاية من الوقاية والحماية، كما قال تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ [الصافات: ٨]، وهذا إيذان بانتهاء زمن استراق السمع، حيث آن أوان نزول القرآن ببعثة رسول الله ﷺ.

كل ما سبق أُعد وقُدر لأجل القرآن، حفظًا له أن يتلقفه الأفَّاكون من مردة الجن والشياطين فيعبثون بحرمته أو يلحدون في آياته.

هذا هو النبأ العظيم الذي قرره قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢]؛ لعل هذا كان من مفتريات المشركين على القرآن، حيث يصفون الرسول ﷺ بالسحر والكهانة، ومن لوازم ذلك الاتصال بالجن والشياطين.

وكان العرب أيضًا يتوهمون أنَّ لكل شاعر شيطانًا من الجن يقول الشعر على لسانه، ولذلك حاولوا أن يلقوا بذات الشيء على الرسول ﷺ(١).

وهذا ما نفاه الله تعالى عن القرآن في قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة: ٤١]، وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥﴾ [التكوير: ٢٥].

ونزَّه الله تعالى القرآن عن ذلك مبينًا في الآيات من سورة الشعراء السابقة أنَّ القرآن الكريم محفوظ عن ذلك بثلاثة أمور:

---

(١) انظر: الإعجاز البلاغي للقرآن، د. حسن طبل (ص١١٣).

الأول: بُعد الشياطين وأعمالهم ومقاصدهم عن القرآن، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾ [الشعراء: ٢١١]؛ فمقاصد القرآن صلاح الدنيا والآخرة، وإقامة العدل بإعطاء كل ذي حق حقه، أمَّا الشياطين فمقاصدهم الشر والإفساد والبغي والتمرد والإلحاد والكفر والظلم، وشتان بين ما مقصده الحق وما مقصده الباطل.

الثاني: عجزهم عنه، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١﴾ [الشعراء: ٢١١]؛ أي: حتى لو انبغى لهم فلن يستطيعوا؛ لأنَّ القرآن كلام الله تعالى ينزله بأمره وعلمه، وليس بوسعهم الإتيان بمثله أو بسورة من مثله، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨].

الثالث: عزلهم عن السمع وطردهم عن مقاعده، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾ [الشعراء: ٢١٢]؛ فبيَّن سبحانه أنَّ القرآن مع كونه لا ينبغي لهم ولا يستطيعونه، فإنَّهم أيضًا معزولون عن استماعه. كل ما سبق من حواجز وحجب بين مردة الجن والشياطين وبين القرآن أسباب قدرها الله حفظًا لكتابه المجيد فتأمل(١).

وفي مطلع سورة الحجر في سياق الحديث عن حفظ القرآن، بيَّنت الآيات: أنَّ الله تعالى أنزل الملائكة بالحق، فنزولهم بالقرآن بأمر منه تعالى، ثم بيان أنَّ الله تعالى تكفل بحفظ القرآن، بعد هذا العرض في افتتاحية سورة الحجر، جاء الحديث عن حفظ السماء من كل شيطان مارد كأحد الأدلة على حفظ القرآن؛ لأنَّ السياق متصل وموضوع الآيات من مطلع السورة هو حفظ القرآن الكريم؛ فيقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٥٦٨).

فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٥].

الحكمة من منع الجن ومردة الشياطين استراق السمع من السماء:

تظهر الحكمة من منع الجن ومردة الشياطين استراق السمع من السماء، في علاقة هذا الحدث الجلل بحفظ القرآن؛ وذلك أنَّه لو لم يحصل ذلك لاختُرق سند القرآن بين السماء والأرض.

بالإضافة إلى أنَّ الشياطين ومردة الجن لو استرقت السمع فسمعت بعض الآيات لأوحت به إلى الكهان وأوليائهم من الإنس فيعبثون بآيات القرآن، وإذا تلاه رسول الله ﷺ زعم الكهان وأولياء الشياطين من الإنس أنَّه يتلو ما يتنزل عليهم.

وقد حفظ الله القرآن الكريم عن كل ذلك؛ لأنَّ الله ﷻ أراد له الحفظ؛ ولأنَّ الشياطين تنزل على الكذابين الأفاكين، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣]. فحفظ القرآن المشتمل على الحق والصدق أن تتنزل به الشياطين؛ بل ينزل به الروح الأمين عليه السلام على الصادق الأمين ﷺ.

وثمة حكمة أخرى، هي: أنَّ الله تعالى جعل ذلك معجزة لنبيه ﷺ آية على أحقية القرآن، كما ظهر ذلك للجن الذين آمنوا، حيث لفتت أنظارهم تلك المعجزة فأدركوا أحقية القرآن وعصمته، وقد شهدوا بذلك، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١ ـ ٢].

الفصل الثاني

حفظ ألفاظ القرآن ومعانيه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حفظ ألفاظه ومعانيه من التحريف.

المبحث الثاني: حفظه عن الباطل والكذب.

المبحث الثالث: حفظ القرآن عن إلقاء الشيطان.

المبحث الأول

حفظ ألفاظه ومعانيه من التحريف

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم.

المطلب الثاني: وقوع التحريف في الكتب المتقدمة، واختصاص القرآن بالحفظ.

المطلب الثالث: أثر إنزاله باللسان العربي على حفظ ألفاظ القرآن ومعانيه.

المطلب الرابع: حفظ الله تعالى لألفاظه من التغيير والزيادة والنقصان.

المطلب الخامس: حفظ معانيه من التحريف والتأويل الباطل.

المطلب السادس: النسخ لا يناقض نفي التبديل وحفظ القرآن.

المطلب الأول

تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم

الفرع الأول

تعريف الكفالة

تعريف الكفالة لغة: قال ابن فارس: «الكاف والفاء واللام أصل صحيح يدل على تَضَمُّنِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ؛ من ذلك: الْكِفْلُ: كِسَاءٌ يُدَارُ حول سنام البعير، والكفيل: الضامن، تقول: كفل به يكفل كفالة»[(١)].

وتكفلت بالشيء؛ أي: «قد ألزمته نفسي، وأَزَلْتُ عنه الضَّيْعَةَ والذهاب، وهو مأخوذ من الكِفْل، والكِفْل: ما يحفظ الراكب من خلفِهِ»[(٢)].

تعريف الكفالة اصطلاحًا: هي ضَمُّ ذِمَّةٍ إِلَى ذِمَّةٍ أُخْرَى.

أما كفالة الله تعالى فتعني وعده بما التزمه، وكَتَبَه على نفسه[(٣)]، وهي في حق الله تعالى: شهادته وحفظه وضمانته، قال تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]؛ أي: شهيدًا، وقيل: حافظًا، وقيل: ضامنًا[(٤)].

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (كَفَلَ) (٥/ ١٨٧).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري (٢/ ٢٧١).

(٣) أنوار البروق، للقرافي (٣/ ٣٤).

(٤) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٨٩)، وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٣/ ١٩٧)، وغرائب القرآن للنيسابوري (٤/ ٣٠١).

الفرع الثاني

حديث الآيات عن الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن

لقد اعتنت الآيات بإبراز تكفُّل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم؛ في معرض تمجيده أو الرد على خصومه، وكل ما سبق بيانه وما يجري الحديث عنه في الفصول القادمة هو دليل على تلك الكفالة الإلٰهية الأبدية؛ إذ كل آية تحدثت عن القرآن، فإنّها خبر عن تلك الحقيقة، إلا أنَّ أكثر الآيات توضيحًا لتلك الكفالة هي:

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٧].

(٣) قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [الأعلى: ٦].

(٤) قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨].

(٥) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..﴾ الآية [فاطر: ٣٢].

في الآية الأولى أكد فيها الكفالة بحفظ القرآن بـ (إنّ) مرتين، ولام التوكيد، وتقدير القسم، بالإضافة إلى ما تضمنه توطئة الوعد من تعظيم الأمر بإخبار الحق ﷻ بأنَّه مَن أنزل القرآن ليعد بعد هذه التوطئة بحفظه؛ ذلك لينبئ عن شرف الوعد؛ لكونه كلامه وتنزيله، لا كلام غيره أو تنزيله، وليدل على عظمة الوعد لعظم مصدره.

وأخبر سبحانه عن نفسه بلفظ الجمع يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْظِيمَ نَفْسِهِ، وتعظيم وعده بحفظ القرآن الكريم[1].

---

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٤٨٩)، ومعالم التنزيل (٥/ ٤٢٨)، واللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٢٥٤).

وضمير الهاء في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] عائد على القرآن[١]، وأخطأ من فهم خلاف ذلك، ومثل الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٧][٢].

وقوله تعالى: ﴿لَحَٰفِظُونَ ۝١٢﴾ قال قتادة: «حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلًا، أو يُبْطِلَ منه حَقًّا»[٣].

قلت: الصحيح: عموم الوعد لجميع أنواع الحفظ التي حفظ بها القرآن الكريم، وتفسير قتادة المتقدم تفسير للفظ ببعض معناه.

قال الألوسي: «﴿لَحَٰفِظُونَ ۝٦٣﴾؛ أي: من كل ما يقدح فيه كالتحريف والزيادة والنقصان وغير ذلك، حتى إن الشيخ المهيب[٤] لو غيَّر نقطة يرد عليه الصبيان ويقول له من كان: الصواب كذا»[٥]، وفي إيراد الجملة الثانية اسمية، دلالة على دوام الحفظ[٦].

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٥٥)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٨٥).

(٢) ذهب بعضهم إلى القول بعود الضمير على الرسول ﷺ، حكاه ابن جرير في جامع البيان (١٧/ ٦٩)، وهذا خلاف الصواب من التفسير.
يقول أبو بكر الباقلاني رحمه الله في الانتصار (١/ ١٣٦): «لا خلافَ بين الأمة في أن المرادَ بالآية حفظُ القرآن، وأنَّه بمعنى قوله: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾.. فالظاهرَ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ أنَّه سبحانه حافظٌ للمنزَّلِ من الذكر».

(٣) تفسير عبد الرزاق، تفسير سورة الحجر (٢/ ٢٥١)، رقم: (١٤٣٠)، عن معمر بن راشد عن قتادة.

(٤) يقال: رجل مهيب؛ أي: تهابه الناس لشرفه وعظمته، ومثله مهوب. انظر: الصحاح تاج اللغة للجوهري، مادة: (هيب) (١/ ٢٣٩)، وتاج العروس، مادة: (هيب) (٤/ ٤٠٩).

(٥) روح المعاني (٧/ ٢٦٣).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم (٥/ ٦٩)، ومحاسن التأويل (٦/ ٣٣٠).

لقد جاءت هذه الكفالة الربانية بحفظ القرآن أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى: ٦]، فضمير القيام بالكفالة في الآيتين عائد على الله تعالى(١).

ومن الكفالة الربانية بحفظ القرآن وعده ﷻ بإتمام أمر القرآن، وإخباره أنَّ كل المحاولات من قبل الكافرين والمشركين لإطفاء نوره ستبوء بالفشل؛ لأنَّه من تولى إتمام نوره، فقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

فسَّر المفسرون النور بالقرآن أو دين الإسلام، في قوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾؛ أي: متم أمر القرآن، وقيل: متم دينه(٢)، **قلت**: هما تفسيران متوافقان؛ فإنَّ تمام أمر القرآن بحفظه وظهوره تمام للدين، فهما متلازمان في الظهور والتمام؛ لأنَّ القرآن في دين الإسلام أصله وأساسه.

وورد وصف القرآن بالنور في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي: القرآن الكريم(٣).

---

(١) [سبق الحديث عن تفسير الآيتين في الحديث عن جمع القرآن في قلب الرسول ﷺ، صفحة ٦٩، وما بعدها، من هذه الرسالة].

(٢) انظر: جامع البيان (٢٣/ ٣٦٠)، والنكت والعيون (٥/ ٥٣٠)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٩)، ولباب التأويل (٢/ ٣٥٣).

(٣) انظر: الهداية لمكي (٢/ ١٥٤٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٨١).

وصف القرآن بالنور؛ لأنَّه ضياء لخلقه يضيء للإنس والجن طريق الهداية والنجاة[١]؛ ولأنَّه واضح وضوح النور في نفسه، موضحًا للحق بجلاء بحيث لا يبقى لأحد عذر فيما أقامه من حجة وبينه من محجة؛ ولأنَّه يضيء الحق ويزيل ظلمات الجهل والشك والشرك[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾؛ «التقدير: لا يريد إلا أن يتمَّ نوره؛ إلَّا أنَّ الإبَاءَ يفيد زيادة عدم الإرادة، وهي المنع والامتناع، والدليل عليه قوله: «**وإذا أرادوا ظلمنا أبينا**»[٣] فامتدح بذلك، ولا يجوز أن يمتدح بأنَّه يكره الظلم؛ لأنَّ ذلك يصح من القوي والضعيف»[٤].

وقال البقاعي: «(معناه): والحال أنَّه يفعل فعل الأبيّ، وهو أنَّه لا يرضي الله؛ أي: الذي له جميع العظمة والعز ونفوذ الكلمة، ﴿إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾؛ أي: لا يقتصر على مجرد إشراقه، بل وعد ـ وقوله الحق ـ بأنَّه لا بد من إكماله، وإطفائه لكل ما عداه وإحراقه»[٥].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ أي: بما يقولونه بأفواههم من الأباطيل التي يعارضون بها حق القرآن، «وإطفاء نور الله بأفواههم: تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: هذا سحر، مثلت

---

(١) انظر: الهداية لمكي (٤/ ٢٩٧٤).

(٢) انظر: السراج المنير للشربيني (١/ ٦٥٩)، وأضواء البيان (٧/ ٨٠).

(٣) الحديث بلفظ: «**إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا**» أخرجه البخاري: كِتَاب: الجِهَادِ، بَاب: حَفْرِ الخَنْدَقِ (٤/ ٢٦)، رقم: (٢٨٣٧)، عَنِ البَرَاءِ ﷺ، ولم أجده بلفظ: (ظلمنا) في أي من كتب الحديث أو السير فيما لدي من المراجع.

(٤) اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٧٦)، وانظر: غرائب القرآن (٣/ ٤٥٨)، والتفسير الكبير للرازي (١٦/ ٣٢).

(٥) نظم الدرر (٨/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾؛ أي: متمّ الحق ومبلغه غايته»[١].

الشاهد من الآيتين الكريمتين:

جاءت الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾ [التوبة: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨]، في تأكيد وعده تعالى بتمام وإتمام أمر القرآن.

فالفعل: (يتمّ)، من الفعل الرباعي: (أتمَّ)، واسم الفاعل: (متمّ)، أيضًا من الفعل الرباعي: (أتمّ) وزنه مفعل، وعينه ولامه من حرف واحد[٢]، والفعل: (أتمّ)، (تمّ) و(تمَّم)، يدل على الكمال والإكمال، أتممت الشيء: أبلغته كماله[٣].

إذن، فهذا وعد إلٰهي بإكمال أمر القرآن، ولازم ذلك حفظه، وعلوه على غيره، ولو زال حفظه لما تحقق تمامه، فكان تمامُهُ: حِفْظَه وخلُوْدَه وَظُهُوْرَه.

وأخبر أنَّهم لن يستطيعوا إبطال حقه، ومن ذلك استحالة قدرتهم على تحريفه أو المساس بما يحفظ فيه لفظه ومعناه، وفي الآيتين الكريمتين دليل على بقائه وخلوده، وعدم تغيره.

ومِن وعد الله تعالى بحفظ القرآن ما أخبر به في واحدة من أعظم

---

(١) الكشاف (٤/ ٥٢٥)، وانظر: الجدول في إعراب القرآن (٢٨/ ٢٣٦).
(٢) انظر: الجدول في إعراب القرآن (٢٨/ ٢٣٦).
(٣) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (تم) (١/ ٣٣٩)، والصحاح تاج اللغة، مادة: (تمم) (٥/ ١٨٧٧).

البشارات التي بشر بها رسوله الكريم ﷺ بما سيؤول إليه مستقبل الكتاب المنزل عليه من الحفظ والخلود، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، تمثلت هذه البشارة في إخباره بأنَّ القرآن سيورث في أمته ليبقى ويخلد، وأنَّه سيكون في أمته مَن يقيمون حقه ومستحقه ويعلمونه ويتعلمونه ويعملون به(١).

الفرع الثالث

أركان الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن

وعد الله بحفظ القرآن لا يمكن أن يخلف، وليس عرضة للتعديل أو التراجع؛ لأنَّه وعد مَن يعلم السر وأخفى، وليس ثمة ما يمنع وقوعه؛ ذلك أنَّه صادر مِنْ مَنْ اتصف بصفات القوة والكمال، ولذلك أفاد الوعد الإلٰهي بحفظ القرآن حق اليقين الذي لا شك فيه.

ويمكن بيان ذلك بتبيان ما قامت عليه تلك الكفالة من صدق الوعد وكمال الصفات، وعند استقراء الآيات التي تحدثت عن حفظ القرآن نجد أنَّ هذه الكفالة بُنيت على أركان أربعة:

الأول: قوة الله التي لا يقهرها شيء:

القوة لله والقهر والغلبة والسلطان له جميعًا، ومهما ملك البشر من إمكانات فهي بسيطة ولا تقارن أبدًا بقوة الله وقهره.

بل لا قوة لأحد كائنًا من كان إلا بالله، كما قال تعالى: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]؛ أي: لا يقدر أحد على جلب المنفعات أو دفع

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٢/ ٣١١)، [وسيأتي إن شاء الله تفصيل الحديث عن ذلك في: مطلب: حديث القرآن عن خلوده. صفحة ٤٢٩، من هذه الرسالة].

المضرات لنفسه أو لغيره إلا بإذن الله تعالى؛ فكل شيء بقوة الله وقدرته، لا بقوة الخلق وقدرتهم(١).

وحفظ الله تعالى كامل بكمال صفة القوة له تعالى؛ فهو حفظ ملازم للقوة وكمال الصفات، منفي عنه النقائص والضعف، كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال قتادة: «لَا يَثْقُلُ عليه شيءٌ»(٢)، وعن القرآن قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢]؛ أي: تنزيل من اتصف صفات الكمال والقهر والغلبة.

الثاني: علم الله الذي وسع كل شيء:

الله تعالى متصف بكمال العلم، وقد أنزل القرآن الكريم بعلمه، كما قال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤].

وقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦]؛ أي: أنزله فيه علمه، وأنزله وهو على الدوام في إحاطته وعلمه، «عالمًا بإنزاله على الوجه المعجز مع كثرة المعارض، فلم يقدر أحد ولا يقدر على إحداث شيء فيه من تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان ولا معارضة»(٣).

فنزول القرآن ووصوله إلى العباد بعلم الله وإحاطته، هو بحد ذاته

---

(١) انظر: البحر المحيط (٧/ ١٧٩)، ومعالم التنزيل (٥/ ١٧٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٤٠٦).

(٢) تفسير عبد الرزاق، تفسير سورة البقرة (١/ ٣٦٣) رقم: (٣٢٣)، وانظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ١٩٦).

(٣) نظم الدرر (٥/ ٥١٤)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٧٦).

التأثير الواقعي لتلك الكفالة؛ فالله تعالى لا يعزب عن علمه شيء من المعلومات، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٩]، وعلمه وسع كل شيء: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠]، وكفالة مَن يعلم بحال المكفول ليست كمن كفل الشيء ثم جهل حاله، أو يعلمه في وقت دون وقت، أمَّا علم الله فعلم دائم وشامل، فكان القرآن لذلك قد حظي بأعظم كفالة بحفظه وحمايته؛ بسبب ذلك العلم المحيط والواسع.

الثالث: قدرة الله وإرادته التي لا تغلب:

أراد تعالى للقرآن دوام الحفظ والصون، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ومن يغالب الله يغلب، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١]، ومن أراد خلاف ذلك فأنى يقدر أو يستطيع إضاعة ما تكفل الله بحفظه؟(١)

وأخبر جل شأنه عن إرادته حفظ القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

واتصاف الله تعالى بصفات الكمال يضفي الكمال على حفظ القرآن الكريم؛ لأنَّ كامل الصفات، الذي لا يشبهه شيء ولا يضاهيه شيء من المخلوقين، هو ﷻ مَنْ تكفل بحفظه، والقرآن كلامه وصفة من صفاته.

والآيات كثيرًا ما تقرر هذه الحقيقة بإسناد الأفعال المختصة بالقرآن الكريم إلى الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَا﴾، ﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا﴾، ﴿عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾، ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾، ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾، ﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾، ﴿الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾﴾، وغيرها من الآيات.

---

(١) انظر: تخجيل مَن حرَّف التوراة والإنجيل (٢/ ٧٣٠).

وإسناد الأفعال المختصة بالقرآن الكريم إلى الله تعالى تدل على الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن، على أتم ما يكون معنى الكمال في الكفالة تبعًا لكمال صفات الرب ﷻ.

الرابع: وعد الله تعالى بحفظه:

جاء الوعد بحفظ القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وفي الآيات التي سبق الحديث عنها.

وليس الوعد من الله كالوعد من غيره؛ لأنَّ خلف الوعد إمَّا أن يكون لضعف الواعد أو عجزه، أو خيانة الوعد مع القدرة على الوفاء به، أو جهله وعدم علمه بما وعد بحفظه؛ فيهتك ويضيع دون علمه، والله تعالى منزه عن ذلك كله، وهو القائل عن نفسه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: ٩]، [الرعد: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ [الزمر: ٢٠].

وقد تحقق هذا الوعد وكان لا بد من تحققه لكمال صفات من وعد به، الذاتية والفعلية؛ فهو قوي قادر على تنفيذ وعده، وهو سبحانه صادق لا يخلف وعده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فوعد الله مما يجب وقوعه بحكم الوعد باتفاق المسلمين»[(١)]، وقال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما حفظه لم يغيّر»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٥٥).

هذه هي الأركان التي بنيت عليها الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن؛ **فالثلاثة الأولى منها**: صفات اتصف الله ﷻ بها لا يشاركه ولا يشابهه فيها أحد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

والرابع منها: وعد اختص به القرآن، ولا بد منها جميعًا لحصول الكفالة بحفظ القرآن الكريم.

وبيان ذلك: أنَّ العاجز الضعيف لو وعد لم يكن على وعده ركون، ولا يعول عليه، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك جهل بحال ما يراد حفظه، والله تعالى منزه عن ذلك.

كما أنَّ القوي القادر على الحفظ، إذا لم يعد به لم يكن لازمًا وقوعه، وهذا ما حدث للتوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة خلا القرآن؛ لما لم يعد الله بحفظها، بل وكَّل حفظها إلى الأحبار، ففرطوا وحرَّفوا. أما القرآن الكريم فَالْتَقَتْ له صفات كمال القوة والقدرة وسعة العلم والإحاطة، مع صادق الوعد، وهذا كله يثبت حقيقة لا شك فيها، وهي: أنَّ حفظ القرآن أعظم حفظ عرفته الحياة.

الفرع الرابع

أنواع الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن

حظي القرآن الكريم بعدة وعود إلٰهية عظيمة. هذا التنوع في الوعد الإلٰهي بحفظ القرآن أكسبه أنواعًا من الكفالة الإلٰهية، **وهي**:

(١) تكفُّله ﷻ أن يتولى حفظ القرآن بنفسه.

(٢) تكفُّله ﷻ بتوريثه الأمة؛ بأن يجعل فيها من يقومون به علمًا وعملًا وحفظًا.

(٣) تكفُّله ﷻ بإتمام أمر القرآن وإظهاره. وفي ذلك والذي قبله

وعده بخلود القرآن وبقائه[١].

(٤) تكفُّله ﷻ بتيسير حفظه للرسول والأمة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]؛ «أيْ: سهَّلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه؛ فهل من طالب لحفظه فَيُعَانُ عليه؟»[٢].

(٥) تكفُّله ﷻ بإظهار أحقيته وصدقه ونشره وبثه في كل نواحي الأرض[٣]، وهذه الوعود تشكل مجتمعة غاية الحفظ وكماله.

الفرع الخامس

سمات الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن

وبناء على ما سبق فإنَّ الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن تتسم **بالتالي**:

(١) كمال صفات القائم بها ﷻ.

(٢) حصول وعده سبحانه بحفظ القرآن وهو مما اختص به عن الكتب قبله.

(٣) الاستمرارية والديمومة؛ فليست كفالة في وقت دون آخر؛ بل تكفل الله بحفظه أبد الآبدين.

(٤) الشمولية؛ حيث شملت الكفالة الإلٰهية حفظ القرآن لفظًا ومعنى، وكل ما من شأنه أن يحفظ به.

---

(١) [يأتي تفصيل الحديث عن هذا النوع صفحة ٣٥٥، من هذه الرسالة].

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ١٣٤).

(٣) ذلك في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. [وسيأتي الحديث عن هذه الآية: صفحة ١٣٣، من هذه الرسالة].

(٥) صدق الوعد وحتمية الوقوع.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهكذا تبدل الأديان والكتب، ولولا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تولى حفظ القرآن بذاته وضمن للأمة ألا تجتمع على ضلالة ـ لأصابه ما أصاب الكتب قبله»[١].

❁ ❁ ❁

(١) هداية الحيارى لابن القيم (ص٣١٥).

المطلب الثاني

وقوع التحريف في الكتب المتقدمة واختصاص القرآن بالحفظ

الكتب السماوية عدا القرآن طالتها يد التحريف وعبث النساخ؛ فحدث فيها الزيادة والنقصان. ولقد تحدثت الآيات عن هذه الحقيقة؛ فقد أخبر تعالى عن تحريف أهل الكتاب للكلم في ثلاثة مواضع: **أحدها**: في سورة النساء، **واثنان منها**: في سورة المائدة، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، [المائدة: ١٣]، [المائدة: ٤١]؛ أي: يحرّفون كلام الله عن مواضعه التي وضع عليها، إما بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعًا، حيث زادوا فيها ونقصوا ووضعوا من قبل أنفسهم من الكتاب، ثم زعموا أنَّه من عند الله[(١)].

وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]؛ فبيَّن أنَّهم يتعمَّدون تحريف كلامه مع علمهم بمعناه الصحيح. قال الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعند أكثر المفسرين نزلت الآية في الذين غيَّروا آية الرجم وصفة النبي ﷺ»[(٢)(٣)].

---

(١) انظر: تفسير القرآن لابن أبي زمنين (١/ ٣٧٧)، والتسهيل لابن جزي (١/ ١٩٥)، وتيسير الكريم الرحمٰن للسعدي (ص١٨١).

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص٢٨).

(٣) انظر: معالم التنزيل (١/ ١١٣)، وأنوار التنزيل (١/ ٨٩)، ومدارك التنزيل (١/ ١٠٢).

وقيل: هؤلاء من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه السلام، وكانوا قد وعوا كلام الله وفهموه، ثم حرَّفوه عن علم[١].

قلت: ظاهر القرآن أنَّهم حرفوا كلام الله وقد فهموا الحق، وهذا دليل على تعمدهم التحريف، ويعم اللفظ تحريفهم لآية الرجم وصفة الرسول ﷺ، كما يعم غيرها من تحريفاتهم الأخرى.

والتحريف: هو الميل بالكلام بحيث لا يدل على معناه، ويكون: إمّا بتغيير اللفظ والمعنى، أو بتغييرهم للمعنى دون اللفظ. وقد وقع أهل الكتاب من اليهود والنصارى في تحريف اللفظ والمعنى معًا، وفي تحريف المعنى دون اللفظ؛ فكل ذلك وقع منهم وهو داخل فيما نصت عليه الآيات[٢].

وبيَّن تعالى أنَّ التحريف إحدى الوسائل التي استخدمها أهل الكتاب للصد عن سبيل الله؛ فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨]؛ أي: يعطفون ألسنتهم بقراءة ما حرَّفوه؛ لكي يغروا غيرهم أنَّ هذا هو كلام الله المنزل، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تلبيسًا منهم.

قال قتادة رحمه الله: «﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾: هم أعداء الله اليهود، حرَّفوا كتابَ الله، وابتدعوا فيه، وزعموا أنَّه من عند الله»[٣].

---

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٢٣٥)، ومعالم التنزيل (١/ ١١٣)، ولباب التأويل للخازن (١/ ٥٥).

(٢) التسهيل لابن جزي (١/ ١٩٥)، وأيسر التفاسير للجزائري (١/ ٧٢).

(٣) أخرجه ابن جرير: جامع البيان (٦/ ٥٣٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنّ الآية نزلت في اليهود والنّصارى جميعًا، والذين هم حرّفوا التوراة والإنجيل، وضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وألحقوا به ما ليس منه، فأسقطوا منه الدين الحنيفي؛ فبيّن الله تعالى كذبهم للمؤمنين»(١).

ولما كان هذا الفعل شنيعًا، وعملًا قبيحًا فيه جرأة وتعد كبير، حتى صدرت هذه الجرأة من أميين لا يقرؤون ولا يكتبون، وليس عندهم عِلْمٌ بما في الكتاب إلا قولًا يقولونه بأفواههم كذبًا وادعاءً منهم بالعلم، والحال بخلاف ما ادعوا؛ لما تجرؤوا على ذلك توعدهم الله بعظيم العذاب جزاء كسبهم وكذبهم وتعديهم، فقال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٨ ـ ٧٩].

إذن، الآيات تثبت تورط أهل الكتاب في تحريف الكتب المنزلة عليهم قبل القرآن، والشواهد العقلية والواقعية تصدق الآيات بما قررته. ومن الشواهد على وقوع التحريف في التوراة تلك القبائح والعظائم التي ينسبونها إلى أنبياء الله الكرام صلوات الله عليهم، مما يتنزه عنه أقل الناس صلاحًا وديانة.

مثال ذلك: ما نسبوه إلى نوح ولوط وداود عليهم السلام من شرب الخمر، والوقوع على المحارم، والغدر والخيانة، نعوذ بالله من إفك اليهود.

أمَّا الإنجيل الموجود فيكفي في ثبوت تحريفه ما وقع فيه من قصة صلب المسيح عليه السلام، وأنَّه صلب ومات يوم كذا ودفن في القبر، فمثل

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي (٣/ ١٠١)، وانظر: العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٧٠٣).

هذا الخبر قطعًا لا يمكن أن يكون مما نزل من السماء، وإنما هو مما حاكته أيديهم(١).

وليس أمر ضياع التوراة والإنجيل مقتصرًا فقط على تحريف الأحبار لها، بل أسهم في ذلك الأحداث التي حلّت بأهل الكتاب وأدّت إلى انقطاع تواترها وأسانيدها(٢).

القرآن الكريم تكفل الله تعالى بحفظه كما سبق بيانه في المطلب الأول، أمَّا التوراة والإنجيل وسائر الكتب، فأوكل الله حفظها إلى أحبار أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]؛ ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾: استرعوا؛ أَيْ: بما كُلِّفُوا حفظه من كتاب الله.. ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ أنَّه من عند الله»(٣).

---

(١) انظر: إظهار الحق (٤/١٢١٦)، وما بعدها).

(٢) قال الكيرانوي الهندي رحمه الله: «من الأمور التي يزول بها استبعاد وقوع التحريف في كتبهم أن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون، والنسخة التي وجدت بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقينًا، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة أيضًا غالبًا قبل حادثة بختنصر، وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأسًا، ولما كتب عِزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة أنتيوكس، وعندما أعاد اليهود كتابة التوراة أدخلوا فيها ما ليس منها من ميولهم ونزعاتهم، وما أشربوا في قلوبهم من وثنية ورثوها من الأمم التي خالطوها». إظهار الحق (١/١١٢).

(٣) الوجيز للواحدي (ص٣٢٠).

قال العيني[١]: «سأل محمد بن الوضاح[٢] بعض علماء النصارى، فقال: ما بال كتابكم معشر المسلمين لا زيادة فيه ولا نقصان؟ وكتابنا بخلاف ذلك؟ فقال: لأن الله تعالى وكل حفظ كتابكم إليكم فقال: ﴿ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾؛ فلما وكله إلى مخلوق دخله الخرم والنقصان، وقال في كتابنا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]؛ فتولى الله حفظه؛ فلا سبيل إلى الزيادة فيه، ولا النقصان منه»[٣].

ومن الأدلة القرآنية على وقوع التحريف في الكتب المتقدمة واختصاص القرآن بالحفظ، إظهار الفاعل في توريث القرآن لأمة القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

أمَّا ميراث أهل الكتاب، فإمَّا حذف الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤﴾ [الشورى: ١٤]، أو نسبه إليهم كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]؛ لأن تحريفهم لكتبهم شر، والشر ليس إليه، بالإضافة إلى ما عقب به من الحديث عن الميراثين، وسيأتي الحديث

---

(١) أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي: مؤرخ، من كبار المحدثين، أصله من حلب، ولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية، وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه، ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ. انظر: الضوء اللامع (١٠/ ١٣١)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٧٥).

(٢) أبو عبد الله، محمد بن الحسين بن علي بن الحسن بن يحيى بن حسان بن الوضاح الأنباري، يعرف بالوضاح الشاعر، انتقل إلى خراسان فنزلها وسكن نيسابور، سمع من أبي عبد الله المحاملي، وكان شاعرًا مجودًا، توفي بنيسابور سنة ٣٥٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٣)، والوافي بالوفيات (٣/ ٦)، والثقات، لابن حبان (٩/ ١٥١).

(٣) عمدة القاري (١٣/ ٢٦١).

مفصلًا عن ذلك ـ إن شاء الله ـ في ذكر حديث القرآن عن خلوده وبقائه[١].

والحكمة من ذلك: أنَّ الكتب السماوية عدا القرآن نزلت لوقت محدود ومؤقت، والأنبياء تبعث على إثرها بكتب أخرى، أمَّا القرآن فنزل ليكون آخر حلقة وصل بين الله وعباده؛ لأنَّ الله تعالى ختم النبوات بنبوة محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فخلد حفظ القرآن؛ لأنَّه لا نبي بعد محمد، ولا كتاب بعد القرآن، واختص القرآن بذلك اختصاصًا جعله مهيمنًا على ما سبقه من الكتب، لذلك قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأختم هذا المطلب بهذه القصة الطريفة التي أخرجها البيهقي عن يحيى بن أكثم[٢]، قال: دخل يهودي على المأمون، فأحسن الكلام، فدعاه إلى الإسلام، فأبى، ثم بعد سنة جاء مسلمًا، فتكلم على الفقه، فأحسن الكلام، فسأله المأمون ما سبب إسلامه، قال: انصرفت من عندك، فامتحنت هذه الأديان؛ فعمدت إلى التوراة، فكتبت ثلاث نسخ؛ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة[٣]، فاشتريت مني، وعمدت إلى

---

(١) [يأتي الحديث عن ذلك في الصفحات ٤٢٩ ـ ٤٤٠ من هذه الرسالة].

(٢) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج، التميمي الأسيدي المروزي، فقيه، أصولي، مجتهد من القضاة، اتصل بالمأمون، فولاه قضاء البصرة ثم قضاء القضاة ببغداد، توفي سنة ٢٤٢هـ بالربذة. انظر: وفيات الأعيان (٦/ ١٤٧)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/ ٥).

(٣) الْبيعَة: كَنِيسَة أهل الْكتاب. وقيل: البيعة لليهود والكنيسة للنصارى، وقيل: بل: البيعة لليهود، قاله الجوهري. انظر: تهذيب اللغة، مادة (العين والباء) (٣/ ١٥٢)، والمطلع على ألفاظ المقنع (ص٢٦٧).

القرآن، فكتبت ثلاث نسخ؛ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين، فتصفَّحوها، فوجدوا فيها الزيادة والنقصان، فرموا بها فلم يشتروها؛ فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيى: فحججت تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له هذا؛ **فقال: مصداقه في الكتاب**، قلت: في أي موضع؟ قال: في قوله في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]»[١].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: كتاب: كيفية نزول الوحي (٧/ ١٤٧)، عن الحسين بن فهم، عن يحيى بن أكثم.

المطلب الثالث

أثر إنزال القرآن باللسان العربي على حفظ ألفاظ القرآن ومعانيه

ورد ذكر اللسان العربي في القرآن ثلاث عشرة مرة، كل ذلك في معرض الحديث عن حفظ القرآن؛ الأمر الذي يلفت النظر إلى أنَّ اللسان العربي أحد الأسباب التي قدرها الله تعالى لحفظ القرآن من الضياع والنسيان. وباستقراء الآيات نجدها قد أظهرت أثر إنزاله باللسان العربي في ذلك، ويمكن تلخيص هذا الأثر فيما **يلي**:

(١) تيسير حفظه وفهمه للرسول ﷺ بنزوله باللغة التي يتكلم بها ويألفها، وهذا ما قرره قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الدخان: ٥٨][(١)].

(٢) تيسير فهمه وحفظه للعرب خاصة، حيث نزل القرآن بلغتهم وهم أمة أمية، لم يكن يعرف الكتابة والقراءة إلا العدد القليل منهم؛ فنزول القرآن باللغة التي يتكلمون بها ويألفونها كان سببًا لتيسير حفظ القرآن وفهمه. وتظهر الآيات هذا المعنى بما **يلي**:

(أ) تعليل إنزال القرآن باللسان العربي بالتذكر والتعقل، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الدخان: ٥٨]،

---

(١) [سبقت الإشارة إليه في الحديث عن جمع القرآن في قلب الرسول ﷺ، صفحة ٦٩ وما بعدها، من هذه الرسالة].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف: ٢]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾ [الزخرف: ٣]؛ فهذا التعليل يدل على أنَّ إنزال القرآن بلغة العرب مراد لهذه الغايات.

(ب) وصفت الآيات اللسان العربي بالوضوح وعدم اللبس والاختلاف، كما في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ [فصلت: ٣]، وقوله تعالى: ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨﴾ [الزمر: ٢٨]؛ «أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس؛ بل هو بيان ووضوح وبرهان»(١).

وهذا يدل على ما للسان العربي من أثر بالغ في إظهار مراد الله تعالى من كلامه بوضوح وتوافق تامين كاملين.

لذلك بيَّن تعالى أنَّ القرآن نزل باللغة التي يحصل بها كامل التدبر والفهم، بحيث أنَّه لو نزل بغيرها لكان ذلك سببًا في انتقادهم وتبرمهم، فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فصلت: ٤٤].

أي: لو أنزلناه بلسان أعجمي غير مبين واضح، لقالوا: هلّا بُيِّن بالعربية، ﴿ءَا۬عۡجَمِيّٞ﴾ الكلام، ﴿وَعَرَبِيّٞۗ﴾ المتكلم به. كان هذا قطعًا لأعذارهم؛ فلو نزل القرآن بغير لغة العرب وهم أمة أمية لحق لهم أن يقولوا: لا نفهمه، لكن الأمر ليس كذلك، فهو بلسان عربي مبين؛ فيكون سبب عدم انتفاعهم به بعدهم عن الإيمان وانغماسهم في الضلالة؛

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٩٦). وانظر: جامع البيان (٢١/ ٢٨٣).

فعميت قلوبهم أن تهتدي بهداه، وحرمت صدورهم أن تستشفي بشفاه؛ لأنَّ تلك القلوب عمياء مظلمة[١].

(ج) أنَّ القرآن نزل لهداية العباد على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، لكن على العرب في ذلك منّة أن نزل بلغتهم وحجة عليهم؛ إذ هم أولى الناس باتباعه للسبب ذاته. وتظهر هذه المنّة وتلك الحجة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]؛ أم القرى: هي مكة المكرمة التي اصطفاها الله لتكون نواة للرسالة العالمية الجديدة التي جاء بها القرآن، وكانت لغة القرآن لغة أهلها، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: من القرى إلى المشرق والمغرب، لكن ذلك بعد إعمار نواة الأرض مكة المكرمة بالقرآن[٢].

وكما اصطفى الله تعالى نبيًّا عربيًّا هو محمد ﷺ، اصطفى له كذلك أصحابًا أغلبهم من أهل اللسان العربي؛ فكان نزول القرآن بهذا اللسان العربي أيسر السبل لتيسير حفظ القرآن لهم. وقد كان الأمر كذلك، فقد حفظه عن ظهر قلب خَلْقٌ كثير منهم، بالرغم من أميّة كثيرة كانت فيهم.

(٣) تيسيره لكل الناس العربي والعجمي؛ فإن اللغة العربية أفصح اللغات وأيسرها دلالة على تعيين المراد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات»[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٠٩)، وبحر العلوم (٣/ ٢٣٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥/ ٥٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤٥)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦١).

حتى أنَّ فصاحة لغة القرآن التي نزل بها لا تقوم مقامها أي لغة أخرى مهما كانت الترجمة لألفاظها متقنة ومجودة، «فإن زَعْمَ أنَّ ترجمة القرآن ترجمة تامة تؤدي من المعاني والتأثير ما تؤديه عبارته العربية ضرب من المحال، وحسب من يترجم القرآن للأجانب أن يأتيهم بتفسير مختصر سليم من الحشو»(١).

وإنَّ ما ينبغي أن يقال بهذا الصدد أنَّ خصوصية اللغة لا تنافي عالمية المعاني؛ فكون القرآن بلسان عربي، فإنَّه في الوقت ذاته خطاب للناس جميعًا، على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨]، وهذا يؤيد عالمية الخطاب القرآني(٢).

وكل الآيات التي وصفت القرآن باللسان العربي، فهي تدل على تحريم كتابة القرآن بغير الحرف العربي؛ أعجمية أو لاتينية، وقد أجمع الصحابة على الكتابة التي كتبت في عهد عثمان، وكانت قد كتبت بالأحرف العربية التي لا يجوز كتابته بغيرها، ثم أجمعت الأمة بعد ذلك على ما أجمع عليه الصحابة، وهو أمر شاءه الله تعالى لحفظ القرآن(٣).

كما دلت الآيات الكريمة بتأكيدها على اللسان العربي، على وجوب الرجوع إلى اللسان العربي، في دلالات ألفاظه ومعانيه، والأساليب المعتبرة فيه.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا، وإن كان بعث للناس كافة، فإن الله

---

(١) مجلة المنار (١٧/ ٧٩٣).

(٢) عالمية القرآن، د. محمد خليل جيجك (ص١٩١).

(٣) انظر: تحريم كتابة القرآن الكريم بحروف غير عربية، صالح العَوْد (ص٣٧ ـ ٣٨).

جعل جميع الأمم وعامة الألسنة في هذا الأمر تبعًا للسان العربي، وإذا كان كذلك؛ فلا يفهم كتاب الله تعالى إلا من الطريق الذي نزل عليه، وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها»[١].

❁ ❁ ❁

(١) الاعتصام للشاطبي (ص٨٠٥).

المطلب الرابع

حفظ الله لألفاظه من التغيير والزيادة والنقصان

إحكام اللفظ وحفظه من الزيادة والنقصان أمر ضروري لحفظ المعنى؛ فإنَّ تغيير كلام المتكلم ولو بألفاظ مرادفة قد لا يؤدي تمام مراده.

وقد لا يرضاه العالم المجود لألفاظه؛ لأنَّه أعلم باختيار لفظه ومفرداته وجمله وتراكيب كلامه؛ لا سيما وأن اللفظ دليل فهم المعنى، فكيف بألفاظ القرآن التي يتفق العلماء أنَّ كل لفظ منه لا تقوم مقامها أقرب المرادفات؟ لأنَّ كثيرًا من ألفاظ القرآن الحكيم من الألفاظ الجوامع، الدالة على أنَّه تنزيل من حكيم حميد، وعلى صدق نبوة من أوتي جوامع الكلم؛ ولأن كثيرًا منها واضح الدلالة غني عن التأويل، ومدلول معنى لفظها الأنسب للسياق(١).

لذلك كله كانت القاعدة عند أهل التفسير لزوم حمل ألفاظ القرآن على عدم الترادف ما أمكن، وأنَّ المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما(٢).

نجد أنَّ الآيات الكريمة أكدت اختصاص اللفظ القرآني بالكمال، وحفظه عن النقص، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقوله: ﴿وَٱتْلُ

(١) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص١٦٨)، القاعدة: (٧١).
(٢) مختصر في قواعد التفسير (ص١٧).

مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٧].

لما وصف كلماته بتمام الصدق العدل بيَّن أنَّه لا تبديل لكلمات القرآن وحالها حال الكمال، فلا يبدل الكمال بالنقص، كما ـ أيضًا ـ لا قدرة لأحد كائنًا من كان أن يغير شيئًا من لفظه، لأنَّ الله حافظه.

وقال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١]؛ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأحكمت ألفاظه وفصِّلت معانيه أو بالعكس على الخلاف؛ فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يجارى ولا يدانى..»[(١)].

ووصف ألفاظ القرآن ومعانيه بالتمام والكمال في قوله تعالى: ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر: ٥]، قال أبو مظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ﴾؛ أي: الْقُرْآن، وما بلغه الرسول عن الله حكمة بالغة؛ أي: تامة كاملة، ويقال معناه: أَنَّه صَوَاب كُله.. والحكمة: هي الإصابة قولًا وفعلًا»[(٢)].

ويظهر حفظ ألفاظ القرآن في قوله تعالى: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾؛ أي: لا مغير للقرآن، ولا مبدل لكلماته؛ فلا يزاد عليها ولا ينقص ولا يغير منها شيء[(٣)].

فهذا إخبار باستحالة تبديل ألفاظ القرآن ومعانيه؛ لعجز مَن يريد ذلك، وقهر الله له؛ حيث أنَّ حفظ القرآن لفظًا ومعنًى أمر الله الذي لا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٩٩).

(٢) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٥/ ٣٠٨).

(٣) انظر: جامع البيان (١٢/ ٦٣)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٨١)، وتفسير الجلالين (ص١٨٢).

يغالب عليه، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾؛ «أَيْ: لا مغيِّر لها ولا محرِّف ولا مؤول»(١).

والمقصود أنَّ كلمات القرآن وألفاظه يستحيل تحريفها وتغييرها، ولا مؤول لمعانيها؛ حيث تبطل التأويلات الباطلة وغير الصحيحة، بسبب ما أودعه الله عَزَّ وَجَلَّ في كلمات القرآن من تمام الصدق والعدل، ويسر دلالاته على مراده منه.

بالإضافة إلى ما قيضه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أسباب لحفظ كتابه، ومنه: تفسير القرآن بالقرآن في مواضع لتبيين مراد الله منها، وتسخير الله تعالى له الراسخين في العلم يذبون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، كما قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ**»(٢).

فكان القرآن بكل ما توفر له من أسباب الحفظ محفوظًا لفظًا ومعنًى، واضحًا في دلالة ألفاظه وكلماته وجمله على مراد الله منها.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودلت الآية على وجوب اتباع دلالات القرآن؛ لأنَّه حق لا يمكن تبديله بما يناقضه؛ لأنَّه من عند حكيم لا يخفى عليه شيء من الأمور»(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٥١).

(٢) أخرجه البزار في البحر الزخار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك (١٦/ ٢٤٧)، رقم: (٩٤٢٣)، والبيهقي مرسلًا في السُّنن الكبرى، كتاب: الشهادات (١٠/ ٣٥٤)، رقم: (٢٠٩١١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٨٢) رقم: (٢٤٨).

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٧١).

المطلب الخامس

حفظ معانيه من التحريف والتأويل الباطل

كما حُفظ لفظ القرآن من التغيير والتبديل، حفظ معناه من التحريف والتأويل الباطل. وتظهر الآيات الكريمة هذا الحفظ بما يلي:

أولًا: تمام كلامه صدقًا وعدلًا، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ فما أخبر عنه من القصص والأخبار، أو أبان من الأحوال، فهو الخبر المطابق تمامًا للواقع؛ فليس فيه شيء من الكذب أو الصدق المختلط بالكذب؛ بل هو صدق خالص. وهو أيضًا أكمل العدل، وليس به شيء من الظلم؛ لأنه محفوظ عن ذلك، فهو كلام من كملت صفاته وتمت كلماته صدقًا وعدلًا.

ثانيًا: استحالة تبديل كلماته وما أخبر به، وذلك تبعًا للكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ؛ لأنها كلماته، وعلى ما ثبت في علمه، والتغيير والتبديل لها محال[(١)].

«ونفي الْمُبَدِّلِ كناية عن نفي التبديل؛ أي: لا تبديل؛ لِأَنَّ التبديل لا يكون إلا من مُبَدِّلٍ»[(٢)]، وفي ذلك تعظيم لشأن الحفظ الذي عني به القرآن، فكأنَّه يقول: لم يوجد المبدل حتى يوجد التبديل؛ لأنَّ ذلك من أعظم المستحيلات.

وفي سورة الكهف أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يتلو الكتاب وأن يعرض

---

(١) انظر: روح المعاني (٤/ ٢٦٨). (٢) التحرير والتنوير (٧/ ٢٠٢).

عما سواه من أقاويل؛ فقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

وعندما طلب المشركون من الرسول تبديل القرآن أمره ربه أن يخبرهم أنَّ ذلك ليس في مقدوره لكونه مستحيلًا: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥].

وأمره الله تعالى أن لا يلتفت لما يهذون به من طلب التبديل، فلا مبدل لكلمات الله؛ فقال ﷻ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٧]؛ أي: لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها[١].

كانت الآية السابقة خلاصة قطع الجدل الذي أثاره اليهود في قضايا؛ كقصة أصحاب الكهف، بالرجوع إلى خبر القرآن الاستغناء به عن غيره؛ لأنَّ أخباره لا شك فيها ولا كذب؛ بل اليقين على أعلى معانيه، والصدق على أكمله، فكان بالغنية بها استغناء بالحق عن الباطل.

وذلك أنَّ القرآن محفوظ عن التغيير والتغاير؛ فلا تغيير لمبناه أو معناه، ولا تغاير بين إخباره والمخبر به، ولا تكذب حقائق الماضي أو حوادث المستقبل أخباره الغيبية.

فلمَّا خاض اليهود وغيرهم من الأحبار وأكثروا الحديث عن أصحاب الكهف، جاء القرآن ليوقف جدلهم، ويقطع لجاجهم، فلا يقال قول وقد قال القرآن، ولا يصدق خبر يناقضه القرآن، بل إليه المنتهى في التحاكم والتصديق[٢].

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٧١٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ٢٠).

ويشمل نفي التبديل عن كلمات الله تعالى نفي تبديل ألفاظه كما تقدم في المطلب السابق، كما يشمل نفي تبديل معانيها، سواء تبديل معاني مفردات كلامه بتأويلها تأويلًا باطلًا؛ فإن الله تعالى يهيئ من عباده من يكشف تلك التحريفات ويبين الحق منها، ويشمل ذلك أيضًا استحالة تبديل أخباره ووعده ووعيده، وقصصه وسائر ما جاء به.

وصدر القول بقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾؛ لبيان أنَّها بلغت التمام صدقًا وعدلًا، ولا يكون شيء هو أعدل أو أصدق منها، فكيف تبدل بغيرها والحالة هذه؟

وقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾؛ أي: لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها غيره، وأمَّا هو سبحانه فقدرته شاملة لكل شيء، يمحو ما يشاء ويثبت، وتوضيح ذلك في المطلب التالي.

❁ ❁ ❁

المطلب السادس

النسخ لا يناقض نفي التبديل وحفظ القرآن

حفظ الله القرآن الكريم أن يبدله غيره كائنًا من كان، حتى الرسول ـ وعليه أنزل ـ لا قدرة له على تبديله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ﴾ [يونس: ١٥].

لكن لا منافاة بين نفي التبديل في قوله تعالى: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١١٥]، [الكهف: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]، وبين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍۙ﴾ [النحل: ١٠١].

قال محمد بن إبراهيم الوزير[١]: «قوله تعالى: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ عموم مَخْصُوص بقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍۙ﴾، وكذلك القول في قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾»[٢].

هذه الآيات مجتمعة تثبت أنَّ القرآن من عند الله، وأن محمدًا لا يستطيع أن يغير منه شيئًا، ولا يتوهم تعارض بينها إلا من قلَّ علمه، وقصر فهمه، أو جاحد مشكِّك[٣].

---

(١) أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن علي الحسني القاسمي، من آل الوزير، من أعيان اليمن، عالم مجتهد، ابتلي وأوذي بسبب اجتهاده؛ لمخالفته كثيرًا من آراء أهل زمانه، مناظر بارع، ومقارع لامع، له مجهود ظاهر في محاربة الرفض وأهله. وله كتب نفيسة منها: العواصم والقواصم، وإيثار الحق على الخلق، وترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، توفي سنة ٨٤٠هـ. انظر: البدر الطالع (٢/ ٩٢)، والأعلام للزركلي (٥/ ٣٠٠).

(٢) إيثار الحق على الخلق (ص٢٢٦)، بتصرف.

(٣) انظر: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم (ص٢٨٦).

وحقيقة نفي التبدل في بعض الآيات، وإثباتها في آية سورة النحل، أنَّ النفي ينسحب على غير الله، وإثبات التبديل لله وحده، وهو النسخ الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال الشيخ ابن عثيمين: «﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾؛ يعني: لا أحد يبدل كلمات الله، أمَّا الله ﷻ، فيبدل آية مكان آية؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: ١٠١]»(١).

وبذلك تبيَّن أنَّ النسخ تبديل من الله ولا يشبَّه ذلك بتبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل؛ فإن القرآن محفوظ أن يبدله أو ينسخ فيه أحد إلا الله، فهو بذلك باق على الحفظ الذي أراده الله ﷻ له.

«فالآية تدل من لا زيغ في قلبه أنَّ قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ معناه: قوله الحق الكامل بكل مقصد محكم، وقد أتبعه بقوله: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾؛ فالقرآن مصون عن النسخ جملة، والتبديل محفوظ عما وقع في التوراة والإنجيل لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ٣٧٠).
(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق (ص١٩٤ ـ ١٩٥).

المبحث الثاني

حفظ القرآن عن الباطل والكذب

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: القرآن حق أنزله الله تعالى بالحق.

المطلب الثاني: القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المطلب الثالث: حفظ قصصه وأخباره عن الباطل والكذب.

المطلب الرابع: حفظ أحكامه وتشريعاته عن الحيف والظلم.

المطلب الخامس: حفظه عن الهزل والخطأ.

المطلب الأول

القرآن حق أنزله الله تعالى بالحق

وصف الله تعالى القرآن الكريم بالحق في مواضع عدة في القرآن الكريم، وتحدثت الآيات عن أحقية القرآن في تنويهات متنوعة كما **يلي**:

الفرع الأول

وصف القرآن بالحق

وصفت الآيات الكريمة القرآن بالحق، في **ثلاث مسارات**:

الأول: وصف نزوله بالحق؛ أي: محفوظًا محروسًا في نزوله؛ لأن الله تعالى هيأ له نزولًا محفوظًا عن استراق الشياطين له، وحفظه بأن أنزله مع ملك هو أعظم الملائكة، وهو جبريل عليه السلام، وقد تقدم.

الثاني: وصفه بالحق فيما تضمنه؛ فليس في أخباره وقصصه إلا الصدق، وليس في أحكامه إلا العدل.

الثالث: وصفه بكونه حقًّا في ذاته، ومعنى ذلك: كونه محفوظًا عن دخيل الباطل؛ فالباطل ليس له سبيلًا إليه، وذلك بعد كونه نزل محفوظًا ما تضمنه، وفي هذا إشارة إلى ديمومة حفظه.

ووصفت آية سورة الإسراء أحقية القرآن وصفًا شموليًّا للأنواع المتقدمة؛ فقال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء: ١٠٥]؛ أي: وأنزلنا عليك القرآن متضمنًا للحق.

﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾: «نزل إليك محفوظًا محروسًا لم يشب بغيره؛ فلم

يزد ولم ينقص»[١]، وقيل: معناه: أنزلنا إليك القرآن مع الحق، وهو جبريل[٢].

ووصفت الآيات القرآن بالحق في سياق إبطال كلام أو حال من كذبه، كقوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ٣].

الآية **الأولى** تتحدث عن أهل الكتاب، وتنكر مقولتهم أنَّهم لا يؤمنون إلا بالتوراة، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: ما وراءه؛ أي: بما بعد التوراة، وهو القرآن، قاله قتادة والربيع وأبو العالية[٣][٤]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: كيف يكفرون به وليس هو إلا الحق، وليس فيه إلا الحق؟!

والآية **الثانية والثالثة** تتحدثان عن تكذيب المشركين للقرآن، ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ ضمير الهاء عائد على القرآن، قال مكي بن أبي طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «المعنى: وكذب يا محمد بما تقول وتخبر ـ من

---

(١) تفسير المراغي (١٥/ ١٠٧).

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢).

(٣) رفيع بن مهران، الرياحي البصري، مولى امرأة من بني رياح بن يربوع، مقرئ، حافظ، مفسر من كبار التابعين، أخذ القرآن عرضًا عن أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وصح أنه عرض على عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. توفي سنة ٩٠هـ، وقيل: ٩٣هـ، وقيل: بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧)، غاية النهاية (١/ ٢٨٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٢/ ٣٤٩).

(٥) أبو محمد، مكي بن أبي طالب بن حموش القيسي المقرئ؛ أصله من القيروان، وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة، مقرئ، عالم بعلوم القرآن، والنحو والعربية، له مصنفات عدة في التفسير وعلوم القرآن، توفي سنة ٤٣٧هـ. =

الوعد والوعيد ـ قومك، وهو الحق، فالهاء ترجع إلى القرآن»[١]، وبه قال الحسن البصري[٢].

والمعنى: كيف تكفر قريش بالقرآن، وهو الحق الذي ليس وراءه حق؟ ثم قال: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنعام: ٦٦]؛ أي: «لست عليكم بحفيظ لأعمالكم لأجازيكم عليها»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ «أُضْرِبَ على قولهم: افتراه، إضراب إبطال بـ: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ٣]؛ لإثبات أَنَّ القرآن حق، ومعنى الحق: الصدق»[٤]

الفرع الثاني

علم العلماء بأحقية القرآن الكريم

وضَّحت الآيات الكريمة أنَّ أهل العلم يعلمون أنَّ القرآن حق؛ حيث قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦]: ويرى؛ أي: يعلم. قال البقاعي: «قذفه الله في قلوبهم فصاروا مشاهدين لمضامينه»[٥].

تفسير البقاعي حسن؛ لأنَّ لفظ (يرى) أبلغ من لفظ (يعلم) في الدلالة على عمق العلم حتى صار كالمشاهدة.

= انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٢٧٤)، وغاية النهاية (٣/ ١٥٧)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٩٨).

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ٢٠٥٧). (٢) انظر: جامع البيان (١١/ ٤٣٥).

(٣) النكت والعيون (٢/ ١٢٨)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٢٧٧).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/ ٢٠٧).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٥/ ٤٤٩).

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [القصص: ٨٠]؛ قيل: مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضي الله عنه، ونظرائه الذين قرؤوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان، وقيل: هم أصحاب رسول الله، قاله قتادة[١]، وقيل: كل صاحب معرفة من المسلمين[٢]؛ ولفظ الآية شامل لكل ذلك.

والآية «كلام مستأنف لدفع ما يقوله الذين سعوا في الآيات؛ أي: إنَّ ذلك السعي منهم يدل على جهلهم؛ لأنَّهم مخالفون لما يعلمه أهل العلم في شأن القرآن»[٣].

ومثل ذلك في (سورة الحج)، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]، قال ابن عاشور: «فإظهار لفظ (الذين آمنوا) في مقام ضمير (الذين أوتوا العلم)، لقصد مدحهم بوصف الإيمان، والإيماء إلى أن إيمانهم هو سبب هديهم»[٤].

قلت: وصْفُهم بذلك يشهد لمن فسر الآية بشموليتها في معناها لكل المسلمين، وإن كان لأهل العلم مكانتهم الخاصة في العلم بأحقية القرآن والإيمان به. قال القرطبي: «وقيل: جميع المسلمين، وهو أصح لعمومه»[٥].

ويدخل في المعنى العلماء من مسلمة أهل الكتاب دخولًا أوليًّا؛ وبيَّن ذلك ما اختص به بعضهم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ

---

(١) أخرجه عنه: الطبري في جامع البيان (٢٠/ ٣٥٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، باب معرفة أصول العلم وحقيقته (١/ ٧٦٩)، رقم: (١٤٢٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٢٦١)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٥٩).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٥٩).
(٤) التحرير والتنوير (١٧/ ٣٠٧).
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٢٦١).

عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠]، والآية السابقة خاصة بمن اتصف من أهل الكتاب بالإيمان، ونزلت في عبد الله بن سلام رضي الله عنه(١).

وأخبر تعالى أنَّ ذكر القرآن موجود في مصادر علوم أهل الكتاب؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦]، قال الطبري رحمه الله: «وإن هذا القرآن لفي زبر الأوّلين؛ يعني: في كتب الأوّلين، وخرج مخرج العموم؛ ومعناه: الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لفي بعض زبر الأوّلين؛ يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله»(٢).

ولفت عز وجل النظر إلى أن علم العلماء بأحقية القرآن علامة على صدقه وأحقيته، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٧]؛ أي: علامة للعرب وغيرهم على أحقية القرآن وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم(٣).

وقد يعم في بعض الآيات علماء أهل الكتاب كافرهم ومسلمهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤]، قال ابن عطية: «يتضمن الإشهاد بمؤمنيهم والطعن والتنبيه على مشركيهم وحسدتهم»(٤).

---

(١) انظر سبب النزول في: صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه، (٥/ ٣٧)، رقم: (٣٨١٢)، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنه.

(٢) جامع البيان (١٩/ ٣٩٧).

(٣) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ٨٣٧).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٣٣٧).

لذلك أنكر عليهم كفرهم به مع علمهم أنَّه الحق؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾ [آل عمران: ٧٠]؛ «أي: وأنتم تشهدون أنَّ القرآن حق وأنَّ محمدًا رسول الله تجدونه مكتوبًا في التوراة والإنجيل»(١).

إذن، فالعلم المحمود في الآيات السابقة، إنَّما هو العلم بأحقية القرآن المقترن أيضًا بالإيمان به، يفسر ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد: ١٩].

أمَّا العلم بدون إيمان فذكره في بعضها، تبكيتًا وتوبيخًا لهم؛ لأنَّ مَن يعرف الحق كان واجبًا عليه اتباعه، لكن حالة المكذبين من أهل الكتاب خلاف ذلك، فَذُكِّرُوْا بعلمهم بالحق، وَوُبِّخُوْا على مخالفته.

الفرع الثالث

وعد الله ببيان أحقية القرآن

إنَّ من عناية الله تعالى بكتابه وعده أن يري عباده ما يوقفهم على ما فيه من الحق؛ فالقرآن بما تميز به من الحق الخالص الذي لا يشوبه شيء من الباطل سيظل حقه ظاهرًا؛ إذ لا بد أن يرى العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أنَّه وحي من الله إلى رسوله ﷺ، حق ليس بالباطل، فصل ليس بالهزل، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فصلت: ٥٣]؛ أي: القرآن، فإنَّه المتقدم في قوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ [فصلت: ٥٢](٢).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٧).

(٢) انظر: مدارك التنزيل (٣/ ٢٤٣) وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٤٨).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقًّا منزلًا من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، على رسوله ﷺ بدلائل خارجية في الآفاق؛ من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان»[١].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سنريهم دلالات صدق القرآن، وعلامات كونه من عند الله في الآفاق وفي أنفسهم»[٢].

والآفاق من مادة: (أفق)، قال ابن فارس: «الهمزة والفاء والقاف أصل واحد، يدل على تباعد ما بين أطراف الشيء واتساعه، وعلى بلوغ النهاية»[٣]. أي: سنريهم صدق آياته في كل النواحي إلى منتهاها بيانًا وكمالًا وصدقًا وعدلًا[٤].

قلت: في الآية وعد إلٰهي بنشر القرآن وبثه في الأرض، وهذا هو واقع الحال؛ فكلما جاء زمن ازداد القرآن انتشارًا في نواحي الأرض وكثر من يتلوه ويقرؤه وكثرت مصاحفه.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: وعد آخر أن يريهم من آياته في أنفسهم، وفي القرآن من الحديث عن النفس والإنسان ما يرى الناس فيه من دلائل صدقه وظهور حقه، ولا يزال ذلك الظهور والإظهار لآياته، حتى يتبين لهم حقيقة ما جاء به القرآن، وصدق من جاء به[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١٨٧).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٩٩).
(٣) مقاييس اللغة، مادة: (أفق) (١/ ١١٤).
(٤) انظر: نظم الدرر (١٧/ ٢٢٥).
(٥) انظر: جامع البيان (٢١/ ٤٩٤)، وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٥/ ٦١).

الفرع الرابع

لا صمود لأي باطل كان أمام حق القرآن

بينت الآيات الكريمة أن لا تأثير للباطل الْبَتَّة على القرآن، بينما العكس هو الحاصل، كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨]، وسيأتي الحديث عن ذلك إن شاء الله في المطلب التالي.

۞ ۞ ۞

المطلب الثاني

القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢].

هذه الآيات من (سورة فُصِّلت) جاءت بعد أن ذكر الله تعالى كفر الكافرين بالقرآن؛ سفهًا منهم وبعدًا عن الحق الذي جاء به، فبيّن تعالى أنَّ القرآن ما كان ينبغي أن يكذبه عاقل وحاله حال الحفظ، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾﴾؛ أي: نفيس منيع الجانب، ﴿عَزِيزٞ ﴿٤١﴾﴾ لا يستطيع أن يغير فيه، لا الشيطان ولا أحد من أوليائه.

ثم بيَّن أنَّ من عزة القرآن حفظه عن الباطل؛ فالباطل لا سبيل له إليه لا من قريب ولا بعيد، فقال: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]؛ أي: لا يأتيه الباطل من أي جانب من الجوانب، أو ناحية من النواحي؛ فلا يزاد عليه ولا ينقص، ولا يدخله باطل من ناحية اللفظ أو المعنى أو الأسلوب أو الحكم أو القصة أو الأخبار أو أي حال من الأحوال، فلم يأته الباطل ولن يأتيه لا قبل نزوله ولا بعد نزوله، لا في السماء ولا في الأرض، وكيف يأتيه الباطل وهو تنزيل الحكيم الحميد؟[1]

---

(١) انظر: جامع البيان (٢١/ ٤٧٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٣٦)، وتفسير القرآن، للسمعاني (٥/ ٥٦)، والتحرير والتنوير (٢٤/ ٣٠٩).

إنَّ الباطل الذي انتشر في الأرض قبل نزول القرآن فراج رواجه، وعظم انتشاره، وكثر نُسَّابهُ، وهملجت البراذين بأهله[١]، قُذف بالقرآن فدمغه[٢] فكان سرابًا أهيلًا[٣] مضمحلًا، زاهقًا ومبددًا، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ يدل على سرعة ذهاب الباطل واكتمال زواله؛ أفاد ذلك المفاجأة في (إذا) الفجائية، وفيه دلالة قوة حق القرآن، وضعف الباطل أمامه[٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٨ ـ ٤٩].

قال الطبري: «﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو الوحي؛ يقول: ينزله من السماء، فيقذفه إلى نبيه محمد ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾؛ يقول: علّام ما يغيب عن الأبصار، ولا مَظْهَر لها، وما لم يكن مما هو كائن، وذلك من صفة الرب.. ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾؛ يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحي الله»[٥]، ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾؛ «استعار له الإبداء والإعادة ونفاهما عنه، كأنَّه قال: وما يصنع الباطل شيئًا»[٦].

---

(١) جملة معناها سير الدابة بسرعة وبخترة، وتطلق على من تكبر وتجبر من الناس. انظر: تاج العروس، مادة: (هملج) (٦/ ٢٨٥).

(٢) من الفعل: دمغ «يكسر دِمَاغَهُ، وحجّة دَامِغَة كذلك. ويقال للطّلعة تخرج من أصل النّخلة فتفسده إذا لم تقطع: دامغة، وللحديدة التي تشدّ على آخر الرّحل: دامغة، وكلّ ذلك استعارة من الدَّمْغ الذي هو كسر الدّماغ». المفردات في غريب القرآن (١/ ٣١٨).

(٣) أَهْيَلُ: مُنْهال لَا يَثْبُتُ. لسان العرب، مادة: (هيل) (١١/ ٧١٤).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٦/ ٦٠).

(٥) جامع البيان (٢٠/ ٤١٩).

(٦) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (٤/ ٣٧٨).

إذن، أوضحت الآيات أنَّ الباطل ليس له تأثير الْبَتَّة على القرآن لا من قريب ولا من بعيد، لا في معناه ولا في مبناه، وأن القرآن مصون محفوظ عنه في نزوله وبعد نزوله وعلى الدوام.

بينما كانت الحال على عكس ذلك تمامًا؛ حيث كان للقرآن أثره الدامغ على الباطل فأزاله وحلَّ مكانه، فبالقرآن بُدِّل بالكفر إيمانًا، وبالشرك توحيدًا، وبالكذب صدقًا، وبالمنكر معروفًا، وبالنفاق تصديقًا، وبالرذائل فضائلَ، وملأ الدنيا من الخير عن الشر بدائلَ، ولو لم يقدِّر الله ذلك كذلك، لم يُرَ نُوْرٌ يُهْتَدَى به، ولم يَسْطَعْ حَقٌّ يُقْتَدَى بِه، لكن الله لطيف بعباده، معز لدينه وكتابه.

۞ ۞ ۞

المطلب الثالث

حفظ قصصه وأخباره عن الباطل والكذب

في حديث القرآن عن حفظه، تحدث عن حفظ قصصه وأخباره، وأنَّها محفوظة بحيث يزول أدنى الشك في صدقها وموافقتها للواقع، هذا الحديث عن حفظ قصص القرآن وأخباره يتمثل في فرعين:

الأول: إسناد قصصه وأخباره إلى الله تعالى.

الثاني: وصف قصصه وأخباره بكمال الصدق والحفظ.

الفرع الأول

إسناد قصصه وأخباره إلى الله تعالى

ورد إسناد قصص القرآن وأخباره إلى الله تعالى في عدد من الآيات؛ من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾ [غافر: ٧٨].

ومنها قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

وقوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣].

ومنها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ﴾ [الأعراف: ١٠١]،

وقوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ [هـــود: ١٢٠]، ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه: ٩٩].

تخبر الآيات السابقة أنَّ الله بذاته العليه ﷻ هو من تولى القصَّ على رسوله ﷺ، وهذا يدل على الثقة بكل ما قصَّه الله تعالى علينا وتصديقه، والجزم بأنَّه وقع كما أخبر، والاكتفاء بما ذكر.

وتدل على أنَّ القصة القرآنية حق لا زيف فيها، ولا مدخل في أحداثها للخيال الفني، ولا للخرافات والأساطير؛ بل كل ما فيها من أخبار وإخبار عن الأمم والأشخاص والكون حقائق ثابتة علميًّا وتاريخيًّا(١).

إذن، فهذه الآيات الكريمة أوضحت بصريح العبارة أن قصص القرآن وأخباره ربانية المصدر، وذلك بإسنادها إلى الله تعالى، وفي هذا الإسناد دليل على حفظها وإتقانها؛ «وذلك أَنَّ الفعل الذي يُسْنَدُ إلى الله تعالى إنما يراد به أتقن أنواع تلك الماهية»(٢).

الفرع الثاني

وصف قصصه وأخباره بكمال الصدق والحفظ

هو أحسن القصص:

وصف القرآن بأحسن الحديث، ووصفت قصصه بأحسن القصص، في إشارة إلى حفظ قصص القرآن وأخباره عن الكذب والأباطيل والمزايدات والحشو؛ فقصصه مقتصرة على الحقيقة وما فيه فائدة(٣).

---

(١) انظر: القصص القرآني، د. فضل حسن عباس (ص٤٦).
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٨٠).
(٣) انظر: السراج المنير للشربيني (٢/ ٨٨).

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وصف القرآن بأحسن القصص، له مدلوله الشمولي؛ حيث يشمل كونه أحسنها في الفصاحة والبلاغة والبيان، وأحسنها في مقاصدها، وأحسنها في أساليبها، وأحسنها في مدلول ألفاظها ومعاني تراكيبها، وأحسنها صدقًا(١).

القصص في غير القرآن، حاشا القصص الواردة في كتب السُّنَّة النبوية وكتب التاريخ مما صح سنده وعرف مصدره، أمَّا ما عدا ذلك من القصص، لا تخلو من الحشو والمزايدة التي يلجأ إليها قصَّاصها ليربطوا الحدث السابق بالحدث اللاحق في القصة؛ لكي يضفوا الجمال والشوق على ما يقصُّونه.

وقد تكون القصة لها أصل صحيح لكن زيدت بالكذب، وقد تكون مما لا أصل له. أمَّا قصص القرآن وأخباره فمنزهة عن كل ذلك؛ فكل ما فيه حق لا كذب فيه ولا تصرف بزيادة أو نقصان.

هو القصص الحق:

بعد تقرير الحقائق القرآنية تلفت الآيات الأنظار إلى أنَّ ما قرره القرآن من قصص وأخبار هو الحق وما خالفه هو الباطل؛ لأنَّ أخبار القرآن قول من يعلم السر وأخفى، كلام العلي الأعلى ﷻ.

فنجد في (سورة آل عمران) بعد ذكر حقيقة عيسى ﷺ، وأنَّه

---

(١) انظر: نظم الدرر (١/ ٣٩٠)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٦٤).

عبد ليس ربًّا كما زعمته النصارى، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢]؛ «أي: هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيد»(١).

ولما قص قصة نبي الله يوسف ﷺ قال في آخر السورة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

أحقية القرآن ظاهرة في الصدق في الأخبار والعدل في الأحكام، لذلك قال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٧].

وجمعت بعض الآيات الكريمة بين الأمرين؛ أي: إسناد القصة القرآنية إلى الله تعالى، ووصفها بالحق والصدق، كما في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الكهف: ١٣]؛ أي: نحن نخبرك يا محمد خبرهم بالصدق واليقين، المطابق للواقع»(٢).

ومن معاني ذلك نفي الريب عن قصصه وأخباره، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١]: ما كان حديثًا يفترى؛ أي: ليس هذا المقصوص الذي قصصناه عليك من خبرهم حديثًا يختلق أو يصطنع؛ بل الحق الذي لا يداخله باطل، والصدق الذي لا يخالطه كذب، واليقين الذي لا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١١/ ٢١٣).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٦/ ٤٣٣٧)، وتفسير العثيمين، سورة الكهف (ص٢٦).

يعتريه شك[١].

﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [يونس: ٣٧]؛ أي: تلك القصص التي قصَّها القرآن الكريم، مصدقة لما بين يديه؛ أي: ما قبله من الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور، ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [يوسف: ١١١]، قال مكي بن أبي طالب: «تفصيل كل ما بالعباد إليه الحاجة، من بيان أمر الله ﷻ ونهيه وحلاله وحرامه»[٢].

وفي وصفه بذلك معنى هيمنته على الكتب قبله، وبيانه البيان الذي فيه غنية عن غيره من الكتب المنزلة، قال البقاعي: «هو الجامع المجموع فيه الحكم والأحكام وجوامع الكلام من جميع الكتب السماوية في بيان مجملاتها وإيضاح مشكلاتها»[٣].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الهداية لمكي (٥/ ٣٦٥٧)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٧٣).
(٢) الهداية لمكي (٥/ ٣٦٥٧)، وانظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٧٣).
(٣) نظم الدرر (٩/ ١٢١).

المطلب الرابع

حفظ أحكامه وتشريعاته عن الحيف والظلم

بينت الآيات الكريمة حفظ أحكام القرآن وتشريعاته من وجهين هما كما يلي:

الفرع الأول

خلود أحكامه وتشريعاته وظهورها على الدين كله

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ . . .﴾ الآية [المائدة: ٤٨][1].

الفرع الثاني

حفظ أحكام القرآن وتشريعاته عن الحيف والظلم

مما قررت الآيات الكريمة من حفظ الكتاب العظيم، حفظ أحكامه وتشريعاته عن الحيف والظلم، وقررت الآيات ذلك في تنويهات تلخيصها كما يلي:

المسألة الأولى: أنزل الله القرآن ليكون فصلًا بين الناس وحاكمًا فيهم:

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥].

---

(١) [سيأتي الحديث عن ذلك في الفصل السابع صفحة ٤٣٠ وما بعدها، من هذه الرسالة].

هذا الأمر بالحكم بأحكام القرآن والتزامها؛ لأنَّ القرآن حكم الله، وليس ثمة حكم أعدل من حكمه؛ لأنَّ الله تعالى متصف بكامل العدل منزه عن الظلم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، وأمره ﷻ عدل كله كما أخبر فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠][1].

والله ﷻ حرَّم الظلم على نفسه، ومن صفاته العدل، كما قال عن نفسه العظيمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]؛ فصفة العدل ملازمة له والظلم حرمه على نفسه، وكذلك الحال في كلامه وأحكامه.

لذلك أمر رسوله ﷺ أن يحكم بالقرآن ويتحاكم إليه، ويرجع إلى ما نزل إليه من وحيه، وأكد ذلك بقوله: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ١٠٥]؛ أي: بما علَّمك وعرَّفك وأوحى به إليك[2].

المسألة الثانية: وصف أحكامه وتشريعاته بالعدل:

وبيَّن الله تعالى أنَّ حكم القرآن أحسن الأحكام، فقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، كيف يبتغون حكم الجاهلية القائم على الظلم؟ «وذلك أنَّها تستمد منطقها من القوة الغالبة، فكلما كان الشخص من ذوي الجاه ضعفت عقوبته، وكلما

---

(١) انظر: الهداية لمكي ين أبي طالب (٦/ ٤١٥١).

(٢) انظر: الوجيز للواحدي (ص٢٨٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٩).

كان من الضعفاء زادت من عقوبته، فهو يحمي الشريف ولا يحمي الضعيف»[١].

أمَّا القرآن الكريم، فإنَّ تشريعه قائم على العدل المطلق؛ ولأنَّه خال من الهوى والميل، متناسق مع ناموس الكون؛ لأنَّه كلام خالق الكون، العليم بمكان كل شيء في موضعه، المتصف بالعلم المطلق، ومن ثم كانت أحكامه أحكام المحيط بالشيء بجميع أحواله وملابستَه[٢].

لذلك قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾؛ أي: ليس أحسن ولا أقوم ولا أصدق ولا أقسط من حكم الله، كيف وهو الآمر بالقسط. وفيه أمر بلزوم الكتاب الكريم وعدم الالتفات إلى من احتكم إلى غيره، فلا حاجة لأهل الإيمان متبعي القرآن أن يتحاكموا إلى محل النقص من قوانين البشر، وبنات أفكار الناس، وعندهم القرآن فيه حكم الله وكمال العدل والقسط[٣].

وكانت هداية القرآن الكريم لأقوم الأحكام وأعظمها حكمة وتسديدًا وصوابًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]؛ وهذا يعني أنَّ من اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره[٤].

المسألة الثالثة: تضمنه الأمر بالعدل والنهي عن الظلم:

جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحث على لزوم

---

(١) شريعة القرآن لمحمد أبي زهرة (ص١٣).

(٢) انظر: القرآن شريعة المجتمع، د. عارف خليل (ص٣٥ ـ ٣٦).

(٣) انظر: بيان المعاني (٦/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

(٤) انظر: تفسير القرآن لابن أبي زمنين (٣/ ١٤)، والكشف والبيان (٦/ ٨٦)، وتيسير الكريم الرحمٰن للسعدي (١/ ٤٥٤).

العدل وتنهى عن الظلم، وتبين أنَّ إقامة العدل هو ما يريده الله ﷻ ويرضاه لعباده.

هذه الحقيقة قررتها فاتحة سورة الرحمٰن؛ حيث بدأ الخالق ﷻ بنفسه العظيمة وثنى ببيان أنَّ القرآن كلامه، فيه علمه، وقد علمه لخلقه، فهو مَن خلق الإنسان وزينه بالعقل والمعرفة، وخلق الكون بعظمته وقدرته، لتذهب الآيات بعد ذلك لبيان أنَّ العدل مراده في خلقه.

يقول ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٩].

لقد كانت الفاصلة القصيرة للآيات السابقة تنبيهًا على التروي في معناها، والتدبر في مغزاها، متضامنة، سابقها مع لاحقها، لتأتي بمعنى كلي جامع، وصورة بيانية رائعة؛ فهي تربط بين علم القرآن وما فيه من التشريعات والأحكام وخلق الكون والإنسان، وبين ما أراده الله ﷻ من العدل في كونه وخليقته، وذلك يبين أنَّ العدل في التشريع القرآني له قيمة حية؛ بل إنَّ له بعدًا كونيًّا(١).

هذا الربط بين تلك المضامين يبين حقيقة القرآن بالنسبة للكون والخلق والإنسان، له دلالاته، وكأنَّ الخطاب الإلٰهي يقول: خلقت الكون والخلق والإنسان، وعلّمت القرآن؛ لأجل أن يقام العدل في الخلق والكون، وهذه علاقة مرادة من سياق ترابط معاني الآي.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨﴾؛ أي: خلق

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية (المقدمة/ ١٣)، والحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥).

السماوات وَالْأَرْضَ بالحق والعدل، لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل»[١].

وأوضح ﷻ أنَّ أمره أمر بالعدل ووجوه البر وَالإحسان، ونهيه عن عكس ذلك؛ فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «هذه الآية أجمع آية في القرآن»[٢]؛ أي: أجمع لمقاصده العامة التي تؤول إليها مقاصد كثيرة فيه.

وتنوع خطاب الأمر بالعدل كما تنوعت مجالاته في القرآن الكريم؛ فأمر الله رسوله ﷺ بإقامة العدل: كما في قوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢]؛ أي: احكم بينهم بالعدل الذي أنزله الله إليك وأمرك به؛ فالله يحب العادلين الذين يقضون بالعدل[٣]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥].

وأمر المؤمنين بما أمر به رسوله الكريم ﷺ، فأمرهم أن يقيموا العدل فيما بينهم، ومع غيرهم، حتى مع ذوي العداوة من المشركين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ﴾ [النساء: ١٣٥]؛ أي: كونوا قوَّامين بالحق لله ﷻ، لا لأجل الناس والسمعة، فقوموا بما أوجب من العدل، واشهدوا بالحق من غير ميل إلى أقاربكم، وحيف على أعدائكم؛ بل كونوا خلفاءه شاهدين بما أراده من العدل، ولو كان على النفس وأقرب قريب، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ﴾

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤٩٠).
(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٧/ ٢٨٠).
(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٧٧)، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٩).

[الأنعام: ١٥٢][(١)].

وأمر الخلق أجمعين بلزوم العدل، وعدم الظلم؛ فقال تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرحمن: ٨]؛ أي: لا تجاوزوا العدل، وزنوا بالعدل جميع أموركم؛ لتصلوا به إلى الإنصاف والانتصاف[(٢)].

وتنوعت مجالات العدل في أوامر القرآن؛ حيث أمر المؤمنين بالعدل فيما بينهم، فقال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

وأمرهم بالعدل مع عدوهم فقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم؛ بل: استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًّا»[(٣)].

وأمر بالعدل في الأمور العامة كما سبق في الآية السابقة، وأمر بالعدل في الأمور الأسرية كخلاف الزوج مع زوجته فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

وأمر بالعدل في الأقوال والأفعال، فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥].

وأمر بالعدل في القضاء والمعاملات المالية، فقال: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ

---

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٤/ ٢٩٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ١٠٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٧/ ٤٤٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٢)، وانظر: الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٦٣٠).

عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]، وقال: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وأمر بالعدل في العبادة، فقال: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥].

مما سبق تبين أنَّ الآيات قررت حفظ القرآن في أحكامه وتشريعاته بما **يلي**:

(١) الإخبار أنَّ أحكام القرآن وتشريعاته عدل لا ظلم فيها، وأنَّه ليس حكم أحسن وأصوب منها، وتضمن القرآن للعدل في جميع أحكامه.

(٢) الأمر بتطبيق أحكامه والعمل به، والتحاكم إلى عدله، وألا تكون آياته كلمات تتلى دون أن تعظم بالعمل والتحاكم إليه، فإن صيانتها وتعظيمها لا تقتصر على تلاوتها؛ بل: في تطبيقها في واقع الحياة.

۞ ۞ ۞

المطلب الخامس

حفظه عن الهزل والخطأ

الفرع الأول

حفظه عن الهزل

الهزل في اللغة: ضد الجِدّ، وهو مذموم، يقال: «فلان يَهْزِل في كلامه، إذا لم يكن جادًّا. ويُقال: أجادٌّ أنت أم هازِل؟»[١]، «وَالْهُزَالُ: خلاف السِّمَنِ. يُقَالُ: هَزَلْت دَابَّتِي وَقَدْ هَزَلَتْ. وَهَزَلَ فِي مَنْطِقِهِ. وَأَهْزَلَ: وقع في ماله الْهُزَالُ»[٢].

أما في الاصطلاح: فقيل: هو «ألا يراد باللفظ معناه؛ لا الحقيقي ولا المجازي، وهو ضد الجِدّ»[٣]، و(الهازل): من يتكلَّمُ بالشَّيء وهوَ يُدرِكُ معناهُ؛ لكنَّهُ لا يُريدُ ذلك المعنى ولا يختَارُهُ ولَا يرضَاهُ[٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهزل: هو الذي لا حقيقة له، وهو الباطل واللعب»[٥]. وبهذا قال مجاهد[٦]، وهو معنى الهزل عند كثير من

---

(١) العين، مادة: (هزل) (٤/ ١٤).
(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٥١)، وانظر: الصحاح للجوهري (٥/ ١٨٥٠)، مادة: (هزل)، والهوامل والشوامل لمسكويه (ص٣٩).
(٣) التعريفات للجرجاني (ص٢٥٧)، وانظر: الكليات (ص٩٦١).
(٤) انظر: تيسير علم أصول الفقه (ص٩٨).
(٥) التبيان في أقسام القرآن (ص١٠٧).
(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٤/ ٣٦٢).

أهل التفسير[١].

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١١ ـ ١٤].

أكد تعالى بالقسم في الآيات السابقة حفظ القرآن عن الهزل، كما هي حال آيات كثيرة صدرت بالقسم وهي تتحدث عن حفظ القرآن.

هذا القسم يحمل مقدمة من تعظيم حفظ القرآن بين يدي تقرير أنَّ القرآن جد ليس بالهزل.

فالله تعالى يقسم بالسماء التي نزل منها القرآن، والأرض التي استقبلت نزوله، حيث كانت هدفه وغايته.

أقسم الله بالسماء ذات الرجع؛ أي: المطر النازل من السماء ليغيث الأرض المجدبة فتحيى بنزوله عندما تتصدع الأرض بناتج تلك الحياة من الثمار والأشجار، وكذلك القرآن الذي ينزل من السماء فيحيي الله به قلوب من شاء من عباده، بعد أن كانت جدباء بالجهل، مظلمة بالكفر، وله مناسبة مع القَسَم الوارد أول السورة.

قال الشيخ ابن عثيمين: «المناسبة بين القَسَمين ـ والله أعلم ـ أنَّ الأول فيه إشارة إلى الطارق الذي هو النجم، والنجم تُرمى به الشياطين الذين يسترقون السمع، وفي رمي الشياطين بذلك حفظ لكتاب الله ﷻ، أمَّا هنا، فأقسم بالسماء ذات الرجع أنَّ هذا القرآن قول فصل؛ فأقسم على أنَّ القرآن قول فصل، فصار القسم الأول مناسبته أنَّ فيه الإشارة إلى ما يحفظ به هذا القرآن حال إنزاله، وفي القسم الثاني الإشارة إلى أن

---

(١) انظر: جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي (ص١٠٩)، والمحرر الوجيز (٥/ ٤٦٧)، والبحر المحيط (٤/ ٥٤٨)، وروح البيان (١٠/ ٤٠٠).

القرآن حياة»[١].

والمقسم عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾ [الطارق: ١٣]، الضمير عائد على القرآن، أي: إنَّه لجد يراد به الفصل بين الحق والباطل، وبين المتقين والظالمين، بل: إنَّه فصل؛ أي: قاطع لكل من ناوأه وعاداه، ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ [الطارق: ١٤]؛ أي: ما القرآن بلعب ولا باطل ولا كذب؛ بل هو حق؛ كلماته كلها حق، أخباره صدق، وأحكامه عدل[٢].

كما بيَّن الله تعالى أنَّ القرآن كلام لم ينزل هزلًا أو عبثًا؛ بل ثقيلًا يحمل الجد والتكاليف التي يعقبها الجزاء والحساب، والثواب والعقاب، فقال ﷻ: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥﴾ [المزمل: ٥].

قال الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ليس بالخفيف ولا السَّفْساف[٣]؛ لأنَّه كلام ربنا تبارك وتعالى»[٤].

إنَّ كلام الهزل كلام لا قيمة له، ولا حرمة، فلا يلزم المخاطب أخذه والعمل به، وهو ضرب من ضياع الوقت، يتخلَّله ـ غالبًا ـ الكذب والباطل، أمَّا القرآن فمحفوظ عن ذلك، فكل كلمة من كلماته جد تدعو إلى العمل، وكل كلمة منه حق تدعو إلى الحق.

---

(١) تفسير العثيمين، جزء عم (ص١٥١).
(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣١٣)، والكشف والبيان (١٠/ ١٨١)، ونظم الدرر (٢١/ ٣٨٣).
(٣) السَّفْساف: «الأمر الحقير. وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لأنَّه من أَسَفَّ الرجل للأمر الدَّنِيِّ». مقاييس اللغة، مادة: (سَفَّ) (٣/ ٥٨).
(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٩٧).

الفرع الثاني

حفظه عن الخطأ

الخطأ لغة: نقيض الصواب، وأخطأتُ: أردتُ شيئًا فصرت إلى غيره، ورميتُ شيْئًا فلم أُصِبْهُ، مِنْ: أخطأ يخطئ إخطاءً وخطًا[(١)].

وفي الاصطلاح هو: «ثُبُوت الصُّورَة المضادة للحق بِحَيْثُ لَا يَزُول بِسُرْعَة، وَقيل: هُوَ الْعُدُول عَن الْجِهَة»[(٢)].

القرآن الكريم محفوظ عن الخطأ من المصدر إلى المنتهى؛ بما تَهَيَّأَ لَهُ مِنْ أسباب ذلك، وبيان ذلك فيما **يلي**:

• القرآن محفوظ عن الخطأ في مصدره:

حفظ القرآن عن الخطأ في مصدره؛ لأنَّه كلام الله تعالى المتصف بصفات الكمال والعظمة المنزه عن صفات النقائص.

إنَّ أصل منشأ الخطأ عادة إما الغفلة والنسيان، وإمَّا السهو[(٣)]، أو كلاهما معًا، والله تعالى منزه عن ذلك، قال تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئًا. يصف علمه تعالى بأنَّه بكل شيء محيط، وأنَّه لا ينسى شيئًا، تبارك وتعالى وتقدس، فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان:

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري، مادة: (خطأ) (١/ ٤٧).

(٢) انظر: الكليات (١/ ٤٢٤).

(٣) الفرق بين السهو والغفلة والنسيان: أنَّ الغفلة تكون عمَّا يكون، والنسيان عما كان، والسهو عما لا يكون، غفلت عَن هَذَا الشَّيْء حَتَّى كَانَ، تَقول: نسيت مَا عَرفته، سَهَوْت عَن السُّجُود فِي الصَّلَاة، فتجعل السَّهْو بَدَلًا عَن السُّجُود الَّذِي لم يكن. انظر: الفروق اللغوية (ص٩٧، ٩٨).

أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء.

والآخر: نسيانه بعد علمه؛ فنزه نفسه عن ذلك»[١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يغيب عنه شي ولا يغيب عن شي»[٢].

وقال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، السِّنَة عبارة عن الفتور والغفلة، والمعنى: لا يعتريه نَقْصٌ وَلَا غَفْلَةٌ وَلَا ذُهُولٌ أو سهو، ولا يغيب عن دقيق ولا جليل[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرب تعالى منزه عن الغفلة والنسيان؛ لأنَّ ذلك يناقض حقيقة العلم، كما أنه منزه عن السِّنَة والنوم؛ لأن ذلك يناقض كمال الحياة والقيومية؛ فإن النوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون كما لا يموتون»[٤].

إذا تبين ذلك وعلم أنَّ الخطأ وليد الغفلة والنسيان، أو السهو، أو كليهما، وعلم أنَّ الله تعالى منزه عن ذلك، علم بذلك نتيجة حفظ القرآن عن الخطأ في مصدره.

• حفظه عن الخطأ في منتهاه:

وكما حفظ القرآن عن الخطأ في مصدره حفظ عن الخطأ في منتهاه؛ أي: في منتهى وجهته من رحلته السماوية؛ رحلة نزوله، حتى كان محفوظًا في الصدور والسطور، وهذا الحفظ على **نوعين**:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٢٩٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٠٨).
(٣) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٥٢٣)، والبحر المحيط (٢/ ٦٠٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٦٧٨).
(٤) الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص١٩٢).

النوع الأول: الحفظ الكوني:

المقصود به ما قدَّره الله كونًا من أسباب لحفظ القرآن عن الخطأ في حروفه وكلماته، وهو داخل تحت الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

حفظ الله تعالى القرآن عن وقوع الخطأ في كلماته وحروفه، فلا يقع ذلك في مصحف من المصاحف مخطوطًا أو مطبوعًا إلا كشف وعرّف به، ولا يجتمع الناس على قراءة خاطئة، كل ذلك ناتج ما قدَّره الله للقرآن من صواب، وحفظ عن الخطأ.

يقول تعالى عن ذلك: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر: ٤ ـ ٥]؛ ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾؛ قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَعْنَاهُ: أَي: الْقُرْآن.. مَعْنَاهُ: أَنه صَوَاب كُله»[(١)]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥][(٢)].

النوع الثاني: الحفظ الشرعي:

المقصود بذلك التشريعات التي شرعها الله تعالى لحفظ القرآن عن الخطأ؛ كتعلمه وتعليمه وقراءته وإقرائه، ومن ذلك الأمر بإتقان كلماته وجمله كما نزلت، مثل قوله تعالى آمرًا رسوله الكريم: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: ١٨]، والخبر المفيد الأمر في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، ومثال النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [طه: ١١٤][(٣)].

---

(١) تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٥/٣٠٨).

(٢) [سبق الحديث عن ذلك في: مطلب: حفظ ألفاظ القرآن من التغيير والزيادة والنقصان صفحة: ١١٩، من هذه الرسالة بما يغني عن إعادته].

(٣) [سيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الخامس صفحة ٣١٠، من هذه الرسالة].

المبحث الثالث

حفظ القرآن عن إلقاء الشيطان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

المطلب الثاني: حفظ القرآن بنسخ ما يلقي الشيطان وإحكام الآيات.

المطلب الثالث: الحكمة من الابتلاء بإلقاء الشيطان.

المطلب الأول

تحقيق سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾

ذكر كثير من المفسرين عند تفسيرهم قوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] قصة الغرانيق كسبب لنزول هذه الآية، حتى صار مشتهرًا في كتب التفسير(١).

ولما لهذا الموضوع من علاقة بعنوان الرسالة فلا بد من الوقوف عند هذه الآيات. لكن، قبل الحديث عن حفظ القرآن عن إلقاء الشيطان الذي هو الغرض من البحث، لا بد من التحقيق في سبب النزول، حتى لا يبنى الأمر على غير أساسه، ولا يكلف النص غير بيانه، وتوضيح ذلك في الفرعين التاليين:

الفرع الأول

ما قصة الغرانيق؟

الغَرَانِيق هَاهُنَا: الأَصْنَام، وهي في الأصل: الذكُور من طير الماء،

---

(١) انظر: جامع البيان (١٨/ ٦٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٠)، وبحر العلوم (٢/ ٤٦٥)، والكشف والبيان (٧/ ٢٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٧/ ٤٩٢٠)، والنكت والعيون (٥/ ٣٩٨)، وتفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٤٤٨)، ومعالم التنزيل (٥/ ٣٩٣)، والكشاف (٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٢٨)، وأنوار التنزيل (٤/ ٧٥)، والدر المنثور، للسيوطي (٥/ ٣١٩).

وأحدها: غُرْنُوق وغُرْنَيْق[١].

أمَّا الروايات التي ذكرت القصة فيطول ذكرها، لذلك أكتفي بإيراد متن رواية واحدة، وذكر ما ينفع البحث من الروايات الأخرى. والرواية المختارة هي رواية البزار[٢] في مسنده عَن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.. أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان بمكة فقرأ سورة النجم حتى انتهى إلى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، فجرى على لسانه: تِلْكَ الغَرَانِيق الْعُلا الشَّفَاعَةُ منها ترتجى.

قال: فسمع ذلك (مشركو)[٣] أَهْلِ مَكَّةَ فَسُرُّوا بِذَلِكَ فَاشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢].

قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل عنه يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد..»[٤].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (غَرْنَقَ) (٣/ ٣٦٤)، وغريب الحديث، لابن الجوزي (٢/ ١٥٥).

(٢) أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، من علماء الحديث، له مسندان أحدهما كبير سمَّاه (البحر الزاخر) والثاني صغير، ومن تصانيفه: شرح موطأ مالك. توفي بالرملة سنة ٢٩٢هـ. انظر: طبقات المحدثين بأصبهان (٣/ ٣٨٦)، ولسان الميزان (١/ ٢٣٧)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي (ص٢٨٩).

(٣) في المطبوع (مشركي) والصحيح ما أثبته؛ لأن موقعها موقع الفاعل.

(٤) مسند البزار (١١/ ٢٩٦).

الفرع الثاني
تحقيق قصة الغرانيق

أولًا: قصة الغرانيق وظاهر نصوص القرآن:

بالنظر فيما تضمَّنته قصة الغرانيق، والنظر في نصوص القرآن، نجد أنَّ قصة الغرانيق تتعارض مع صريح المنطوق لآيات في كتاب الله تعالى، كقوله تعالى عن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

قال الألوسي: «ويؤيد عدم الثبوت مخالفته لظواهر الآيات؛ فقد قال سبحانه في وصف القرآن: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، والمراد بالباطل: ما كان باطلًا في نفسه، وذلك الملقى كذلك»[(١)].

ثانيًا: تحقيق الأسانيد التي رويت بها قصة الغرانيق:

وردت قصة الغرانيق بأسانيد واهية، لا يصح الاعتماد عليها عند محاققتها بقواعد علم الحديث، وبيان ذلك **كالآتي**:

الرواية الأولى: رُويت القصة عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق **ثلاث**:

الطريق الأولى: أخرجه الطبري[(٢)] عن عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ فهذا إسناد لا يحتج به؛ لأنَّ العوفي ضعيف[(٣)].

---

(١) روح المعاني (٩/ ١٧٣).

(٢) انظر الرواية: جامع البيان (١٨/ ٦٦٦).

(٣) عطية العوفي ضعيف الحفظ، مشهور بالتدليس. تقدمت ترجمته صفحة (٨١) من هذه الرسالة.

الطريق الثانية: أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي، عن أبي صالح عنه؛ وهذا إسناد موضوع؛ فقد روى الكلبي[١] وأبو صالح[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيرًا موضوعًا، وهما ضعيفان لا يحتج بروايتهما.

الطريق الثالثة: أخرجها البزار[٣]، والضياء المقدسي[٤] في «المختارة»[٥]، والطبراني[٦]، وفي سندها أمية بن خالد[٧]. وهي مع ضعفها أقوى الطرق والروايات لقصة الغرانيق، وقد سبق ذكر متنها آنفًا.

الرواية الثانية: رُويت عن محمد بن كعب القرظي، أخرجها الطبري[٨]، وهذه الرواية معلَّة بعلل ثلاث: **الأولى**: الإرسال. **الثانية**:

---

(١) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، ضعيف، اتهم بالكذب، توفي سنة ١٤٦هـ. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٧٨)، والضعفاء، لأبي نعيم (ص١٣٨).

(٢) باذام، ويقال باذان، أبو صالح، مولى أم هانىء بنت أبي طالب، قال العيني: «إذا روى عن الكلبي فليس بشيء». وقال أبو حاتم: «يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي: ليس بثقة». انظر: مغاني الأخيار، للعيني (١/ ٨٩)، والسير، للذهبي (٥/ ٣٧).

(٣) مسند البزار (١١/ ٢٩٦).

(٤) أبو عبد الله، ضياء الدين، محمد بن عبد الواحد بن أحمد، المقدسي، الأصل، الصالحي الحنبلي، عالم بالحديث، مؤرخ، توفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (٤/ ١٣٣ ـ ١٣٤)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي (ص٤٩٧).

(٥) انظر الرواية في: الأحاديث المختارة (١٠/ ٨٩).

(٦) انظر الرواية في: المعجم الكبير، للطبراني (١٢/ ٥٣).

(٧) أبو عبد الله، أمية بن خالد بن الأسود بن هدبة، ويقال: أمية بن خالد بن هدبة بن عتبة الأزدي الثوباني القيسي، البصري، من صغار أتباع التابعين، توفي سنة: ٢٠٠ أو ٢٠١هـ. ذكره العقيلي في الضعفاء (١/ ١٢٨).

(٨) انظر الرواية في: جامع البيان (١٨/ ٦٦٣ ـ ٦٦٤).

عنعنة ابن اسحاق[١] وهو مدلس، أكثرَ التدليس خصوصًا عن الضعفاء والمجهولين[٢]. **الثالثة**: فيها يزيد بن زياد[٣]، قال البخاري: «لَا يُتَابع على حَدِيثه»[٤]. وعلة الإرسال منفردة كافية في ضعف الرواية، وكرر الطبري الرواية[٥] عن أبي معشر[٦]، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس[٧] وهذا مرسل أيضًا.

وأبو معشر نجيح بن عبد الرحمٰن ضعيف، ضعفه البخاري فقال عنه: «مُنكَرُ الحديثِ»[٨].

---

(١) أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار المدني، القرشي، أقدم مؤرخي العرب، صاحب السيرة المشهورة، توفي ببغداد سنة ١٥١هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٦)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٨ ـ ٤٤).

(٢) انظر: أسماء المدلسين (ص٨١)، وتعريف أهل التقديس (ص٥١)، والتبيين لأسماء المدلسين (ص٤٧).

(٣) يزيد بن زياد، ويُقال: يزيد بن أبي زياد، ضعيف الحديث لا يحتج به. وقال ابن المبارك: إرم به، وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث كل أحاديثه موضوعة وباطلة. انظر: الضعفاء، لابن الجوزي (٣/ ٢٠٩)، وتهذيب الكمال (٣٢/ ١٣٢).

(٤) انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ٣٢٨)، والمغني في الضعفاء (٢/ ٧٤٩)، وميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٣).

(٥) انظر الرواية في: جامع البيان (١٨/ ٦٦٣).

(٦) أبو معشر، نجيح بن عبد الرحمٰن، السندي المدني، مولى بنى هاشم، قال البخاري: منكر الحديث، ونقل عن ابن مهدي قال: أبو معشر: تعرف وتنكر. وكان أحمد لا يرضاه، توفي سنة ١٧٠هـ ببغداد، في خلافة هَارُون الرشيد. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٤١٩)، وبحر الدم (١/ ١٦٠)، والكواكب النيرات (١/ ٥٠٨).

(٧) أبو إبراهيم، ويقال: أبو أيوب، ويقال: أبو عثمان، محمد بن قيس المدني، مولى يعقوب القبطي، ويقال: مولى آل أبي سفيان بن حرب، ثقة، عاصر صغار التابعين. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤).

(٨) التاريخ الكبير، للبخاري (٨/ ١١٤).

الرواية الثالثة: رُويت من مرسل أبي العالية، وأخرجها الطبري[١]، وهي ضعيفة بالإرسال.

الرواية الرابعة: رويت من مرسل سعيد بن جبير، وأخرجها الطبري[٢]، وهي ضعيفة بالإرسال أيضًا.

الرواية الخامسة: رويت من مرسل الضحاك، وأخرجها الطبري[٣]، وهي كذلك ضعيفة بالإرسال.

الرواية السادسة: رُويت من مرسل عروة بن الزبير، أخرجها الطبراني[٤]، وهي معلة بالإرسال وضعف ابن لهيعة[٥].

وهذه القصة وإن كان ابن حجر العسقلاني قد ذهب إلى تقويتها في الفتح حيث قال: «فإنَّ الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلَّ ذلك على أنَّ لها أصلًا، وقد ذكرت أنَّ ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها»[٦]، وكذلك السيوطي في الدر المنثور[٧]، ولم يكن الأمر كما قررا؛ بل خالفهم كثير من الأئمة، فيما يلي بعض أقوالهم في قصة الغرانيق:

---

(١) انظر الرواية في: جامع البيان (١٨/ ٦٦٤).
(٢) انظر الرواية في: جامع البيان (١٨/ ٦٦٦).
(٣) انظر الرواية في: جامع البيان (١٨/ ٦٦٦).
(٤) انظر الرواية في: المعجم الكبير، للطبراني (٩/ ٣٤).
(٥) أبو عبد الرحمٰن، ويقال: أبو النضر، عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي الأعدولي، ويقال: الغافقي، المصري الفقيه القاضي، من كبار أتباع التابعين، قال ابن معين: ضعيف لا يحتج به، وقال ابن مهدي: لا أحمل عن ابن لهيعة شيئًا، توفي سنة ١٧٤هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).
(٦) فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٤٣٩).
(٧) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٦/ ٦٧).

(١) قال الحافظ ابن كثير: «قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق.. ولكنَّها من طرق كلها مرسلة، وَلَمْ أَرَهَا مسندة من وجه صحيح، والله أعلم»[١].

(٢) قال الإمام أبو حيان الأندلسي: «وهي قصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق (ابن خزيمة) جامع السيرة النبوية، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتابًا»[٢].

(٣) قال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: «هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل؛ لأنَّ رواتها مطعون عليهم، وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثية شيء مما ذكروه، فوجب اطراحه»[٣].

(٤) قال القرطبي: «أما ما يضاف إليه من قولهم: تلك الغرانيق العلا، فكذب على النبي ﷺ؛ لأنَّ فيه تعظيم الأصنام، ولا يجوز ذلك على الأنبياء، كما لا يجوز أن يقرأ بعض القرآن ثم ينشد شعرًا ويقول: غلطت وظننته قرآنًا»[٤].

(٥) وقال العلامة الشوكاني: «قال إمام الأئمة ابن خزيمة: إنَّ هذه القصة من وضع الزنادقة»[٥].

(٦) ألف العلامة الألباني كتابًا نفيسًا في إبطال قصة الغرانيق سمَّاه: «نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق».

قلت: وإضافة إلى كون الروايات التي وردت من طريقها القصة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٤٤١).
(٢) البحر المحيط (٧/ ٥٢٦). (٣) المرجع السابق (٧/ ٥٢٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ٨٦).
(٥) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٥٤٦).

مرسلة ضعيفة، والمرفوع منها متهالك عن الوصول إلى مراتب الاحتجاج؛ بسبب ضعف سنده ـ كما سبق بيانه ـ، فهي أيضًا منكرة.

والمعروف[1] ما جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: **«أَنَّ النَّبِيَّ قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ، فَسَجَدَ بِهَا، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ القَوْمِ إِلَّا سَجَدَ، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ كَفًّا مِنْ حَصًى ـ أَوْ تُرَابٍ ـ فَرَفَعَهُ إِلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ: يَكْفِينِي هَذَا، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدُ قُتِلَ كَافِرًا»**[2].

ولم تذكر الرواية المعروفة الصحيحة قصة الغرانيق، مما دل على اختلاقها وعدم ثبوتها.

إذن لماذا سجد المشركون مع الرسول ﷺ؟

يرى الباحث أن سبب سجود المشركين مع الرسول هو أنَّ القرآن قرع أسماع الكافرين بالوعيد والترهيب، فأرعبتهم هذه الآيات، لا سيما آخر سورة النجم حيث ذكر إهلاك عاد وثمود وقوم لوط: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [النجم: ٥٠ ـ ٥٣]، ثم عقب ذلك بالأمر بالسجود: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦٢]، فظن المشركون أنَّهم إن لم يسجدوا سيحيق بهم ما حاق بهؤلاء الأقوام، وظنوا أنَّهم لو سجدوا ـ حتى ولو عن غير إيمان بهذه الدعوة ـ أنَّهم ينجون من العذاب، وقد كانوا يعلمون أنَّ النبي ﷺ صادق، وأنَّ الإنذار الذي يأتي به لا محالة واقع.

---

(١) **الحديث المعروف**: ما رواه الثقة مخالفًا للضعيف. **والمنكر**: ما رواه الضعيف مخالفًا للثقة. انظر: نخبة الفكر (ص٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب سجدة النجم (٢/ ٤١). ومسلم: كتاب المساجد، باب سجود التلاوة (١/ ٤٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

المطلب الثاني

حفظ القرآن بنسخ ما يلقي الشيطان وإحكام الآيات

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢﴾ [الحج: ٥٢].

﴿تَمَنَّىٰٓ﴾: من الأمنية وهي التلاوة، كما قال الشاعر في رثاء عثمان بن عفان حين قتل:

تَمَنَّى كتاب الله أوّلَ ليلِهِ وآخره لاقى حمام المقادر[١]

أي: ألقى الشيطان عند قراءته ما ليس منه، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد قال سليمان بن حرب[٢]: إنَّ (في) بمعنى عنده؛ أي: ألقى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي ﷺ، كقوله: «﴿وَلَبِثۡتَ فِينَا﴾ [الشعراء: ١٨]؛ أي: عندنا»[٣].

لكن هذا الإلقاء لا يقع على لسان نبيه إنَّما يتكلم به الشيطان بلسانه ليوهم من يسمع أنَّه من كلام رسوله.

---

(١) البيت: نسبه القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى كعب بن مالك. انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢/ ٦).

(٢) أبو أيوب، سليمان بن حرب أبو أيوب الواشحي، الأزدي البصري، قدم بغداد وحدث بها، وولي قضاء مكة، وتوفي بالبصرة سنة: ٢٢٤هـ. انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٤/ ١٠٨)، ووفيات الأعيان (٢/ ٤١٨ ـ ٤٢٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ٨٣).

وقد يكون المعنى ليس إلقاء الشيطان في قراءة الرسول ﷺ، إنَّما ما يعارض به الشيطان حق القرآن بالباطل، وصدقه بالكذب، وموازين القرآن بموازينه، عندما يحاول الشيطان فرض ذلك على الطبيعة البشرية للأنبياء، فيبقى ميزان القرآن هو المعمول به عند أنبيائه وأتباعهم، ويزال ويرفع ميزان الشيطان بعد إلقائه، فلا ثبات للباطل أمام القرآن(١).

مثال ذلك: تصحيح تصرف الرسول ﷺ مع ابن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه حيث كان حريصًا على طلب الهداية، مقبلًا على الرسول ﷺ، والرسول معرضًا عنه منشغلًا بدعوة بعض صناديد قريش، ودفعه إلى ذلك رغبته في هدايتهم.

فيأتي الخطاب الإلٰهي في معرض عتاب الحبيب لحبيبه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ [عبس: ١ ـ ١٢]؛ فهذه الآيات ردت للدعوة موازينها الحقة بتصحيح تصرف الرسول ﷺ، وأحكمت الآيات بنسخ الموازين المخالفة لموازينها.

قلت: تفسير بعض المتأخرين للآية على هذا المنحى له وجهة؛ لأن كلمتي (تمنى) و(أمنيته) في الآية تحمل المعاني التي ذكروها؛ فمن معاني الأمنية التلاوة، ولكن لها معنى آخر: هو: شيء يقع في النفس محبة لوقوع فعل، النفس قد هوت تحققه، فهي تريد حصوله(٢).

فيصح والمعنى هذا تفسير الأمنية على هذا المنحى، وهو أنَّ الرسول ﷺ كان يتمنى تحقق الموازين القرآنية، والشيطان يريد خلاف

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١/ ٤١٦).

(٢) انظر: الفروق اللغوية، للعسكري (ص١٢٣).

ذلك، فيخبر الله تعالى في الآيات السابقة، أنَّ موازين القرآن محكمة ماضية، ولا سبيل للشيطان للوقوف أمام تحققها، وأنَّ أمنية الرسول ﷺ تحقق ذلك حاصلة لا محالة، وأنَّ أي محاولة من الشيطان لمعارضة موازين القرآن بموازينه، سرعان ما تنسخ بتصحيح المسار ورده إلى موازين القرآن الكريم، والله أعلم بمراد كلامه.

ويتجلى حفظ القرآن في هذه الآيات كالتالي:

الفرع الأول

إزالة الباطل وما يلقي الشيطان

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج: ٥٢]؛ حيث تظهر الآية تلك الحصانة الإلٰهية التي حظي بها القرآن الكريم من حماية الله له مما يريد أن يجتاح سياج صونه وجدار حفظه؛ فلا يجوز دخول الباطل عليه أو اقترابه من كلماته المصونة المحفوظة.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَحْفَظُ آيَاتِهِ وَيُحْكِمُهَا حتى لا يخالطها غيرها ولا يُدَاخِلَهَا التغيير ولا التبديل»(١).

ويكون مصير الباطل أن يُمحى ويزال، كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ [الشورى: ٢٤].

وهذه الحصانة من إلقاء الشيطان تتسم بالكمال والتمام، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، «قال بعضهم: لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه

---

(١) الموافقات، للشاطبي (٢/ ٩١).

حقًّا، ولا يزيد فيه باطلًا، قالوا: والباطل هو الشيطان»[١].

الفرع الثاني

إحكام الآيات بتثبيتها وإحقاق الحق في ألفاظها ومعانيها

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢﴾؛ أي: يثبتها، ويخلصها من الباطل الذي ألقاه الشيطان، وقوله: ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ﴾: «للترتيب الرُّتْبِيِّ؛ لِأَنَّ إحكام الآيات وتقريرها أهم من نسخ ما يلقي الشيطان؛ إذ بالإحكام يتضح الهدى ويزداد ما يلقيه الشيطان نسخًا»[٢].

ومثله قوله تعالى: «﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٤﴾ [الشورى: ٢٤]؛ أي: يثبت كلامه المنزل، ويزيل الباطل[٣].

۞ ۞ ۞

(١) جامع البيان (٢١/ ٤٨٠)، وهذا التفسير جزء من معنى الآية، وليست الآية مقصورة عليه، بل تفسيرها يشمل كل حفظ للقرآن عن كل باطل.

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٣٠٠)، وانظر: الهداية لمكي (٧/ ٤٩١٧)، ولباب التأويل (٣/ ٢٦٢).

(٣) انظر: الهداية لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٥٨٨).

المطلب الثالث

الحكمة من الابتلاء بإلقاء الشيطان

إلقاء الشيطان، «محنة من الله ﷻ وله أنْ يمْتحن بما شاء»[١]، لكن هذا الابتلاء له حِكم وأغراض تلخيصها ما يلي:

(١) فتنةً (أي: ابتلاءً واختبارًا) للذين في قلوبهم مرض الشرك، أو النفاق الذي هو نتاج الشبهة والجهل[٢]، والقاسية قلوبهم الجافة عن قبول الحق، فيبقون في شك وحيرة وشقاق، وترديد لإلقاء الشيطان واستجابتهم لموازينه المخالفة لموازين القرآن، كما قال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣]. قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لِأَنَّ ذلك أَوْرَثَ شبهة عندهم، والقاسية قلوبهم ليبسها، فأولئك قلوبهم ضعيفة بالمرض فصار ما ألقى الشيطان فتنة لهم، وهؤلاء كانت قلوبهم قاسية عن الإيمان فصار فتنة لهم»[٣].

ثم قال: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾؛ الظالمون هم المشركون والمنافقون أصحاب القلوب المريضة والقاسية، هؤلاء الظالمون في خلاف وعصيان ومحادة لله ورسوله.

(٢) أن يعلم المؤمنون الذين أوتوا القرآن فوعت قلوبهم اللينة والسليمة حفظًا وفهمًا أنَّ هذه الآيات المحكمات هي الحق من الله تعالى

---

(١) معاني القرآن، للزجاج (٣/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤).
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١١٠).
(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٩٥).

فيزدادوا يقينًا وإيمانًا بها، وتسكن قلوبهم وتخشع لذلك، والله تعالى وليهم وهو هاديهم إلى الصراط المستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

أمَّا أصحاب القلوب المريضة، العمياء عن إبصار الحق الواضح في آيات الله، فأرداهم الشك المتعمق في قلوبهم عن الإيمان بيقينية القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحج: ٥٥]، هذا الشك الذي صدهم عن الإيمان بأعظم اليقينيات، وأقطع القطعيات شك ملازم لهم مستمر فيهم ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٥].

وشتان بين أهل اليقين والإيمان وأهل الشك والكفران؛ حيث كان القرآن لكلٍّ منهم بحسب حاله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤].

وفرق بين هؤلاء وأولئك؛ فلا يستوي مؤمن بحفظ القرآن وكافر به، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

حفظ القرآن عن المعارضة والتناقض والاختلاف

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى حفظ القرآن عن المعارضة.

المبحث الثاني: التحدي وعجز المكذبين عن معارضة القرآن.

المبحث الثالث: حفظه عن التناقض والاختلاف.

المبحث الأول

معنى حفظ القرآن عن المعارضة

معنى حفظ القرآن عن المعارضة

قبل الحديث عن حفظ القرآن عن المعارضة يجدر التعرف على معنى المعارضة، والتعرف على معنى حفظ القرآن عن المعارضة، **وفيما يلي بيان ذلك:**

المعارضة لغة: من عارض الشيء معارضة؛ أي: قابله، وقيل: المقابلة على سبيل الممانعة، يُقَال: لفُلَان ابْن يُعَارضهُ؛ أَي: يُقَابله بالدفع وَالْمَنْع، ومنه سمِّي الْمَوَانِع عوارض[١].

واصطلاحًا: «إقامة الدليل على خلاف ما أقام الدليل عليه الخصم»[٢]، وهي أيضًا: الإتيان بمثل كلام الآخر أو صنيعه، وَمِنْه حديث الحسن بن علي أَنَّه ذكر عمر فأخذ الحسين رضي الله عنهما في عراض كلامه، أي: في مثل قوله ومقابله[٣][٤].

ماهية حفظ القرآن عن المعارضة:

تتمثل ماهية حفظ القرآن عن المعارضة في أنَّ الله تعالى أودع في

---

(١) انظر: المحكم، لابن سيده (١/ ٣٩٤)، ولسان العرب (٧/ ١٦٧)، مادة: (ع ر ض)، والتعريفات، للجرجاني (ص٢١٩)، والكليات (ص٨٥٠).

(٢) التعريفات، للجرجاني (ص٢١٩).

(٣) انظر: تاج العروس، مادة: (عرض) (١٨/ ٤٢٠).

(٤) الأثر في: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢١١)، ولسان العرب (٧/ ١٦٧)، وتاج العروس (١٨/ ٤٢٠)، مادة: (عرض). ولم أجده في شيء من كتب الأثر والسير أو التاريخ فيما تيسر لي من مصادر.

كتابه في لفظه ومعناه، ونظمه وفصاحته وبيانه، وسائر ما اختص به من صفات الكمال، ما أعجز أفصح الفصحاء، وأتقن الأدباء، وأذكى الشعراء، وحذاق اللسان، وعلماء البيان أن يأتوا بمثله أو طائفة منه، مع احتفاف مقام الحال بالدوافع والبواعث التي تدعوهم لذلك، ومع محاولاتهم ـ المقترنة بالعجز ـ فعل ذلك، وهذا خلاف ما ذكره بعض المتحدثين[١] من القول بالصرفة.

وتعني الصرفة: «أن الله صرف العرب عن معارضته على حين أنَّه لم يتجاوز في بلاغته مستوى طاقتهم البشرية»[٢]. ويلزم من القول بالصرفة ما **يلي**:

(١) أنَّ القرآن ليس في درجة من البلاغة والفصاحة تمنع محاكاته، وتعجز القدرة البشرية عن أن تأتي بمثله.

(٢) أنَّه ككلام الناس لا يزيد عليه شيئًا في بلاغته، أو في معانيه[٣].

هذه لوازم القول بالصرفة، ولا يخفى بُعدها عن الحق ومخالفتها لوصف الله تعالى لكتابه بالكمال والإعجاز.

وتنصرف فكرة القول بالصرفة، إلى أنَّ أساس انصراف العرب عن

---

(١) ذهب إلى هذا القول إِبْرَاهِيم بن سيار الْبَصْرِيّ، الْمَعْرُوف بالنظَّام من المعتزلة، والمرتضى من الشيعة، وأبو إسحاق الإِسْفَرَايِيْنِي الشافعي، وعلي بن عيسى، أبو الحسن الرماني المعتزلي. قال الرُّمَّانِيُّ: «وجوه إعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة والصرفة والبلاغة والإخبار عن الأمور المستقبلة». انظر: الإتقان (٤/ ١٨)، ومناهل العرفان (٢/ ٤١٤).

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٤١٤).

(٣) انظر: الإتقان (٤/ ٨)، والمعجزة الكبرى القرآن (ص٥٨).

معارضة القرآن، ليس أنَّ القرآن بلغ حدًّا من الإعجاز، بحيث لا تسمو إليه قدرة البشر؛ بل سبب ذلك واحد من **ثلاثة**:

الأولى: أنَّ بواعث المعارضة ودواعيها لم تتوفر لديهم.

الثانية: أنَّ شيئًا صرفهم عن معارضته، فكسلوا وقعدوا عن معارضته، وإن كانت البواعث موجودة.

الثالثة: أنَّهم سُلبوا القدرة على معارضته، في عارض مفاجئ خطف منهم بلاغتهم، وعطل منهم مواهبهم اللغوية والبيانية[(١)].

أمَّا الجواب على هذه الفرضيات، فبادئ ذي بدء من كتاب الله الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]؛ «فإنَّه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سُلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يُحتفل بذكره»[(٢)]، وهذا يعني مخالفة القول بالصرفة للقرآن الكريم.

كما سجل التاريخ والواقع بالتواتر بطلان الفرضيات الثلاث التي يعتمد القول بالصرفة على واحد منها، **وفيما يلي بيان ذلك**:

(١) الفرض الأول يرده ما جاء مسجلًا في التاريخ بالتواتر من وجود دوافع المعارضة لدى المخاطبين بالقرآن، ويظهر ذلك فيما **يلي**:

أ ـ تحدي القرآن لهم غير مرة أن يأتوا ولو بسورة من مثل سوره.

ب ـ أنَّ العرب المشهورين بالحميَّة والأنفة والاستنفار للتحدي قد تحداهم القرآن بذلك، والمتوقع والحالة هذه أن يلبوا النداء.

---

(١) انظر: إعجاز القرآن، للباقلاني (ص٣٠)، وإمتاع الأسماع (٤/ ٢٣٣)، ومناهل العرفان (٢/ ٤١٤).

(٢) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص٢٦٨ ـ ٢٦٩).

ج ـ أنَّ القرآن الكريم أقضَّ مضاجع جاهليتهم، وهدم أركان موروثاتهم الوثنية، وحطم عقائدهم المتغلغلة وقد ورثوها كابرًا عن كابر، أليس هذا كافيًا لإجابتهم لحضور مشهد المعارضة؟

د ـ أنَّ اللغة العربية التي نزل بها القرآن هي ديدن التنافس في مواطن الكلام لديهم، فكيف لا يبتدرون ميدان التحدي وقد دعوا إليه؟![1]

(٢) أمَّا الفرض الثاني فجوابه أنَّهم قد حاولوا معارضته، وأجلبوا وجنَّدوا طاقتهم لذلك، وأنَّ دعوة التحدي قد وجدت طريقها إلى نفوسهم، لكنَّ الفشل والعجز الذي أقعدهم، ويدركون في كل ذلك أنهم لو قضوا على القرآن قضوا على الدين الذي يرونه ألد أعدائهم، فلم يأل هؤلاء جهدًا في محاربة القرآن، وكم حاولوا أن يثبتوا لغيرهم أنَّه مجرد كلام عادي، من ضرب النثر والشعر، لكنَّهم عجزوا وهم الشعراء والأدباء أن يأتوا بمثله[2].

وقد بيَّن الله تعالى حرصهم على ذلك فقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢]، ونور الله هو القرآن[3].

«والآية تشعر بأنَّ هؤلاء الكافرين الكارهين له سيحاولون في المستقبل إطفاء هذا النور، كما حاولوا ذلك في عصر من أتمه وأكمله بوحيه إليه وبيانه له»[4].

---

(١) انظر: مناهل العرفان (٢/ ٤١٧ ـ ٤١٨).
(٢) انظر: المرجع السابق (٢/ ٤١٧ ـ ٤١٨).
(٣) انظر: جامع البيان (٢٣/ ٣٦٠)، والنكت والعيون (٥/ ٥٣٠).
(٤) تفسير المنار (١٠/ ٣٣٧).

(٣) جواب الفرض الثالث: أنَّ الذي أقعدهم عن معارضة القرآن هو اقتناعهم بإعجازه، وعجزهم الفطري عن معارضته، «ولو أنَّ عجزهم هذا كان لطارئ مباغت عطل قواهم البيانية لأُثِرَ عنهم أنَّهم حاولوا المعارضة بمقتضى تلك الدوافع القوية التي شرحناها ففوجئوا بما ليس في حسبانهم، ولكان ذلك مثار عجب لهم ولأعلنوا ذلك في الناس ليلتمسوا العذر لأنفسهم وليقلِّلوا من شأن القرآن»[١].

بناءً على ما سبق ذكره في الحديث عن معنى المعارضة في اللغة والاصطلاح، وأنَّ معناها أساسًا مبني على مقابلة شيء بشيء على سبيل المساواة بينهما، وبناءً أيضًا على ما سبق بيانه من بطلان القول بالصرفة، فإنَّ **معنى حفظ القرآن عن المعارضة هو:**

حفظه عن أن يساويه أو يماثله أو يضاهيه شيء من الكلام في نظمه وبلاغته وفصاحته، وسائر ما اختص به من الانفراد والكمال، وذلك تبعًا لما أودع لفظه وبيانه ونظمه من الإعجاز، بحيث يستحيل على حذاق اللسان العربي أن يأتوا بمثله أو طائفة منه.

❁ ❁ ❁

(١) مناهل العرفان (٢/٤١٨)، وانظر: دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل (ص٣٦١).

المبحث الثاني

التحدي وعجز المكذبين عن معارضة القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوى المكذبين معارضة القرآن واستحالة ذلك.

المطلب الثاني: دلالة التحدي وعجز المكذبين عن المعارضة على حفظ القرآن.

المطلب الثالث: أنواع التحدي في القرآن.

المطلب الأول

دعوى المكذبين معارضة القرآن واستحالة ذلك

ذكرت الآيات الكريمة دعوى المكذبين قدرتهم على معارضة القرآن فقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١].

يسهل التقول وإظهار الدعاوى والتهويل لها لتنفق عند مستمعيها، لكنَّها تكشف عند محاققتها بالأدلة والواقع، هل هي ذات حقيقة، ومبنية على أدلة واضحة صحيحة؟ أم ذات شعارات مزيفة، بعيدة عن الحقيقة والواقع، مبنية على شفا جرف هار، سريعًا ما تنهار بمجرد فتح باب التحدي لإثبات الدعوى، فلا دليل بعد ذلك يشهد لتلك الدعوى حيث تصبح خزيًا ووبالًا على أصحابها؟ هذه الأخيرة هي واقع دعوى معارضة القرآن التي تزعمها النضر بن الحارث[1]، وكان يختلف إلى أرض فارس فيسمع أخبارهم عن رستم وإسفنديار وكبار العجم، ويمر باليهود والنصارى فيسمع منهم التوراة والإنجيل، وكان يدعي قدرته على معارضة القرآن في زمن الرسول ﷺ، سهل عليه المقال ولم يصدِّق ذلك بالفعال، وليس وحده بل كان ذلك زعم جمع من المشركين المناهضين لدعوة

---

(١) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، القرشي، كان من صناديد الكفر في قريش، حامل لواء المشركين في التشكيك والطعن في القرآن وصدق الرسول ﷺ، أُسر يوم بدر وأمر رسول الله ﷺ بقتله، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: السير والمغازي، لابن إسحاق (ص٢٠٠ ـ ٢٠٢)، والسيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٦٤٤).

القرآن؛ لذا قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١].

قالوا ذلك مكابرة منهم مع علمهم أنَّ القرآن لا يشابه كلامهم وليس على الوصف الذي وصفوه، لكنهم أرادوا عن هوى رده وعدم الاستجابة له، من ثم بنوا دعواهم على الكذب لعل ذلك يروج على بسطاء التفكير وضعفاء التقدير الذين تقنعهم التهاويل، وتهزهم مجرد الأقاويل. أمَّا أهل البصيرة من المؤمنين فيعلمون كذب تلك الدعوى، لعلمهم بقيمة القرآن وما يميزه عن غيره. فلما تحداهم القرآن أن يحضروا مشهد المعارضة، وأن يجلبوا من شاءوا، ويستعينوا بمن شاءوا، حتى لو أرادوا الاستعانة بغير بني جنسهم من المخلوقات العاقلة والمفكرة من جن شياطين ليتعاونوا جميعًا على هذا الغرض.

لما فتح هذا الباب الواسع من التحدي ازداد أهل البصيرة بصيرة بالنتيجة الحتمية من عجز معارضي القرآن وقهر القرآن لهم، وعلوه عليهم نظمًا وترتيبًا ولفظًا ومعنى وفصاحةً وبيانًا، وصدق الله إذ قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]؛ أي: «عَوْنًا مُعينًا لهم على ذلك»(١).

إذن، فهم فاشلون عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن، حتى لو استخدموا أعظم الوسع في الاستطاعة، وهو اجتماع الجن والإنس متعاونين على ذلك، وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾؛ إن لم تأتوا بسورة من مثله، فقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ٢٦١).

وأعوانكم، فتبين لكم بامتحانكم واختباركم عجزكم وعَجزُ جميع خلقي عنه، وعلمتم أنَّه من عندي، ثم أقمتم على التكذيب به»[١].

وكان عجزهم عن المعارضة بحد ذاته داع لهم للتوبة من تكذيب القرآن؛ لذا رهَّبهم وذكَّرهم بمصير من استمر على طريق الجحود والتكذيب، فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤].

قال القسطلاني[٢]: «فلا ريب أنَّه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه، وفي بلاغته قد أصاب المعاني بصائب سهمه؛ فإنَّه حجة الله الواضحة، ومحجته اللائحة، ودليله القاهر وبرهانه الباهر، ما رام معارضته شقي إلا تهافت تهافت الفَراش في الشهاب[٣]، وذلَّ ذُلَّ النقد حول الليوث الغضاب[٤]»[٥].

---

(١) جامع البيان (١/ ٣٧٩).

(٢) أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر، الْقُسْطَلَّانِيّ الأَصْل، الْمصْرِيّ الشَّافِعِي، له: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»، و«المواهب اللدنية في المنح المحمدية» في السيرة النبويّة، و«لطائف الإشارات في علم القراءات»، وغيرها، توفي سنة ٩٣٢هـ. انظر: الضوء اللامع (٢/ ١٠٣)، والبدر الطالع (١/ ١٠٣).

(٣) الشِّهابُ: شُعْلَةُ نارٍ ساطعةٌ. انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٢٢٠)، والصحاح، للجوهري (١/ ١٥٩)، مادة: (شهب).

(٤) «ذل النقد حول الليوث الغضاب»؛ أي: ذل كذلة صغير الغنم بين الأسود الغاضبة، في إشارة إلى ضعفهم أمام قوة القرآن؛ لأنَّ أصل الليث القُوَّة والشِّدة، أمَّا النقد فيطلق على عدة معان منها: صغار الْغَنَم، وَبِهَا يُشَبَّهُ الصَّبِيُّ الْقَمِيُّ الذي لا يكاد يَشِبُّ. انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٦٨)، وتاج العروس (٥/ ٣٥٢)، مادة: (نَقَدَ).

(٥) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ٢٤٦).

المقصود أنَّ الله تعالى حفظ القرآن عن المعارضة بما أودعه فيه من عظيم الفصاحة وكامل البيان والإعجاز؛ فما سواه من الألفاظ ولو من أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، وأريب[١] الأدباء، وأحوذي[٢] الشعراء عجزت أن تعارضه أو تضاهيه، وقصرت عن بلوغ نهايات كماله وعظيم ما جاءت به كلماته.

إنَّ كل من حاول معارضة القرآن باءت محاولته بالفشل والعجز، فمنهم التائب بعد ذلك، ومنهم المعاند فلحق به الهوان والخزي. «وقد حُكي أنَّ ابن المقفع[٣] طلب معارضة القرآن وشرع فيه فمر بصبي يقرأ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤]، فرجع فمحا ما عمل وقال: أشهد أنَّ هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر.

وكان يحيى بن حكم الغزال[٤] بليغ الأندلس في زمنه، فحكي أنَّه رام شيئًا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليأتي على أسلوبها وينظم الكلام على منوالها، قال: فاعترتني منه خشية ورقة حملتني

---

(١) الأريب: ذو الدهاء والفطنة. انظر: المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين (١/ ١٢).

(٢) الأحوذي: هو المشمر في الأمور الذي يسوق الأمور أحسن مساق لعلمه بها. انظر: تهذيب اللغة (٥/ ١٣٣)، وتاج العروس (٩/ ٤٠١)، مادة: (حوذ).

(٣) عبد الله بن المقفع، أحد البلغاء الفصحاء، كان من مجوس فارس ثم أسلم على يد الأمير عيسى عم السفاح، وكتب له واختص به، واسم المقفع: ذادويه، كان يتهم بالزندقة، توفي سنة ١٤٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٦/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، ولسان الميزان (٣/ ٣٦٦).

(٤) يحيى بن حكم الأندلسيّ، الشّاعر الملقَّب بالغزال، له ديوان معروف، وشعره كثير مجموع جمعه حبيب بن أحمد، توفي سنة ٢٥٠هـ. انظر: بغية الملتمس (ص٥٠١)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (١٨/ ٥٤٦).

على التوبة والإنابة»[١].

إنَّ هذا المدعي استطاعته معارضة القرآن ليس هناك أظلم منه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وعلة ذلك أنَّ دعواه غاية في الكذب والافتراء؛ لأنه مقصر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص، أمَّا القرآن فكلام مَن أحاط علمه كل شيء، المتصف بصفات الكمال، لذلك قال: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٦].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٧٥).

المطلب الثاني

دلالة التحدي وعجز المكذبين عن المعارضة على حفظ القرآن

كانت اللغة العربية رأس مال العرب؛ حيث كانوا يفاخرون بها شعرًا ونثرًا، يحترمون الحاذق فصيح اللسان بها، ويدنون ويعظمون من نجب في تقويم حروفها وكلماتها.

ويمكن القول أنَّ اللسان العربي كان كل ما يملكه العرب في الميدان العلمي؛ حيث أولوها كامل اهتمامهم، وبذلوا لها قصارى جهدهم، فبلغ العرب في عهد نزول القرآن مبلغهم من دقة الحس البياني، حتى كادوا يصيرون بهذا المعنى قبيلًا واحدًا باجتماعهم على بلاغة الكلمة وفصاحة المنطق، بالرغم من اختلاف قبائلهم ومعايشهم، يشهد بذلك موروثاتهم شعرًا وأدبًا ونثرًا.

وعندما كان العرب الفصحاء في هذه الدرجة من الثراء اللغوي جاء القرآن الكريم أفصح كلام وأبلغه لفظًا وأسلوبًا ومعنًى، فعلا بقوته على كل قول، وخضعت فصاحة العرب لفصاحته، أذعن بيانهم لبيانه وكلماتهم لكلماته، فاستولى القرآن على كل جميل، وصار لها الأصل الأصيل، ولا يستولي عليها إلا إذا كان أقوى منها فيما هي قوية به؛ بحيث يشعر أهلها بالعجز والضعف وعدم القدرة على معارضته بمثله.

فَخُذِلَ من شاءوا معارضته من قبل ما كانوا يعدونه أكبر مفاخرهم، وأجمل صنائعهم، وأصابهم الوهن في ذلك، وأَلَمَّ بهم اليأس، فلسانهم

الذي لم يغلب من قبل قد غلب اليوم وعلا عليه القرآن، فعلم كثير منهم أنَّ علوّ القرآن وظهوره على كل لسان دليل على أنَّه كلام الله ليس كلام غيره. لقد كان فتح باب التحدي جرًّا لهم لفهم هذه الحقيقة(١).

إنَّ الأصل في معارضة القرآن التحريم؛ حيث توعد الله صاحبه بالعذاب، وذم معارضة القرآن فعلًا وفاعلًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، لكن الدعوة إلى التحدي التي أعلنها القرآن كان الغرض منها أن يستبين المعارضون عجزهم عن ذلك، فيقفوا بأنفسهم على حقيقة حفظ القرآن، فيدركوا صدقه وحفظه وعظمته وعلوه على ما سواه، ودعوا لذلك وليسوا بفاعليه لعجزهم عنه.

واتسم هذا التحدي بسمات جعلته فريدًا من نوعه، وفيما يلي توضيح لتلك السمات:

أهم سمات هذا التحدي:

أولًا: الثقة الكاملة بماهية النتائج، والعلم الكامل بالعواقب:

أي: أنَّ النتيجة أكيدة، وهي: عجز المكذبين تمامًا عنها، وتظهر هذه الثقة في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤].

ثانيًا: قوة المتحدي والتحدي:

المتحدي لهم ليظهر عجزهم أمام كلامه هو الله تعالى، لذا قال

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب (٢/ ١١١).

تعالى مخاطبًا المؤمنين عقب التحدي: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤]؛ فلما نزل بعلمه، فلن يضاهيه ما عندهم.

ثالثًا: سعة عينة التحدي:

حيث كان التحدي للجن والإنس متضافرين متعاونين، جامعين طاقتهم، للقيام بهذا الغرض، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

هذا الاتساع في عينة التحدي دليل على عظمته وعظمة المتحدِّي به وهو الله تعالى، ودليل أيضًا على عظمة المتحدَّى عليه وهو حفظ القرآن عن المعارضة؛ فتأمل.

شملت عينة التحدي كل المخلوقات العاقلة من الإنس والجن الشياطين[(١)] باستثناء الملائكة، فلماذا لم يذكر الملائكة في هذه العينة؟

قيل: اقتصر في الآية على ذكر الجن والإنس؛ لأنَّه ﷺ كان مبعوثًا إلى الثقلين دون الملائكة[(٢)].

وقال البقاعي[(٣)]: «وقدم (الإنس)؛ لسهولة اجتماعهم بهم؛ ولأنَّهم

---

(١) لفظ (الجن): يشمل الجان والشيطان كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ٥ ـ ٦]، وقوله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

(٢) معترك الأقران (١/ ٧).

(٣) أبو الحسن، برهان الدين، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، له مؤلفات منها: نظم الدرر، ومصرع التصوف، ومصاعد النظر، توفي سنة ٨٨٥ هـ. انظر: الضوء اللامع (١/ ١٠١)، وطبقات المفسرين، للأدنه وي (ص٣٤٧)، والأعلام، للزركلي (١/ ٥٦).

عندهم الأصل في البلاغة، و(الجن) الذين يأتون كهانكم ويشجعون لهم ويعلمونهم ببعض المغيبات عنهم، وترك الملائكة لأنهم لا عهد لهم بشيء من كلامهم»[1].

أي: أنَّ دعوى المشركين اختلاق القرآن كانت متجهة إلى الإنس والجن؛ فالإنس كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]، أمَّا زعمهم أنَّ الشياطين أتت به ففي قوله تعالى ردًّا عليهم وقد زعموا ذلك: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١١].

ويرى الباحث أنَّ ثمة سببًا آخر بالإضافة إلى الأسباب المذكورة آنفًا، هو: أنَّ الملائكة هم المخلوقات المعصومة الوحيدة بين المخلوقات العاقلة، ومعارضة القرآن إثم لا يريده الله تعالى لا كونًا ولا شرعًا، فخاطب الله تعالى الإنس والجن لعدم عصمتهم عن اقتراف الإثم، ولم يذكر الملائكة لعدم جواز ذلك عليهم بواقع العصمة التي تجعلهم لا يفعلون شيئًا لا يرضي الله تعالى، كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]، والله أعلم بمراد كلامه.

إذن تبين مما سبق عجزهم عن معارضة القرآن، مع امتلاكهم للغة فصاحةً وبيانًا، حيث «كانوا أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالًا، وأشهر في الخطابة رجالًا، وأكثر في السّجع والشعر ارتجالًا، وأوسع في الغريب واللغة مقالًا؛ بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها

(١) نظم الدرر (١١/٥٠٨ ـ ٥٠٩).

يتناضلون[(١)(٢)]، والقرآن يناديهم في كل حين، مقرعًا لهم بضعًا وعشرين عامًا على رؤوس الملأ أجمعين: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

فدل عجزهم مع امتلاك اللغة، واستمرار التحدي أن يأتوا بمثله أو طائفة منه، على أنَّ القرآن كلام الله تعالى، أودع الله فيه من إعجاز لفظه ومعناه ما جعله محفوظًا أن يضاهى أو يماثل، فكان ذلك الإيداع مكمن الحفظ عن المعارضة، إلى جانب الإرادة الكونية بحفظه وصونه.

❁ ❁ ❁

(١) يتناضلون؛ أي: يتراشقون ويستبقون، ومقياس السبق عندهم فصاحة اللسان، وبراعة البيان. انظر: غريب الحديث، لابن الجوزي (٢/ ٤١٥)، وأساس البلاغة (١/ ٣٥٥).

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد الباجوري (ص٢٦٦).

المطلب الثالث

أنواع التحدي في القرآن

ورد التحدي في القرآن الكريم عدة مرات في معرض بيان أنَّ القرآن مصون محفوظ عن المعارضة، وعندما تستوقفنا ألفاظ التحدي القوية، ومعانيه التي حملت كامل الثقة والعلم بالعواقب والنتائج، يتبين لنا ما حظي القرآن الكريم به من الحفظ والتكريم.

وقد ورد التحدي بالمعارضة في القرآن الكريم على نوعين: **الأول**: التحدي بأن يأتوا بمثله، **والثاني**: التحدي بأن يأتوا ببعضه، وفيما يلي بيان النوعين:

النوع الأول: التحدي بأن يأتوا بمثله:

جاء ذلك في موضعين في القرآن: الأول: في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وفي سورة الطور في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣ ـ ٣٤].

بدأت الآية الأولى باللام الموطئة للقسم؛ لادعائهم أنَّهم لو شاءوا أتوا بمثله، وفي قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ دعوة لهم للتضافر والتعاون بجمع قوى بعضهم إلى بعض إذ الضعف صفة ملازمة لهم، فلعل اجتماعهم يجبر ذلك الضعف، وحتى يتبين لهم فشل حصول ذلك في أقوى أحوالهم بكونهم مجتمعين.

﴿عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾؛ أي: بمثل نظمه وبلاغته، حيث أبان عن أحسن المعاني بأوضح المباني، وأوضح بأعظم الوصف المبدأ والمعاد، وما يتعلق بمصالح العباد.

وليس هذا فحسب، «بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة: من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك، ومن جهة معانيه، التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية»[(١)]، وهم عاجزون أن يأتوا بمثل ذلك، لذلك بيَّن ما تؤول إليه معارضتهم مجتمعين أو متفرقين متضافرين أو غير متضافرين بقوله: ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾؛ أي: معينًا، وهذه الحال ـ أي: حال كونهم متعاونين إنسًا وجنًّا ـ أقوى أحوالهم[(٢)]، «وفي ذلك حجة على الزنادقة والمعطلين؛ إذ عجز جميعهم عن إيراده، وقدرتهم على الأشعار والخطب ودقة الكلام في الحكمة والفلسفة والأسجاع العويصة، شاهد بصحته ودليل على منزله أنَّه حق واحد منفرد بما لا يشارك فيه»[(٣)].

النوع الثاني: التحدي بأن يأتوا بطائفة منه:

جاء التحدي بالإتيان بطائفة منه، وفي هذا مزيد إظهار لضعفهم وعجزهم وعلو القرآن وحفظه عن أي معارضة في جميعه أو بعضه، وورد

---

(١) الجواب الصحيح، لابن تيمية (٥/ ٤٢٨).

(٢) انظر: الوجيز، للواحدي (ص٦٤٧)، ونظم الدرر (١١/ ٥٠٩)، والفواتح الإلٰهية (١/ ٤٦٥).

(٣) النكت الدالة على البيان (١/ ٦٠٢).

هذا النوع من التحدي في مواضع عدة في عدد من السور هي كما **يلي**:

(١) التحدي بأن يأتوا بعشر سور مثله، وورد ذلك في سورة هود حيث يقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣]، قال تعالى: يقول الله لنبيه: كفاك دليلًا على صدق ما جئت به وحجة عليهم عجزهم عن معارضته، ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ فتحداهم الله تعالى أن يأتوا بعشر سور، وتحداهم أن يأتوا بسورة مثل سوره، فعجزوا عن ذلك جميعًا.

أما مراحل التحدي فللعلماء فيها أقوال:

القول الأول: وهو قول جمهور علماء التفسير والبلاغة أنَّ التحدي تدرَّج فبدأ بالقرآن كله كما في الإسراء والطور، ثم تحداهم بعشر سور في سورة هود، ثم تحداهم بسورة في سورة يونس، ثم بسورة من مثله في سورة البقرة.

وليس الأمر كذلك؛ إذ لا يشهد له ترتيب نزول السور، فسورة يونس التي ذكرت التحدي بسورة نزلت قبل سورة هود التي ذكرت التحدي بعشر سور.

وسورة الطور التي فيها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣ ـ ٣٤]، وهذا تَحَدٍّ بِجُمْلَتِهِ، قد نزلت بعد سورتي يونس وهود اللتين تحداهم فيها بالعشر الآيات والآية الواحدة.

فإن قيل: إنَّ نزول سورة قبل سورة لا يقتضي نزول جميع آياتها قبل جميع آياتها، قيل: إنَّ الأصل نزول جميع آيات السورة السابقة قبل نزول جميع آيات السورة اللاحقة إلا إذا دل الدليل الخاص على متقدم

ومتأخر، ولا بد من وجود الدليل الثابت بالنقل ليستثنى من الأصل وإلا بقي الأمر على أصله[١].

القول الثاني: أنَّ الآيات لم يكن مراعى فيها الترتيب التاريخي لنزول الآيات في مخاطبة المشركين، وإنَّما الحكمة في ذلك أنَّ كل آية منها مناسبة لسياق السورة التي ذكرت فيها.

وبنى من قال بهذا الرأي رأيهم على ما سبق ذكره آنفًا في الجواب على القول الأول، وعللوا ذلك بمناسبات استنبطوها اجتهادًا من محض الرأي، مثل: تعليل التحدي بالعشر في سورة هود: أن سورة هود هي السورة العاشرة؛ فناسب أن يتحدى في السورة العاشرة أن يأتوا بعشر سور، وهذا القول هو الذي ارتضاه رشيد رضا في «تفسير المنار» بعد أن شنّ حملة على قول الجمهور، ثم ذكر مناسبات للتحدي بالعشر السور، فيها تكلف[٢].

القول الثالث: أنَّ التحدي بالقرآن أو بطائفة منه في مقصود القرآن سواء؛ لأنَّ القرآن معجز كله أو بعضه؛ لذا تحداهم بالقرآن جميعه وبعشر سور وبالسورة الواحدة ليس على الترتيب[٣].

قلت: القول الثالث هو الراجح؛ لأنَّه أقرب مناسبة لترتيب النزول، ولمقصود التنوع في التحدي.

على كل الأحوال فالمقصود تحدي المكذبين والمرتابين التحدي الذي يكشف عجزهم عن معارضة القرآن، رغم براعة كثير ممن شملهم

---

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٢٧٠ ـ ٢٧١)، وتفسير المنار (١٢/ ٢٩ ـ ٣٨).

(٢) انظر: تفسير المنار (١٢/ ٢٩ ـ ٣٨).

(٣) انظر: دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٢٧١).

التحدي شعرًا ونثرًا فصاحة وبيانًا، الأمر الذي ينبئ عن حفظ القرآن وأنَّه كلام الله حقًّا، وهو مقصود التحدي.

لذلك قال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤]؛ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ بإتيان ما دعوتم إليه.

أمَّا جمع الضمير في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ فقيل: المقصود به الرسول ﷺ والجمع للتعظيم، وقيل: الخطاب للمؤمنين من الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم على طريقتهم؛ لأنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحدونهم؛ ولأنَّ أمر الرسول ﷺ متناولًا لهم لوجوب اتباعه في جميع أوامره[1]، والتوجيه الثاني أرجح.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾؛ «أي: متلبسًا بما لا يعلمه إلا الله، ولا يقدر عليه سواه، ﴿وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لأنَّه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره، ولظهور عجز آلهتهم.. وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾؛ ثابتون على الإسلام راسخون مخلصون فيه إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقًا»[2].

ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين؛ أي: فإن لم يستجب لكم من تدعونهم من دون الله لمعارضة القرآن وعجزتم بعد استعانتكم عن ذلك، فيجب عليكم عندئذٍ أن تعلموا أنَّ القرآن من الله نزل، وهو كلامه المصون المحفوظ أن يعارض أو يفترى، الأمر الذي يدعوكم لترك عبادة غيره من الأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله تعالى، وبعد هذا البيان

---

(١) انظر: جامع البيان (١٥/ ٢٦١)، والتفسير المظهري (٥/ ٧٣).

(٢) التفسير المظهري (٥/ ٧٣).

هل أنتم مسلمون؟ أم تعاندون وتركبون مركب الغواية بعد ظهور الهداية[١]؟

(٢) التحدي بأن يأتوا بسورة من مثل سوره: ورد ذلك في سورتي البقرة ويونس، قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

ففي **الأولى**: خاطب الله تعالى المرتابين لظهور النفاق في العهد المدني؛ حيث كان الإيمان بالقرآن ظاهرًا ويكثر المؤمنون به يومًا بعد يوم، وكانت أعظم وسائل المنافقين ـ بعد ارتيابهم ـ وأعوانهم من الكافرين في محاربة القرآن، هي التشكيك بيقينيته وصدقه وصدق من جاء به، فخاطبت الآية ريبهم ودعتهم أن ينظروا في حفظه عن المعارضة؛ ليقفوا بأنفسهم على ما يقطع الشك والحيرة لديهم.

أمَّا **الثانية**: وهي مكية حيث كان الأسلوب الأمثل لدى المشركين في محاربة القرآن هو المواجهة المباشرة بتكذيبه، فعالجت الآيات دعوى الافتراء المدعى بالتحدي بأن يأتوا بسورة من مثل سوره، وأنى لهم، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا التحدي في البقرة، وهي مدنية بعد يونس وهود. ولهذا قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، وهناك قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾؛ فهذا تحدٍّ لكل مرتاب، وذاك تحدٍّ لكلّ مكذب.

ولهذا قيل في ذاك: ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ فإنه أبلغ، وقيل في هذا:

---

(١) انظر: التفسير المظهري (٥/ ٧٣)، وتفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٢/ ٤١٨).

﴿شُهَدَآءَكُم﴾، وقد قال بعض المفسرين: ﴿شُهَدَآءَكُم﴾: آلهتكم، وقال بعضهم: من يشهد أنّ الذي جئتم به مثل القرآن. والصواب: أن شهداءهم الذين يشهدون لهم»[1].

أمَّا التعقيب على الآيتين فجاء بالترهيب من الاستمرار في التكذيب والتشكيك؛ لأنَّ ذلك مصيرًا إلى الباطل المؤدي إلى إلحاق العذاب والهلاك بهم. فقال تعالى عقب الآية المدنية: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤] فذكر أمرين:

الأول: إذا لم تفعلوا؛ أي: تقوموا بمعارضة القرآن، فقد علمتم أنَّه حق من الله ليس مفترى كما زعمتم، فوجب عليكم إذن الإيمان به وبما جاء به، وخافوا الله أن يلحق بكم من العذاب الذي توعده الله للمكذبين.

الثاني: قال: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ لنفي المستقبل؛ أي: أنَّهم فيما يستقبل من الزمان ولو تهيأت ظروف إضافية لم تتوفر لهم في حاضرهم الذي يسمعون فيه التحدي، فإنَّهم لن يستطيعوا معارضة القرآن؛ لأنَّ الله تعالى كتب له أبدية الحفظ والصون.

وفي هذا فائدة هي: ألَّا يفهم أحد أنَّ القرآن حفظه الله عن المعارضة في زمن نزوله أو في زمن دون آخر، بل يستمر الحفظ وإن تغير الزمان.

ومع أنَّ الكفار وأعداء القرآن في كل زمان كانوا حريصين أشد الحرص على إبطال قوله، باذلين في ذلك كل وسعهم وأوقاتهم،

---

(١) النبوات، لابن تيمية (٢/ ٨٦١).

مستخدمين كافة الوسائل في ذلك، فتارة يذهبون إلى أهل الكتاب ليبحثوا لهم بحكم أن عندهم علم عن أسئلة تعجيزية، ومغيبات كي يتوصلوا إلى الطعن في القرآن ومن جاء به، مثل ما حصل منهم من السؤال عن قصة يوسف وأصحاب الكهف وذي القرنين والروح وغيرها.

وتارةً أخرى يعقدون اجتماعات متواصلة؛ ليوحدوا كلمة الافتراء على القرآن وسبل محاربته، لكن ذهب لهم كل شيء وبقي القرآن، حتى لجأوا إلى الحل اليائس البائس وهو وضع الكرسف[١] في الأذن بديلًا عن بنان الأصابع لما كلّت، حتى لا يسمع أحد منهم القرآن كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت: ٢٦] «وهذه شهادة منهم على أنفسهم بالانقطاع عن معارضته وتسليمهم بقوة عارضته»[٢].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر أنَّه لا يقدر الإنس والجن إلى يوم القيامة أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهذا الخبر قد مضى له أكثر من سبعمائة سنة، ولم يقدر أحد من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن»[٣].

واليوم يقال: لقد مضى على هذا الخبر أكثر من ألف وأربعمائة وثلاثين سنة، ولم يقدر أحد من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فتبارك مَن القرآنُ كلامه، ومَنْ كلامه لا يشبهه أو يعارضه كلام.

أمَّا الآية المكية فعقب عليها ببيان أن تكذيبهم قد بنوه على الجهل

---

(١) الكرسف: القطن الذي يحشى به. انظر: العين (٥/٤٢٦).
(٢) البرهان فى تناسب سور القرآن (١/٢٩٦).
(٣) الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/٤٠٩).

وغياب المعرفة والحكمة لديهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾، ثم توعدهم بقوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]؛ أي: «لَمْ يأتِهِمْ ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة»(١).

❁ ❁ ❁

(١) معاني القرآن، للزجاج (٣/ ٢١).

المبحث الثالث

حفظه عن التناقض والاختلاف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: القرآن يشبه بعضه بعضًا في الحكمة والحق.

المطلب الثاني: القرآن يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والبلاغة والبيان.

المطلب الثالث: القرآن الكريم يصدق بعضه بعضًا.

المطلب الأوّل

القرآن يشبه بعضه بعضًا في الحكمة والحق

إنَّ مما حفظ الله تعالى به كتابه الكريم أن صانه عن التناقض والاختلاف، وهذا الحفظ وحفظه عن الباطل سيان؛ لأنّ الباطل مختلف والحق متفق، كما أخبر تعالى عن أهل الباطل بقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات: ٨ ـ ٩]؛ أي: «يكذب عنه من كذب»[١]. وقيل: «يصرف عَن الْإِقْرَار بِهِ من صرف عَنهُ فِي علم الله وَحكمه»[٢].

قلت: أحسن مَن فسر هذه الآية هو الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «إِنَّمَا يُرَوَّجُ على من هو ضال في نفسه؛ لِأَنَّهُ قول باطل إِنَّمَا يَنْقَادُ له وَيَضِلُّ بسببه وَيُؤْفَكُ عنه مَنْ هو مَأْفُوكٌ ضَالٌّ غَمْر، لا فهم له»[٣].

فتأمل كيف قرن بين الاختلاف والكذب وهما ركنا الباطل، وكل مَن خالف منهج القرآن الحق لا بد أن يتناقض؛ لأنَّه قد وقع في الباطل.

أمَّا القرآن فحفظه الله تعالى عن الباطل والكذب[٤]، وهو محفوظ أيضًا عن التناقض والاضطراب والاختلاف؛ لأنَّه حق كله لفظًا ومعنًى

---

(١) غرائب التفسير (٢/ ١١٣٩).
(٢) تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٥/ ٢٥٢).
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٤١٥).
(٤) سبق الحديث عنه في: [مبحث: حفظه عن الباطل والكذب صفحة: (١٢٧) من هذه الرسالة].

«يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُعَضِّدُ بَعْضُهُ بَعْضًا، من جهة اللفظ ومن جهة المعنى»(١).

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، فأمر بتدبر القرآن؛ لأنَّ المتدبر للقرآن يظهر له حقيقة اتفاقه وائتلاف آياته، وهذا شاهد على أنَّ القرآن من الله تعالى؛ إذ لو كان من عند غير الله لتناقض واضطرب، لا سيما إذا كثر الكلام.

وذلك أنَّ المخلوق ينسى كلامه السابق فيناقضه بكلامه اللاحق؛ لقلة علمه حيث لا يحيط بأطراف الحقائق، مما يجعله يحكم بما ظهر له من علم قاصر وفهم محدود، أمَّا القرآن فهو كلام الله تعالى، وكلام الله صفته، والاختلاف يناقض الكمال، والله منزه عن النقص(٢).

وليس نفي الاختلاف فيه نفي أن يختلف النظار في فهم معانيه؛ فإنَّ هذا يحصل بسبب تفاوتهم في سبر كلماته والكشف عن هداياته.

أمَّا الاختلاف المقصود في الآية فهو نفي التناقض في أخباره وأحكامه، فلا يحل شيئًا في موضع ويحرمه في موضع آخر.

وكذلك فصاحته وبيانه ونظمه لا تختلف من موضع لآخر، فلا تجد بعضه فصيحًا وبعضه ركيكًا، بل كله على نفس الوتيرة من الفصاحة والبيان من أوله إلى آخره(٣).

وفي سورة الزمر يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا

---

(١) الاعتصام، للشاطبي (ص٨١٨).
(٢) انظر: الاعتصام، للشاطبي (ص٨٣١)، وتفسير الشعراوي (٤/ ٢٤٨٠).
(٣) انظر: تفسير الراغب (٣/ ١٣٤٨)، والتحرير والتنوير (٥/ ١٣٨).

مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾: يشبه بعضه بعضًا في الحكمة والحق، «مُتَّفِقٌ وهو عكس المتضاد المختلف المذكور في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات: ٨ ـ ٩]»[١].

قال سعيد بن جُبَير: «يشبه بعضه بعضًا ويصدّق بعضه بعضًا، ويدلّ بعضه على بعض»[٢].

﴿مَّثَانِيَ﴾؛ أي: تُثنى فيه ذكر الأنباء والقصص والأخبار والأحكام والحجج، فتذكر قصصه في سورة وتثنى في سورة أخرى، ومع كل تكرار، تظهر معاني غير مكررة؛ لأنّه معجز في تشابهه وتكراره[٣].

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٨٤).

(٢) أخرجه الطبري في: جامع البيان (٢١/ ٢٧٩). بسند حسن؛ لخفة ضبط جعفر بن أبي المغيرة، ويعقوب بن عبد الله الأشعري.

(٣) انظر: جامع البيان (٢١/ ٢٧٩)، وتفسير القرآن، لابن أبي زمنين (٤/ ١٠٩).

المطلب الثاني

القرآن يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والبلاغة والبيان

كما أنَّ القرآن متفق غير مختلف في أحكامه وتشريعاته؛ حيث يمثل وحدة متكاملة من العدل والحق، كذلك الحال بالنسبة لفصاحته وبيانه وبلاغته، فليس فيه شيء فصيح وآخر ركيك، بل هو على وتيرة واحدة من الفصاحة والبلاغة والبيان.

قال السيوطي: «.. جاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب مخالفًا لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصلُ كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له»[(١)].

إنَّ كل كلمة منه وضعت في موضعها الذي لو قُلِّبَتْ كل القواميس للبحث عن مرادفاتها لتحل محلها، لم تكن لتؤدي المعنى الذي اختيرت له؛ بل تقصر أن تفي الكلمة المرادفة بالمعنى الذي أفادته الكلمة القرآنية.

ولنضرب مثالًا على ذلك: قوله تعالى عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، فسَّر كثير من المفسرين حرف الجر: ﴿فِي﴾؛ بمعنى: (على) باعتبار أنَّ حروف الجر تتناوب[(٢)]، لكن يرى الباحث أنَّ

---

(١) معترك الأقران (١/ ٢٣).

(٢) انظر: معاني القرآن، للأخفش (١/ ٥١)، وجامع البيان (٢/ ٤١٢)، ومعاني القرآن، للزجاج (٢/ ٢١٧).

حرف الجر ﴿فِي﴾ الوارد في الآية يزيد على المعنى الذي يفيده حرف الجر (على)، هذا المعنى هو شدة ربطهم على جذوع النخل حتى كأنَّهم صاروا فيها، فكان لفظ القرآن في موضعه أبلغ من مرادفه، ولا تؤدي الكلمة المرادفة كمال ما أفادته الكلمة القرآنية.

والآيات التي تتشابه فيها الجمل ويختلف فيها بعض اللفظ، فإنَّ كل لفظ وضع في موضعه الحكيم ليعطي معاني دقيقة كل منها في موضعها الذي وضعت فيه، لكن سبر معناها الدقيق لا يكون إلا بالتدبر والتدقيق.

ولنضرب لذلك مثلًا: قوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]، وقوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٩١]، معنى الثَّقْفَة بالأمر: الحِذق به والبصر، يقال: «إنَّه لثَقِف لَقفٌ». إذا كان جيد الحَذر في القتال، بصيرًا بمواقع القتل»[1]، فتفيد كلمة (ثقفتموهم) معنى زائدًا على كلمة: (وجدتموهم) وهو زيادة التحري والتحقق، وكل من الكلمتين هو الأنسب لسياقه.

إذن فكل كلمة في القرآن لها مدلولها بحيث لا تؤدي كلمة أخرى معانيها، وإن كانت من مرادفاتها، وهذا يجلي البلاغة المطردة في كتاب الله؛ أي: في جميع مفرداته وجمله، وما وقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته.

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]: «فدل معنى الآية على أنَّه بريء من الاختلاف، فهو يصدق بعضه بعضًا، ويعضد بعضه بعضًا، من جهة اللفظ ومن جهة المعنى:

---

(١) جامع البيان (٣/ ٥٦٤).

أَمَّا جهة اللفظ: فإن الفصاحة فيه متواترة مطردة بخلاف كلام المخلوق، فإنَّك تراه يصير إلى الاختلاف، فيأتي بالفصل من الكلام الجزل الفصيح فلا يكاد يختمه، إلا وقد عرض له في أثنائه ما نقص من منصب فصاحته، وهكذا تجد القصيدة الواحدة، منها ما يكون على نسق الفصاحة اللائقة، ومنها ما لا يكون كذلك.

وَأَمَّا جهة المعنى: فإنَّ معاني القرآن على كثرتها أو على تكرارها بحسب مقتضيات الأحوال على حفظ وبلوغ غاية، من غير إخلال بشيء منها، ولا تضاد ولا تعارض، على وجه لا سبيل إلى البشر أن يدانوه، ولذلك لما سمعته أهل البلاغة الأولى والفصاحة الأصلية ـ وهم العرب ـ لم يعارضوه، ولم يغيروا في وجه إعجازه بشيء مما نفى الله تعالى عنه، وهم أحرص ما كانوا على الاعتراض فيه والغض من جانبه»[1].

❁ ❁ ❁

(١) الاعتصام، للشاطبي (ص٨١٨ ـ ٨١٩)، بتصرف.

المطلب الثالث

القرآن الكريم يصدق بعضه بعضًا

إنَّ مما حفظ الله به القرآن أن جعله متوافقًا يصدق بعضه بعضًا، فلا تناقض في آياته، بحيث لا يناقض حلاله حرامه ولا حرامه حلاله، فحلاله الطيب وحرامه الخبيث، كما قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ووصفه الله تعالى بالصدق مرتين في قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٢ ـ ٣٣].

أي: ليس أظلم ممن كذَّب القرآن لأنَّه صدق كله، وإذا كان كذلك فلا يجوز أن يكذب؛ لذا كان جزاء من كذب به وحاله الصدق أن له مأوىً ومسكنًا في جهنم جزاءً وفاقًا ولا يظلم ربك أحدًا.

﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾؛ أي: الرسول ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾، قيل: أبو بكر الصديق رضي الله عنه[1]. وقال مجاهد: «الصدق: القرآن، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: المؤمن يجيء يوم القيامة يقول: هذا الذي أعطيتني، عملت بما فيه»[2]،

---

(١) انظر: جامع البيان (٢١/ ٢٨٩)، ومعاني القرآن، للزجاج (٤/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم، كتاب: تفسير القرآن، سورة الزمر (٦/ ١٢٥)، عن مجاهد بن جبر.

وقال قتادة: «وصدّق به المؤمنون»[(١)]. والراجح أنَّ الآية تعم كل من صدَّق القرآن من المؤمنين وفي مقدمتهم الصِّدِّيق رضي الله عنه.

ولازم صِدقيته عدم تناقض آياته، وهو التشابه الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدِّق بعضه بعضًا، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به، أو بنظيره، أو بملزوماته، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه، أو عن نظيره، أو عن لوازمه، إذا لم يكن هناك نسخ»[(٢)].

بناءً على ما سبق فإنَّ من ظن وجود تناقض في الكتاب فإنما ذلك لقصور نظره في تأمل معانيه، وضعفه في سبر أحكامه ومدلول مبانيه، فيجب رد علم ما جُهِلَ من معانيه إلى الله، وعدم الخوض فيه اعتداء وجهلًا أو تشدقًا وتحريفًا، فإن عاقبة ذلك وخيمة على أهلها، فلم يكن الملحد في آيات الله بخافٍ على الله، وليس ناجٍ هو من عذاب الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٤٠]، وقد أرشد الرسول ﷺ إلى هذا المعنى بقوله: «**إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢١/ ٢٩٠)، وعبد الرزاق في تفسيره (٣/ ١٣٠)، بسند صحيح.

(٢) التدمرية (ص١٠٤).

(٣) أخرجه أحمد، المسند، مُسْنَد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (١١/ ٣٠٥)، رقم: (٦٧٠٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح (١/ ٧٩).

الفصل الرابع

دلالة أسماء القرآن وصفاته على حفظه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسماء وصفات اتصف الله بها ووصف بها كتابه الكريم.

المبحث الثاني: صفات أفادت حفظ القرآن بنسبتها إلى الله تعالى.

المبحث الثالث: دلالة أسماء القرآن وصفاته الأخرى على حفظه.

مدخل

سُمي القرآن ووصف بعدة أسماء وصفات، وهي بما تحمله من معاني تعظيم القرآن وتمجيده فهي أيضًا تحمل معاني حفظه في جانب معين أو جوانب متعددة، وتُظهر بما حملته من المعاني ما عُني به القرآن من العناية الإلٰهية.

تكرر وصف القرآن بتلك الصفات في عدد من المواضع؛ في فواتح السور وخواتمها، وأيضًا في أثنائها، وهي تساير عرض حقائقه وحججه وبراهينه.

وهذا أمر مطرد في الكتاب الحكيم، فلا يكاد يذكر القرآن حتى يحتف ذكره بتمجيده ووصفه بالكمال والحفظ والعظمة.

وغرض وصف القرآن بذلك بيان أنَّه مأوى طالبي النجاة، وملاذ مريدي الهداية؛ لأنَّه عظيم وهو كلام العظيم ﷻ؛ ولأنَّه محفوظ قد حفظه الحفيظ ﷻ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد وصف الله كتابه بأوصاف جليلة عظيمة.. تدل أكبر دلالة على أنَّه الأصل والأساس لجميع العلوم النافعة، والفنون المرشدة لخير الدنيا والآخرة، وصفه بالهدى والرشد، والفرقان، وأنَّه مبين وتبيان لكل شيء؛ فهو في نفسه هدى، ويهدي الخلق لجميع ما يحتاجونه من أمور دينهم ودنياهم، ويرشدهم إلى كل طريق نافع، ويفرق لهم بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وبين أهل السعادة والشقاوة

بذكر أوصاف الفريقين، وفيه بيان الأصول والفروع بذكر أدلتها النقلية والعقلية، فوصفه بهذه الأوصاف المطلقة العامة التي لا يشذ عنها شيء في آيات كثيرة»[١].

وفي هذا الفصل نتناول دلالات تلك الأسماء والصفات على حفظ القرآن الكريم، عن طريق النظر إلى أصلها اللغوي، ومدلولها التفسيري.

❁ ❁ ❁

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي (ص٥).

المبحث الأول

أسماء وصفات اتصف الله بها ووصف بها كتابه الكريم

أسماء وصفات اتصف الله بها ووصف بها كتابه الكريم

وصف الله تعالى القرآن بما وصف به نفسه بعدد من الصفات، هذه الصفات أضفت معاني الكمال والحفظ له، إضافة إلى كونه صفة من صفاته ﷻ، الأمر الذي جعله بمنزلة لا تساوى أو تضاهى؛ وذلك أنَّه: «لما كان القرآن صفة من صفات الله كان أفضل من كلام المخلوقين كلهم؛ لأنَّ الكلام المخلوق لا يساوي كلام الله الذي هو غير مخلوق»(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أجمع أهل السُّنَّة على أَنَّ القرآن صفة من صفات الله لا من صفة خلقه»(٢).

وقال أيضًا: «أهل السُّنَّة متفقون على أَنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق وَأَنَّ كلامه من صفاته القائمة بنفسه ليس من مخلوقاته»(٣).

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَابُ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، «فسمَّى الله تعالى نفسه شيئًا، وسمَّى النبي ﷺ القرآن شيئًا، وهو صفة من صفات الله»(٤).

---

(١) الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية لتقي الدين الهلالي (ص١٠٥).
(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٧٨).
(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٧٧)، وانظر: التحبير، لأبي الحسن الصالحي (٦/ ٣٠٢٨)، وشرح العقيدة السفارينية (ص٢٢٠).
(٤) صحيح البخاري (٩/ ١٢٤).

وقال اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «سياق ما رُوِيَ عن النبي ﷺ مِمَّا يدل على أَنَّ القرآن من صفات الله القديمة»[٢].

هذه توطئة تبين أنَّ القرآن الكريم صفة لله تعالى، ولازم ذلك كماله؛ تبعًا لاتصاف الله تعالى بصفات الكمال.

وهذا يبيّن الفائدة من وصف الله تعالى القرآن، بما وصف به من نفسه من صفات الكمال، فكل صفة من تلك الصفات لها معناها من ذلك الكمال، بما يستحيل أن يماثل تلك الصفات شيء من الموصوفات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وهذا أوان الشروع في بيان دلالة تلك الصفات على حفظ القرآن الكريم.

(الْعَزِيزُ)

أصل العزيز من الفعل: (عز) وهو فعل يدل على شدة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر، ويتضمن معنى الغلبة والامتناع، والعزيز في الأصل الغالب الذي لا يفوته شيء، ولا يعجزه شيء[٣].

ووصف به القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ [فصلت: ٤١]، فسَّر أهل التفسير العزيز بالمنيع الممتنع أن يُنال فيبدل.

---

(١) أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، اللالكائي من أهل طبرستان: حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية. صنف كتابًا في السُّنَّة، توفي في شهر رمضان سنة: ٤١٨هـ. انظر: السير، للذهبي (١٧/ ٤١٩).

(٢) شرح أصول الاعتقاد، للالكائي (٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (عز) (٤/ ٣٨ ـ ٣٩)، والفروق اللغوية، للعسكري (ص١٨١).

قال قتادة: «أعزه الله؛ لأنَّه كلامه، وحفظه من الباطل»[١]، وقال الزمخشري: «(عزيز) منيع محمى بحماية الله تعالى»[٢].

وقيل: منيع من الشيطان[٣]، وقيل: محفوظ عن المعارضة، ليس له نظير، منيع الجانب لَا يُرَامُ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدٌ بمثله[٤].

وقال الشوكاني: «عَزِيزٌ أن يطعن فيه الطاعنون، منيع عن كل عيب»[٥].

(الْحَقُّ)

قال ابن فارس: «الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته. فالحق نقيض الباطل»[٦].

ووصف القرآن بالحق دال على حفظه عمَّا يناقض الحق، أي: الباطل والكذب، وكذلك الخطأ المناقض للصواب، والظلم المناقض للعدل، فهو صدق كله وصواب كله وعدل كله، محفوظ عن ما يناقض أحقيته.

وأضيف وصف القرآن بالحق إلى اليقين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١﴾ [الحاقة: ٥١]، وحق اليقين أعلى مراتب اليقين[٧].

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٤٧٩). (٢) الكشاف (٤/ ٢٠١).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٥٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ٢٤٢).

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٨٥١٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٨٣)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٨/ ١٥).

(٥) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٩٥).

(٦) مقاييس اللغة، مادة: (حق) (٢/ ١٥).

(٧) سبق الحديث عن أحقية القرآن مفصلًا في مبحث: حفظ القرآن عن الباطل والكذب [انظر: صفحة (١٢٧) وما بعدها، من هذه الرسالة]، بما يغني عن إعادته.

(الْكَرِيمُ)

أصل معنى الكرم والكريم كثير الخير والنفع، ومن لغة العرب: إطلاق الكتاب الكريم على الكتاب المختوم، وورد ذلك مرفوعًا بسند ضعيف[(١)]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩﴾ [النمل: ٢٩]، قيل: معناه كتاب مختوم[(٢)].

ووجه دلالة ذلك على معنى الحفظ: أنَّ الكتاب المختوم محفوظ مصون، لا يقرؤه إلا من يؤذن له قراءته، أفاد ذلك الدلالة اللغوية لهذه الصفة. ويتضمن معنى هذه الصفة صون ما وصف بها عن التبذل والإهانة.

وبناء على ذلك فإنَّ من دلالة هذه الصفة على حفظ القرآن، أنَّ صفة الكريم لا تتأتى إلا لشيء محفوظ؛ حيث لا يقال للمبتذل كريم لعدم حفظه، فلمَّا كان القرآن محفوظًا كان لذلك كريمًا؛ ولذلك عقب وصفه بالكريم بوصفه بتمام الحفظ فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩].

ويدل على حفظ القرآن من جهة أخرى بأنَّ وصفه بالكريم، أمر ضمني بإكرام القرآن، فدلت الآيات بذلك على إرادة الله الشرعية

---

(١) ورد الحديث بلفظ: «كرامة الكتاب ختمه»: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب العين، من اسمه علي (٤/ ١٦٢)، رقم: (٣٨٧٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بسند ضعيف؛ آفته يحيى بن طلحة اليربوعي، لين الحديث، ومحمد بن مروان السدي ضعيف، متروك الحديث. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٥١٢)، وقال الألباني: «موضوع»، كما في السلسلة الضعيفة (٤/ ٦٩)، رقم: (١٥٦٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧٢)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٣).

بحفظ القرآن[١].

(الْمَجِيدُ)

قال ابن فارس: «(مَجَدَ) الميم والجيم والدال أصل صحيح، يدل على بلوغ النهاية، ولا يكون إلا في محمود. منه المجد: بلوغ النهاية في الكرم. والله الماجد والمجيد، لا كرم فوق كرمه»[٢].

وصف القرآن بهذا الوصف وصف له بكمال ما اختص به، ومن ذلك كمال الحفظ؛ فمعنى المجد بلوغ النهاية في الكمال، ولا يكون إلا في محمود، ومعنى قرآن مجيد: أي: بالغ نهاية التمام والكمال حفظًا وبيانًا وإعجازًا وسائر ما اختص به، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢]؛ فعقب وصفه بالمجيد وصفه بالحفظ؛ لبيان أنَّ حفظه أكمل الحفظ وأتمه، وأنَّه مجيد لأنَّه محفوظ[٣].

(الْحَكِيمُ)

أصل هذه الصفة الفعل: (حكم) و«الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسمِّيت حَكَمة الدابة لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه»[٤]. قال جرير[٥]:

---

(١) [يأتي تفصيل ذلك في: فصل: الحفظ الشرعي للقرآن الكريم. الصفحات (٢٩١) ـ وما بعدها من هذه الرسالة].

(٢) مقاييس اللغة، مادة: (مجد) (٥/ ٢٩٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٩/ ٢٩٨)، والهدى والبيان في أسماء القرآن، صالح البليهي (٢/ ٤٢).

(٤) مقاييس اللغة، مادة: (حكم) (٢/ ٩١).

(٥) جرير بن عطية بن الخطفي، والخطفي لقبه، الشاعر المشهور؛ كان من فحول =

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم أَنْ أَغْضَبَا[١]

أي: امنعوا سُفَهَاءَكُمْ.

ووصف القرآن الكريم بهذه الصفة في عدد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١]، وقال تعالى: ﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١]، وقال: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ١ ـ ٢]، وفي حفظه أيضًا في اللوح المحفوظ يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٤].

ووجه دلالة هذه الصفة على حفظ القرآن، أنَّه أحكمت آياته لفظًا ومعنًى، وهو بذلك ممنوع من أي دخيل أو تحريف أو تبديل، وهو محكم فلا حشو فيه ولا نقص ولا عيب، كما هو الحاصل في كلام البشر، فيكون بذلك قد بلغ الغاية في الكمال والبهاء والجمال[٢].

(الْعَظِيمُ)

قال ابن فارس: «(عَظَمَ) العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل على كبر وقوة. فَالْعِظَمُ: مَصْدَرُ الشيء العظيم»[٣].

= شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، توفي سنة ١١١هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٣٢١ ـ ٣٢٦).

(١) البيت لجرير، يقول: يا بني حنيفة امنعوا سفهاءكم عني، يريد بذلك التهديد، فخوفه عليهم كناية عن ذلك. ديوان جرير (ص٤٧)، وطبقات الشافعية، للسبكي (٣/ ٣٥٨)، والفائق في غريب الحديث (١/ ٣٠٣).

(٢) انظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن، صالح البليهي (١/ ٢٤٩).

(٣) مقاييس اللغة، مادة: (عظم) (٤/ ٣٥٥).

إذن فصفة العظيم تدل على كبر وقوة، وورد وصف القرآن بها في ثلاثة مواضع: أحدها في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧]، والثاني في سورة (ص) قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: ٦٧ ـ ٦٨]، والثالث في سورة النبأ قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ [النبأ: ١ ـ ٢]، قال مجاهد ومقاتل بن سليمان: «عن النبأ العظيم؛ يعني: القرآن»[(١)]؛ ومعنى العظيم: ذو الشأن العظيم، عظيم القدر عظيم الصفات عظيم الكمال[(٢)].

(الْمُهَيْمِنُ)

المهيمن في اللغة له عدة معاني؛ فمعناه: الشاهد، والأمين، والمؤتمن، والحاكم، والعظيم[(٣)]، وكل هذه الصفات يتصف بها القرآن الكريم هي من لوازم حفظه وصونه[(٤)].

وصف القرآن بهذه الصفة في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

قيل في تفسير ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾؛ أي: عاليًا عليها وَمُرْتَفِعًا[(٥)]،

---

(١) تفسير مجاهد (١/ ٦٩٤)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥٥٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٤/ ٤٥٢)، وسيأتي تفصيل الحديث عنه في: [مبحث عظمة القرآن وعلو مكانته. الصفحات (٤٤١ ـ ٤٧٦) من هذه الرسالة].

(٣) انظر: مجمل اللغة، لابن فارس (١/ ٩٠٨)، والمحكم، لابن سيده (١٠/ ٣٣٥)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٧٦) مادة: (هـ م ن).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ١٢٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٢١٠).

وقيل: مهيمنًا عليه؛ أي: رقيبًا على سائر الكتب؛ أي: يحفظها من التغيير والتبديل ويشهد لها بالصحة والثبات[١]، وقيل: حاكمًا عليها، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن[٢].

ووجه دلالة هذه الصفة على حفظ القرآن أنَّ القرآن وهو المهيمن على كل ما سبقه من الكتب المنزلة، فهو رقيب عليها، يحفظ الحق الذي جاءت به قبل أن تحرَّف، وهو أيضًا مهيمن عليها؛ لكونها حُرفت وهو محفوظ، فهو ناسخ لما فيها، ولا ناسخ له[٣].

(الْعَلِيُّ)

قال ابن فارس: «العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوًا أو ألفًا، أصل واحد يدل على السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء. ومن ذلك العلاء والعلو»[٤]. والعلي: الذي ليس فوقه شيء في المرتبة[٥].

وصف القرآن بهذه الصفة في سياق الحديث عن حفظه في اللوح المحفوظ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ٤٥) والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٣٧٨).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٦/ ٩١).

(٣) [يأتي تفصيل الحديث عن ذلك في: مطلب: حديث القرآن عن خلوده وبقائه صفحة (٤٢٩)، من هذه الرسالة].

(٤) مقاييس اللغة، مادة: (علا) (٤/ ١١٢).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (عَلَا) (٣/ ٢٩٣)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، مادة: (عَلَا) (٦/ ٢٤٣٤).

ووجه دلالة هذه الصفة على حفظ القرآن أنَّ القرآن وهذا وصفه يعلو ولا يعلى عليه، وفيه حفظه عن أن يضاهيه كلام أو يعارضه غيره، وأنَّه وهو محفوظ في أصل الكتاب اللوح المحفوظ فهو عليّ مرفوع فلا تطاله أيد آثمة، بل محفوظ أن ينال فيبدل[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٦٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٣/ ١٥٠).

المبحث الثاني

صفات أفادت حفظ القرآن بنسبتها إلى الله تعالى

صفات أفادت حفظ القرآن بنسبتها إلى الله تعالى

كما كان لوصف الله كتابه بما وصف به نفسه دلالته على حفظ القرآن، كذلك ما وصف القرآن به من الصفات مضافًا إلى الله تعالى؛ فكل شيء أضافه الله إلى نفسه فقد عظم شأنه، وفخم أمره، وفيه إكرام وتشريف له[(١)].

ونسبة القرآن بأوصاف مضافة إلى الله ﷻ له دلالته على حفظ الكتاب الكريم، **فيما يلي بيان لذلك:**

(القرآن كلام الله)

وصف الله تعالى القرآن بأنَّه كلامه بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

كون القرآن كلام الله وصفة من صفاته، فإنّه بذلك كامل بكمال صفات الله تعالى، وهذا مستلزم لكمال لفظه ومعناه وكونه محفوظًا عن النقص والتناقض والاختلال والاختلاف كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صفات الله كلها عليا صفات كمال

---

(١) فقه اللغة، لأبي منصور الثعالبي (ص٢٥٦)، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ٤١٥).

ومدح ليس فيها نقص بوجه من الوجوه: كالحياة والعلم والقدر والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعلو وغير ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]»[1]، والقرآن صفة لله فيكون والحالة هذه كاملًا عاليًا كما وصفت الآية صفات الله تعالى، وهو بذلك محفوظ أتم الحفظ وأعظمه.

(وصفه بِكَوْنِهِ مُنَزَّلًا من عند الله)

وصف القرآن بأنَّه منزل من عند الله في عدد من الآيات ولا شك أنَّ الآيات وهي تذكر نزول القرآن من الله فهي تشير إلى الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن.

وختمت هذه الآيات الكريمة بأسماء وصفات لله تعالى، فإمَّا دلت على رحمة الله بالخلق وإرادته الشرعية أن يهتدي الناس بهدي القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يس: ٥]، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ٢]، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ٢].

وإمَّا وصفت الله تعالى بصفات الكمال والعظمة والعزة وكمال العلم، كما في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١]، وقوله ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر: ٢].

وفي ختم الآيات وهي تتحدث عن إنزال القرآن بهذه الفاصلة القرآنية من أسماء الله وصفاته الدالة على كمال العزة والقدرة، وتمام العلم والإرادة؛ إشارة إلى أنَّ مصدر القرآن صفات الكمال وأنَّه منزل

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، للعثيمين (ص٢٤).

ممن كملت صفاته، ونفذت إرادته، ووسع علمه كل شيء، فكان لا بد إذن أن يكون القرآن كامل الحفظ تبعًا لكمال صفات الله تعالى.

وإسناد فعل إنزال القرآن إلى الله تعالى يدل على كامل ماهية الحفظ، قال ابن عاشور: «الفعل الذي يسند إلى الله تعالى إنَّما يراد به أتقن أنواع تلك الماهية»[(١)].

(وصفه بالصراط مضافًا إلى الله تعالى)

الصراط لغة: من (صَرَطَ)، الصِّراطُ والسِّراطُ والزِّراطُ، وقرأ بالثلاث[(٢)]، وهو الطريق[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فسَّر كثير من المفسرين الصراط بالقرآن[(٤)]، وقيل: معناه الشرع[(٥)]، وليس بين التفسيرين تناقض فإنَّ أصل الشرع القرآن، واستدل من فسر الصراط بالقرآن في الآية بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾، وردوا ذلك إلى قوله تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩/ ١٨٠).

(٢) قرأ ابن كثير: (السراط) بالسين، في روايتي القواس وَعبيد بن عقيل عَن شبْل، وقرأ أبو عمرو (الزراط) في رواية الأصمعي، وقرأ الباقون: (الصراط) بالصاد. انظر: السبعة في القراءات (ص١٠٥).

(٣) انظر: الصحاح، للجوهري (٣/ ١١٣٩)، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٤٩)، مادة: (صرط).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٣٦٨)، والنكت والعيون (٢/ ١٨٨)، وزاد المسير (٢/ ٩٣)، وتفسير القرآن، لابن أبي حاتم (١/ ٣٠)، والتفسير الوسيط، للواحدي (١/ ٦٩)، تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (١/ ٣٨)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٢/ ٣٤٤)، وأضواء البيان (٨/ ٣٩٨).

(٥) انظر: النكت والعيون (٢/ ١٨٨).

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣][١]، ولا خلاف في تفسير الأخيرة بالقرآن.

ودلالة إضافة الصراط إلى الله على حفظ القرآن من **جهتين**:

الأولى: تتمة وصفه بالمستقيم؛ أي: مستقيمًا «لا عوج فيه أصلًا، بل هو على منهاج الفطرة الأولى التي هي في أحسن تقويم بالعقل السليم الذي لم يشبه هوى ولم يشبه خلل»[٢].

الثانية: إضافة الصراط إلى الله؛ أي: طريق الله التي أراده لعباده، وهو الطريق الوحيد للنجاة، ولا بد والحالة هذه أن يكون محفوظًا.

(وصفه بحبل الله)

الحبل لغة: «وَاحِد الحبال، وَالْحَبل: الْعَهْد والأمان، يُقَال: أخذت بِحَبل من فلَان، أَي: بِعَهْد وأمان، قَالَ: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]؛ مَعْنَاهُ: الْعَهْد والذمة»[٣].

وجاء وصف القرآن بـ (حبل الله) في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقتادة والضحاك، وعطاء وغيرهم أنَّ حبل الله في الآية السابقة هو القرآن[٤]، ودلالة ذلك على حفظ القرآن، كدلالة إضافة الصراط إلى الله تعالى.

---

(١) ملاك التأويل (١/ ١٧٩).

(٢) نظم الدرر (٧/ ٢٦٤).

(٣) اتفاق المباني وافتراق المعاني (ص٢٢٥).

(٤) انظر الروايات: جامع البيان (٧/ ٧٢).

(وصفه بالوحي مضافًا إلى الله تعالى)

قال ابن فارس: «(وَحَى) الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء عِلم في إخفاء أو غيره إلى غيرك»[١].

ويطلق على عدة معاني، فيطلق على الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفيّ، يقال: وَحَيْتُ إليه الكلامَ وأوْحَيْتُ، وهو أن تكلِّمه بكلامٍ تخفيه[٢].

جاء لفظ: (أوحينا) في ١٤ موضعًا في القرآن الكريم، وفي هذا اللفظ وقد أضيف إلى ضمير جمع التعظيم (نا) لتعظيم الواحد الأحد ﷻ، في ذلك دلالته على حفظ القرآن من **جهتين**:

الأولى: ما يفيده نسبة الفعل إلى الله تعالى، من كمال إتقان ماهية المضاف، وسبق الحديث عنه، وفي هذا كمال إتقان الوحي، ولذلك علاقته الواضحة بحفظ الكتاب العزيز.

الثانية: السرعة والخفاء الذي حمله معنى الوحي، وفي وصف القرآن به، دلالة على حجب القرآن عن الشياطين وأوليائهم من الإنس، وإشارة إلى استحالة اختراق الحفظ الذي عني به القرآن.

❁ ❁ ❁

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (وحى) (٦/ ٩٣).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (وحى) (٦/ ٩٣)، والصحاح تاج اللغة، مادة: (وحى) (٦/ ٢٥٢٠).

المبحث الثالث

دلالة أسماء القرآن وصفاته الأخرى على حفظه

دلالة أسماء القرآن وصفاته الأخرى على حفظه

(الْكِتَابُ)

أصل الكتاب من الفعل (كتب) وهو يدل على جمع شيء إلى شيء، وضمه إليه. واشتقاقه من كَتَبَ بمعنى: جمع وضم؛ لأنَّ الكتاب تُجمع أوراقه وحروفه[١].

وسمي القرآن كتابًا؛ إشارة إلى الأمر بكتابته ليبقى حجة على مرِّ الزمان، فإن جعل الكلام كتابًا يقتضي أهمية ذلك الكلام والعناية بتنسيقه والاهتمام بحفظه على حالته[٢].

ولذلك أمر الرسول ﷺ بكتابته واتخذ كُتَّابًا للوحي، ونهى عن كتابة غيره في بداية تلقي أصحابه له؛ كي لا يختلط مكتوب القرآن بمكتوب غيره، فقال: «**لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ..**»[٣]. فكانت كتابة القرآن فرض كفاية على المسلمين[٤].

قال أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «..كان تنبيهًا على كتبه وضبطه بالتقييد في الصحف، ولو كان ما ضمنه الله من حفظه لا عمل للأمة فيه

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (كتب) (٥/ ١٥٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب: الزهد، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (٤/ ٢٢٩٨) رقم: (٣٠٠٤)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (كتب) (٥/ ١٥٨)، والتحرير والتنوير (١/ ٢٢١).

لم يكتبه رسول الله ﷺ بعد إخبار الله له بضمان حفظه، ولكن علم أن حفظه من الله بحفظنا وتيسيره ذلك لنا وتعليمه لكتابته وضبطه في الصحف بيننا»[١].

(الْقُرْآنُ)

سبق الحديث عن اشتقاق لفظ القرآن في التمهيد بما يغني عن إعادته، وتبين أنَّ الراجح الذي عليه أكثر أهل العلم أنَّ اشتقاق القرآن من الفعل: (قرأ).

ووجه دلالته على حفظ القرآن، حفظه بقراءته؛ حيث سمي القرآن قرآنًا لأنَّه يُقرأ، وهو اسم جنس يقع على القليل والكثير[٢].

وكان أول أَمر أُمر به الرسول، في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، ولما كان الرسول أميًّا لا يقرأ ولا يكتب حمل معنى الأمر في الآية على حفظ القرآن، فالله تعالى يأمره أن يحفظ ما يتلقى من الآيات[٣].

(الْفُرْقَانُ)

يدل في أصل معناه على تَمْيِيزٍ وَتَزْيِيلٍ بين شيئين، وكل ما فُرِّقَ به بين الحق والباطل فهو فرقان، وهو صفة للقرآن؛ لأنَّه فارق بين الحق الباطل[٤].

---

(١) أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٦١١).
(٢) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٠٨٩).
(٣) انظر: المنهج النبوي في التعليم القرآني، د. عبد السلام المجيدي (ص٦٦).
(٤) انظر: معاني القرآن، للزجاج (١/ ٣٧٥)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٩٣)، ومختار الصحاح (ص٢٣٨)، مادة: (فرق).

ووجه دلالة هذه الصفة على حفظ القرآن أنَّه وهو الفارق بين الحق والباطل لا بد أن يكون محفوظًا عن الباطل، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

قال البقاعي في سبب تسميته بالفرقان: «لأنَّه الفارق بين ملتبس، فلا يدع خفاء إلا بيَّنه، ولا حقًّا إلا أثبته، ولا باطلًا إلا نفاه ومحقه، فيه انتظام الحياة الأولى والأخرى»[(١)].

(وصفه بالقيِّم غير ذي عوج)

وُصف بذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٧ ـ ٢٨].

القيِّم: المعتدل، وقيل: قيِّم على الكتب كلها مصدق لها ناسخ لشرائعها[(٢)].

والعوج: مصدر عَوِجَ يَعْوَجُّ عِوَجًا، وَيُقَالُ أيضًا: اعْوَجَّ يَعْوَجُّ اعْوِجَاجًا وَعَوَجًا، ويَدُلُّ عَلَى مَيْلٍ فِي الشَّيْءِ، والعِوَجُ بِالْكَسْرِ: فِي الدِّين، تَقول: فِي دينه عوَجٌ؛ أي: ميل عن الحق والصواب[(٣)].

---

(١) نظم الدرر (١٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٢) انظر: معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٣٣)، وجامع البيان (١٧/ ٥٩١)، ومعالم التنزيل (٥/ ١٤١).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (عوج) (٤/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، وتاج العروس (٦/ ١٢٠)، مادة: (عوج).

ووصف القرآن بالقيم من باب وصف الشيء الصفة ونفي ضدها في الوقت ذاته تأكيدًا لاتصافه بها دون ما يناقضها.

ووجه دلالة وصفه بذلك على حفظه، أنَّ القرآن كان قيّمًا على الكتب المتقدمة ناسخًا لها كنتيجة طبيعية لكونه محفوظًا وكونها لم تحفظ بتضييع الأحبار لها وتحريفهم إياها.

ومعنى قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ [الكهف: ١] وقوله: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]؛ أي: لا اختلاف فيه، فهو محفوظ أن يتناقض أو يخالف بعضه بعضًا، كما يتناقض ويختلف غيره، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢][1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: جامع البيان (١٧/ ٥٩١).

الفصل الخامس

الحفظ الشرعي للقرآن الكريم

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن.

المبحث الثاني: الاستماع والإنصات له.

المبحث الثالث: الأمر بالاستعاذة من الشيطان عند تلاوته.

المبحث الرابع: تحريم امتهانه والتأكل به.

المبحث الخامس: الطهارة لقراءة القرآن ومس المصحف.

المبحث السادس: الأمر بتلاوته وتعلمه وتعليمه والعمل به.

المبحث السابع: تحريم الجدال في آياته واتباع ما تشابه منه.

مدخل

أعني بالحفظ الشرعي للقرآن: تلك التشريعات التي حفظ الله تعالى بها القرآن الكريم، الواردة فيه، وتقصد تلك التشريعات صون حرمة القرآن، وحفظه بها ليحفظ قولًا وعملًا، ومبنى ومعنى.

هذه التشريعات إمَّا أوامر ونواه من الله تعالى لعباده، أو أخبار يراد بها الأمر والنهي؛ أي: أمر يأمر فيه بما يحفظ القرآن، أو نهي عن أمر لا يليق بالقرآن؛ يريد بذلك أن يحفظ ويصان، ويكرم ولا يهان.

لقد وفق الله الأمة الإسلامية؛ وهداها لحفظ القرآن؛ حيث يرى ويشاهد فيها ـ عمومًا ـ تعظيم القرآن، وحفظ حرمته، والقيام بحقه، وإدراكهم لأهمية هذا الحفظ والتعظيم، فلا يتصور عند أحد من المسلمين أن يرى من يهين القرآن ـ مع كونه عاقلًا ـ إلا أن يكون كافرًا؛ فصون حرمة القرآن وتعظيمه عند المسلمين، معلوم من الدين بالضرورة.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العظيم على الإطلاق، وتنزيهه وصيانته»[(١)].

وفي هذا الفصل نتناول ـ إن شاء الله تعالى ـ تلك التشريعات القرآنية التي حفظ الله بها القرآن، من خلال استعراض الآيات التي حملت هذا النوع من حفظ القرآن.

وهذا أوان الشروع في المقصود وبالله التوفيق

---

(١) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف، للنووي (ص٧١)، وانظر: المجموع شرح المهذب، للنووي (٢/ ١٧٠).

المبحث الأول

تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حكم المستهزئ بالقرآن أو بشيء منه.

المطلب الثاني: حكم القاعد في مجلس يستهزأ فيه بالقرآن.

المطلب الثالث: تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن في التنزيل المكي والمدني.

المطلب الرابع: علاقة هجر مجالس الاستهزاء بحفظ القرآن الكريم.

المطلب الأول

حكم المستهزئ بالقرآن أو بشيء منه

مما حفظ الله تعالى به القرآن أن حرم الاستهزاء بآياته أو الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بها، فنجد الآيات قد جاءت بأحكام صارمة، وتوبيخ وتقريع شديدين لمن يستهزئ بآياته.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

ورد في سبب نزول هذه الآيات عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قرَّائنا هؤلاء لا أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنَّك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن، قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ[1] رسول الله ﷺ تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وهو يقول: يا رسول الله: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾»[2].

---

(١) حقب الناقة: الحبْل المشْدُود عَلَى حَقْو الْبَعِيرِ. النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (حَقِبَ) (١/ ٤١١ ـ ٤١٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩)، وصححه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في: الصحيح المسند من أسباب النزول (ص١٠٨).

سبب النزول يوضح أنَّ طائفة من المنافقين استهزؤوا بأصحاب رسول الله ﷺ، ثم نزلت الآيات تذكر كفر مَن فعل ذلك، لكن الآيات جعلت ذلك استهزاء بالله وآياته ورسوله.

ويرى الباحث أنَّه ينبغي ملاحظة العلاقة بين هذه الآيات وسبب نزولها، وبيان ذلك: أنَّ هذه العلاقة تعطي نتيجة هامة، هي: أنَّ الطعن في أصحاب الرسول ﷺ يعتبر طعنًا في الدين، وطعنًا في القرآن، وطعنًا في الرسول ﷺ.

وذلك أنَّ الصحابة رضي الله عنهم نقلة الدين وشهوده، والطعن في الشهود طعن في المشهود، وهم أيضًا تلاميذ محمد وأصحابه.

فتأمل كيف يقول المنافقون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك الصحابة، فيكون الجواب عليهم: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾.

وبتأمل ذلك يظهر جليًّا أنَّ الطعن بالاستهزاء فضلًا عن الطعن الصريح في أصحاب الرسول ﷺ ويعتبر رضي الله عنهم استهزاءً وطعنًا في الدين والقرآن والرسول ﷺ، وفاعل ذلك كافر كما قال تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٦].

وما سبق تقريره ظاهر في العلاقة بين الآيات التي نحن بصدد الحديث عنها وبين سبب نزولها، كما تعطي هذه العلاقة نتيجة مهمة وهي: أنَّ من حفظ القرآن حفظ كرامة الصحابة وأعراضهم؛ لأنَّ الطعن فيهم طعن في القرآن، وهي نتيجة حتمية أوضحتها الآية السابقة الذكر، كما يشهد أيضًا الواقع بذلك؛ حيث آل الأمر بالطاعنين في الصحابة رضي الله عنهم إلى الطعن في القرآن، كما هو الحال عند غلاة بعض

المبتدعة الطاعنين فيهم[١].

قال تعالى: ﴿لَّا تَعْتَذِرُوا﴾؛ أي: لا يجدي اعتذاركم؛ لأنّكم قد وقعتم في الإثم، وأثبت كفرهم محققًا بـ (قد) المفيدة للتحقيق حيث دخلت على الفعل الماضي، فقال: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾؛ أي: وقعتم في الكفر المحقق باستهزائكم بالله وآياته ورسوله؛ لأنَّ الدين مبني على تعظيم الله، وآياته، ودينه، ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لذلك التعظيم، «فإن العبد ليس له أن يهزل مع ربه ولا يستهزىء بآياته ولا يتلاعب بحدوده، ولعل حديث أبي موسى عن النبي ﷺ: «**ما بالُ أقوام يلعبون بحدود الله ويستهزئون بآياته**»[٢] في الهازلين بمعنى أنَّهم يقولونها لعبًا غير ملتزمين لحكمها وحكمها لازم لهم[٣].

---

(١) مثل غلاة الإثني عشرية، وممن قال به منهم الكليني، وابن بابويه القمي، حتى أفرد عالمهم: حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي ـ (المسيء المذنب) كما وصف نفسه في مقدمته ـ أفرد كتابًا في ذلك سمَّاه: (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، وبنى ذلك على الطعن في الصحابة ﷺ، وطبع هذا الكتاب عدة طبعات منها: طبعة إيران عام ١٢٩٨هـ، ويوجد نسخة مصورة منه بمكتبة الجامعة الإسلامية المركزية تحت رقم: (٤٥٠٩٣)، وقد حصلت على صورة لمخطوط هذا الكتاب، وتصفحته فوجدته صريحًا في الطعن في القرآن وسلامته من التحريف؛ حيث ذكر الطبرسي فيه اثني عشر وجهًا لتحريف القرآن، وما بلغ هذا وأمثاله هذه الضلال البعيد إلا نتاج طعونهم في الصحابة ﷺ. انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (١/ ٢٣٤)، وصب العذاب على من سب الأصحاب (ص٢٩٤ ـ ٢٩٥)، والانتصار، للصحب والآل (ص٤٣ ـ ٤٩).

(٢) أخرجه البزار، مسند أبي موسى الأشعري (٨/ ١١٦)، رقم: (٣١١٧)، والبيهقي في السُّنن الكبرى: كتاب الخلع والطلاق، باب ما جاء في كراهية الطلاق (٧/ ٥٢٨)، رقم: (١٤٨٩٧)، عن أبي بردة، وحسنه الألباني في تحقيق صفة الفتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٨).

(٣) إقامة الدليل على إبطال التحليل (ص١٥١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا نص في أنَّ الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر فالسب المقصود بطريق الأولى. وقد دلت هذه الآية على أنَّ كل من تنقَّص رسول الله ﷺ جادًّا أو هازلًا فقد كفر»(١).

وأضاف تعالى الإيمان إليهم فقال: ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ دون تعريف الإيمان باللام المفيد للحقيقة، فلم يقل: (قد كفرتم بعد الإيمان) وهذا تعريض بأنَّه الإيمان الصوري غير الإيمان بحقيقته، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، وهذا من لطائف القرآن(٢).

إنَّ من يستهزئ بشيء من القرآن، وكان مسلمًا ظاهرًا، ترتب على فعله حكمان هما كما يلي:

أولًا: الحكم الشرعي:

حكمه في ذلك حكم المرتد عن الإسلام، فيكون كافرًا مرتدًا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

وقد أجمعت الأمة على كفر من استخف أو هزل بالقرآن، أو بشيء منه، وفيما يلي إيراد لبعض كلام العلماء في ذلك:

(١) قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أنَّ من استخف بالقرآن، أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبَّهما، أو جحده، أو حرفًا منه، أو آية أو

---

(١) الصارم المسلول (ص٣١).

(٢) انظر: التفسير الكبير، للرازي (١٦/ ٩٥)، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٢)، وتيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٣٤٣).

كذب به، أو بشيء منه.. أو بشيء مما صرح به فيه من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته.. على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بإجماع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢]»[١]

(٢) قال ابن فرحون المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ومن استخف بالقرآن أو بشيء منه أو جحده أو حرفًا منه أو كذب شيئًا منه، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع»[٣].

(٣) قال أبو بكر محمد الحسيني الحصني الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «أمَّا الكفر بالفعل فكالسجود للصنم والشمس والقمر وإلقاء المصحف في القاذورات والسحر الذي فيه عبادة الشمس، وكذا الذبح للأصنام والسخرياء باسم من أسماء الله تعالى أو بأمره أو وعيده أو قراءة القرآن على ضرب الدف، وكذا لو كان يتعاطى الخمر والزنا ويقدم اسم الله

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٦٤٦).

(٢) أبو الوفاء، إبراهيم بن علي بن محمد، اليعمري، المالكي، المدني ولد بالمدينة ونشأ بها، وولي قضاء المدينة، وألف كتابًا نفيسًا في الأحكام، وآخر في طبقات المالكية. توفي سنة ٧٩٩هـ. انظر: التحفة اللطيفة (١/ ٨١)، والدرر الكامنة (١/ ٥٣).

(٣) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام (٢/ ٢٨٣).

(٤) فقيه ورع من أهل دمشق. ووفاته بها، نسبته إلى الحصن (من قرى حوران)، وإليه تنسب (زاوية الحصني)، له عدة مصنفات منها: (كفاية الأخيار في الفقه الشافعي)، و(تخريج أحاديث الإحياء)، و(تنبيه السالك على مظان المهالك)، توفّي سنة ٨٢٩هـ. انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٤/ ٧٦ ـ ٧٧).

تعالى استخفافًا به فإنه يكفر»[١].

(٤) قال البهوتي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]، في «باب: حكم المرتد» من كتابه الروض المربع: «أو أتى بقول، أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين أو امتهن القرآن، أو أسقط حرمته»[٣].

وسواء كان الاستهزاء بالقرآن قولًا كمن يصف القرآن بالجمود، أو الرجعية، أو عدم صلاحيته في الزمن الحاضر.

أو فعلًا كمن يمتهن المصحف الشريف بأي شكل من أشكال الامتهان، كأن يضع قدمه عليه أو يلقيه في النجاسة أو يلقي النجاسة عليه عمدًا، فإن ذلك كله كفر بالإجماع وصاحبه مرتكب أعظم الإثم، متعد أمر الله بحفظ القرآن، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٣١].

ثانيًا: الحكم الجزائي:

حكمه الجزائي القتل على اعتباره مرتدًّا، وقيل: لا يستتاب، بل يقتل مباشرة ردعًا لغيره، وقيل: يستحب أن يستتاب قبل قتله لعله أن يتوب.

والدليل ما رُوي أنَّه قَدِمَ على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل من قبل أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأله عن الناس، فأخبره. ثم قال له عمر:

---

(١) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار (ص٤٩٤).

(٢) منصور بن يونس البهوتي (نسبة إلى بهوت في غربية مصر)، شيخ الحنابلة بمصر في عصره، توفي سنة ١٠٥١هـ. انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ٣٠٧)، ومعجم المؤلفين (١٣/ ٢٢).

(٣) الروض المربع شرح زاد المستقنع (ص٦٨١).

«هَلْ كَانَ فِيكُمْ مِنْ مُغَرِّبَةِ خَبَرٍ»[١] فقال: نعم، رجل كفر بعد إسلامه، قال: «فما فعلتم به؟» قال: قرَّبناه فضربنا عنقه، فَقَالَ عُمَرُ: «أَفَلَا حَبَسْتُمُوهُ ثَلَاثًا، وَأَطْعَمْتُمُوهُ كُلَّ يَوْمٍ رَغِيفًا، وَاسْتَتَبْتُمُوهُ لَعَلَّهُ يَتُوبُ، وَيُرَاجِعُ أَمْرَ اللهِ؟» ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَحْضُرْ، وَلَمْ آمُرْ، وَلَمْ أَرْضَ إِذْ بَلَغَنِي»[٢].

استدل الفقهاء بأثر عمر رضي الله عنه على استتابته ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قتل، كما أنَّ ظاهر تبري عمر رضي الله عنه يقتضي وجوب استتابة المرتد، والله أعلم[٣].

أما كيفية توبته فأن يتبرأ مما قاله أو فعله من الاستهزاء بالقرآن، وإن كان استهزاءه معلنًا، فيعلن براءته من فعله أمام القاضي، أو من يقوم مقامه من الأعيان، وتكون توبته توبة المرتد وكل كافر بإتيانه بالشهادتين[٤].

أمَّا إن كان المستهزئ بالقرآن كافرًا أصلًا فإنَّه يقتل أيضًا ردعًا لغيره، وإن كان هذا المستهزئ كافرًا معاهدًا، أو مستأمنًا في البلد الذي يحكمه الإسلام، فإنَّه ينتقض عهده بذلك بالإضافة إلى استباحة قتله.

---

(١) «مِنْ مُغَرِّبَةِ خَبَرٍ»: «أي: هل من خبر جديد جاء من بلد بعيد. يقال: هل من مغربة خبر؟ بكسر الراء وفتحها مع الإضافة فيهما، وهو من الغرب: البُعد». النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (غَرَبَ) (٣/ ٣٤٩).

(٢) رواه مالك في الموطأ، كتاب: الأقضية، باب: القضاء فيمن ارتد عن الإسلام (٢/ ٧٣٧)، عن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري، عن أبيه عن عمر رضي الله عنه به. بسند حسن.

(٣) انظر: أحكام أهل الملل، للخلال (ص٤١٧)، والشرح الكبير على متن المقنع (١٠/ ٨٢).

(٤) انظر: مطالب أولي النهى (٦/ ٢٩٤).

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل من نقض العهد وأحدث في الإسلام حدثًا مثل هذا ـ أي: الطعن في الرسول ﷺ أو في شيء مما جاء به ـ رأيت عليه القتل، ليس على هذا أعطوا العهد والذمة»[١].

❁ ❁ ❁

(١) نقله عنه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في: الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٣٠٠).

المطلب الثاني

تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن

إنَّ من التشريعات التي حفظ الله بها القرآن، ما أمر الله به من هجر مجالس الاستهزاء؛ حتى لا يكون القرآن محلًّا للسخرية والاستهزاء.

جاء تحريم الجلوس في هذه المجالس في القرآن الكريم بأوامر صارمة ونواهٍ قاطعة، تدل على ما يريده الله تعالى لكتابه من الحفظ والتكريم.

لقد ورد تحريم الجلوس في المجالس التي يستهزأ فيها بالقرآن في التنزيل المكي والمدني، مما دلَّ على أهمية هذا التشريع حفظًا لحرمة كلام الله من الامتهان والاستهزاء.

كان المسلمون يعيشون في العهد المكي مرحلة من الضعف والاضطهاد، أمَّا العهد المدني فقد ظهر فيه الإسلام وقويت فيه شوكة المسلمين، ومع فارق الحال بين الزمنين، توحد الخطاب الإلٰهي وتكرر فيهما؛ ليحرم على المسلم أن يجلس المجلس الذي يهضم فيه حق القرآن، أو يتنقص فيه من حرمته، بل يجب على المسلمين في حال القوة أو الضعف أن يهجروا تلك المجالس تعظيمًا للقرآن وحفظًا لحرمته.

وبالنظر إلى الآيات وما حملته من تشريعات كريمة يتجلى ما حظي القرآن به من الحفظ، وهذا أوان الشروع في تأمل أنوارها، وتدبر هداياتها، استقراء مدلولاتها، ولنبدأ منها بالأسبق نزولًا:

الفرع الأول

تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن في التنزيل المكي

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

الآية خطاب للرسول ﷺ وأمته، قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويستدل بهذه الآية على أنَّ الأمة داخلة في خطاب النبي ﷺ؛ لأنَّه خاطب رسوله وحده في سورة الأنعام، وخاطب الأمة بالخطاب ذاته في سورة النساء»(١).

ودليل على ما ذكره السيوطي ما نصَّت عليه الآية المدنية من أنَّ الآية المكية نزلت في خطاب الأمة ناهية لهم عن القعود في مجلس الاستهزاء، حيث قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [النساء: ١٤٠]، فذكر أنَّه خاطب الأمة بهذا التشريع، وقد كان ظاهر الخطاب للرسول ﷺ.

يقول تعالى لنبيه ﷺ، والأمة داخلة أيضًا في الخطاب، إذا رأيت ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾، قال مجاهد: «يخوضون في آياتنا، قال: يستهزئون بها.. نُهي رسول الله ﷺ أن يقعد معهم إلا أن ينسى، فإذا ذكر فليقم»(٢).

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾؛ فأمره بهجر مجالسهم حتى

---

(١) الإكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي (ص١٠٢)، بتصرف.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٤٣٨)، بسند صحيح.

يقلعوا عن الاستهزاء بالقرآن ويتحدَّثوا في حديث غيره، فعندئذ جاز له الجلوس معهم على حالة إقلاعهم عن الاستهزاء بالقرآن؛ لأنَّ الرسول ﷺ بحاجة أن يغشى مجالسهم لدعوتهم إلى الله، كما قال الرسول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»(١). إلا أنَّ هذه المخالطة مشروطة بما قررته الآيات من عدم خوضهم واستهزائهم بالقرآن.

وقيل: إنَّ إباحة الجلوس في مجالسهم بعد كفهم عن الاستهزاء منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾(٢).

ثم ذهبت الآيات بعد ذلك تقرر: ألا تزر وازرة وزر أخرى، وأنَّ كلًّا من المتقين الأبرار، والكافرين الفجار، ليس على أي منهم حساب الآخر بل كل نفس محبوسة بكسبها وعملها إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، وعند الله الجزاء فيثيب المتقين برحمته، ويعذب الكافرين والمنافقين بعدله.

كما بيَّنت الآيات أنَّه ليس على المؤمنين المتقين إثم إذا سبق وأن جالسوهم، ولكن ليذكرهم، ويعظهم، لعلهم يتقون الله تعالى، فقال ﷻ: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: ٦٩](٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء (٢/ ١٢٩٤)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦١٤)، رقم: (٩٣٩).

(٢) انظر: أحكام القرآن، للجصَّاص (٣/ ٢٧٨).

(٣) انظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣)، وتيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٢٦٠).

ولكي تكون العزة للقرآن فيجب على حامله هجر جاحديه، وعدم غشيان مجالسهم إلا اقتضت المصلحة الراجحة، لذلك نجد الآيات تعود لتؤكد هذا الأمر المهم فيقول الله ﷻ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٠].

أي: واترك هؤلاء المستهزئين الذين الدين والقرآن عندهم لعب ولهو، لا يفقهون رسالته ولا يهتدون بهديه، دعهم واهجرهم ولا تبال بهم؛ لأنَّك على الحق، لكن مع انفصالك عنهم ومنابذتك لباطلهم، عظهم بالقرآن، ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ ما ينفع العباد، أمرًا ونهيًا، لعلهم ينجون بالاهتداء بهديه قبل أن يحبسوا محبس الهلاك بما جنته أيديهم من الآثام والتكذيب، ولا ينفعهم بعد ذلك شفاعة شافع، أو نفع نافع، وما لهم من عذاب الله دافع، وإن تفدّوا عن العذاب بكل فداء لا يقبل منهم[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾، إعلام أنَّ القرآن لم ينزل ليستهزأ به أو يُحط من قدره، أو ينتقص من حرمته، بل ليعظَّم ويقتدى بتوجيهاته، ويهتدى بهديه؛ فالعاقل اللبيب لا يهزأ بما فيه نجاته، بل ليس له طريق للنجاة إلا من طريقه.

---

(١) انظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣).

الفرع الثاني

تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن في التنزيل المدني

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

اتخذ المشركون أساليب ليصدوا الناس عن القرآن منها: استهزاؤهم بأحكامه وتشريعاته وما جاء به، فنهي الرسول ﷺ والمؤمنون عن الجلوس في مجالسهم كما بينته الآية المكية من سورة الأنعام وسبق الحديث عنها آنفًا.

ولما هاجر المؤمنون إلى المدينة وجدوا الأسلوب ذاته اتخذه اليهود للصد عن القرآن، فأكد الله تعالى النهي عن الجلوس في مجالس الاستهزاء بالقرآن مرة أخرى ليضفي على هذا النهي اهتمامًا بالغًا، وأنَّه حكم باقٍ في كل صنف مستهزئ بالقرآن سواء من مشركي مكة، أو يهود المدينة أو غيرهم كائنًا من كان، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾؛ أي: ما أنزل في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.. الآية [الأنعام: ٦٨][1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (١/ ٣٤٩)، وتفسير القرآن، لابن أبي زمنين (١/ ٤١٤).

المطلب الثالث

حكم القاعد في مجلس يستهزئ فيه بالقرآن

كانت الآية المدنية أشد في خطابها وأشد تأكيدًا على تحريم الجلوس في المجالس التي يستهزأ فيها بالقرآن.

ومما أضافته الآية المدنية أيضًا بيانها لحكم القاعد في مجلس الاستهزاء، عارضة ذلك بترهيب شديد، وتحذير مهيب، حيث يقول تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

في الآية السابقة نهي، وحكم، وترهيب، ووعيد، وهي مجتمعة بِنَاء كامل لحفظ حرمة القرآن الكريم.

النهي: في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾، ويفيد التحريم.

والحكم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾، فهذا هو حكم من جلس في مجلس يستهزأ فيه بالقرآن، وهذا الجلوس لا يخلو من صورتين:

الصورة الأولى: أن يقعد معهم ويرضى بما يخوضون فيه من استهزائهم بآيات الله، فهذا كافر مثلهم، ويكون معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾؛ أي: مثلهم في الكفر بسبب الرضا عن هذا الاستهزاء، هذه الصورة هي حال المنافقين الذين كانوا يجالسون الكافرين راضين بذلك.

قال أبو حيان الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾: حكم تعالى

بأنَّهم إذا قعدوا معهم وهم يكفرون بآيات الله ويستهزئون بها، وهم قادرون على الإنكار مثلهم في الكفر؛ لأنَّهم يكونون راضين بالكفر، والرضا بالكفر كفر»[١].

وقال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ في الإثم؛ لأنَّكم قادرون على الإعراض عنهم والإنكار عليهم، أو الكفر إن رضيتم بذلك»[٢].

الصورة الثانية: أن يقعد معهم غير راض بما يخوضون فيه من الاستهزاء، فإنَّه لا يكفر بذلك؛ لعدم رضاه به، لكنَّه يأثم لجلوسه معهم ما لم يكن مكرهًا[٣].

ويشمل هذا النهي مجالسة أهل البدع الذين يؤوِّلون آيات القرآن بأهوائهم ولا يلزمون منهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ويستخدمون النصوص لنصرة مذاهبهم الباطلة، فيحملونها ما لا تحتمل، فيجب هجر مجالس هؤلاء أيضًا؛ لأنَّها مجالس خوض في آيات الله بغير هدى.

كما تشمل أيضًا مجلس المعصية حيث يجب على القاعد معهم أن ينكر عليهم معصيتهم أو بدعتهم، فإن لم يرعووا وينيبوا وجب عليه أن يقوم من ذلك المجلس، وإلا كان معهم في الإثم سواء كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[٤].

أما الترهيب والوعيد: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾، فقد رهبت الآية وحذّرت

---

(١) البحر المحيط (٤/ ١٠٣).
(٢) أنوار التنزيل (٢/ ١٠٤).
(٣) انظر: طرح التثريب (٧/ ٧٤).
(٤) انظر: تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (١/ ٤٩٢)، وبحر العلوم، للسمرقندي (١/ ٣٤٩).

من مجالسة الكافرين وهم يهزؤون بالقرآن، وختمت الآية ببيان أنَّ الله تعالى جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا.

وذكر المنافقين إشارة إلى أنَّ ذلك الفعل نفاق أو يؤول إليه؛ لأنَّه إن كان عن رضا بالاستهزاء، فهو عين النفاق، وإن كان عن اختيار دون رضا بالاستهزاء فهو يؤول ـ مع الإصرار وعدم التوبة والإقلاع ـ إلى النفاق.

وعند ذلك بيَّن الله مخوفًا الذين يوالون الكافرين، أو يجالسون المستهزئين أنَّ جزاء المنافقين والكافرين جزاء واحد، وهو نار جهنم.

وبدأ بالمنافقين؛ لشناعة النفاق؛ ولأنَّ عذاب المنافقين أشد، كما قال تعالى بعدها بآيات: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

ذلك كله؛ لأنَّ سخط الله تعالى يعم في مجالس الاستهزاء القائل والسامع، يقول إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة ليُضحك بها من حوله فيسخط الله بها فيصيبه السخط فيعم من حوله، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة فيرضى الله بها فتصيبه الرحمة فتعم من حوله»[1].

❁ ❁ ❁

(١) التفسير من سنن سعيد بن منصور (٤/ ١٤٠٦)، والزهد لهناد بن السري (٢/ ٥٥٣).

المطلب الرابع

علاقة هجر مجالس الاستهزاء بحفظ القرآن

مقصد الاستهزاء بالقرآن عند المستهزئين هو التهوين من أمره، والحط من قدره، فلا يصير عظيمًا عند معتنقي رسالته، ومن ثم يسهل لهم الصد عن طريقه، والطعن في صيانته ومضمونه، فجاء هذا التشريع العظيم؛ ليحفظ حرمة القرآن.

وأثر هذا التشريع على حفظ القرآن يتمثل في ثلاثة جوانب:

الأول: تعظيم القرآن الكريم وحفظ حرمته، بحيث لا يكون القرآن عرضة للامتهان في مجالس الاستهزاء.

الثاني: المحافظة على تعظيم القرآن في قلب المؤمن الممتثل لهذا التشريع؛ فإن حضور تلك المجالس لا يؤدي إلى امتهان القرآن فحسب، بل يؤثر على الجالس عندما يتكرر القعود في تلك المجالس، حيث يسهل عليه ذلك شيئًا فشيئًا، فيذهب تعظيم القرآن من قلبه، ويضعف بذلك إيمانه.

الثالث: ردع وزجر المستهزئين، فإنَّهم إذا رأوا الناس ينجفلون[1] عن مجالسهم لأجل استهزائهم بالقرآن، يشعرون عند ذلك بالهوان،

---

(١) انجفل: أي: ذهب مسرعًا، انجفل القومُ؛ أي: انقلعوا كلُّهم فمضوا، انجفل إليه: سارع مقبلًا إليه، وانجفل عنه: سارع في ترك مجلسه. انظر: الصحاح، للجوهري (٤/ ١٦٥٧)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٢٧٩)، مادة: (جفل).

وفساد طريقتهم التي بنوها على الاستهزاء، كما يعظم أمر القرآن في أعينهم وإن لم يصرحوا بذلك؛ لأنَّهم يرون هجرًا لهم، وابتعادًا عنهم، غيرةً للقرآن العظيم، بخلاف لو أنَّ المؤمن الذي من أساسيات إيمانه تعظيم القرآن، استمر في مجالستهم فإنَّهم يتشرهون الطعن فيه ويتحمسون لذلك، وكم من شيء عظيم أهانه حامله، وهذا مقياس عند كثير من الناس كما قيل:

أما درى أن ما عظَّمت قيمتهُ فهو العظيم وما حَقَّرت محتقر[1]

وكما قيل:

قد يعظُم الشيء بتعظيمه وربما هان بتهوينه[2]

الاستهزاء بآيات الله ليس مستبعدًا من الكافرين وأعداء الدين، فليس بعد الكفر ذنب، لكن يُستغرب من المؤمن أن يجلس مجالسهم، ويسكت عن خوضهم واستهزائهم، فجاءت التشريعات القرآنية بهذا الصدد حاسمة، شديدة، وقاطعة كل تساهل يفضي لهتك حرمة القرآن.

❁ ❁ ❁

(١) البيت، لابن الرومي يهجو فيه أبا عمرو. ديوان ابن الرومي (٣/ ١٠١٧).

(٢) البيت، لابن الرومي، ديوانه (٤/ ٢٩٨٣).

المبحث الثاني

الاستماع والإنصات له

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في وقت إيجاب الإنصات للقرآن وتحقيق القول فيه.

المطلب الثاني: التحريض على عدم الإنصات للقرآن صفة الكافرين.

المطلب الثالث: علاقة الاستماع والإنصات للقرآن بحفظ حرمته.

المطلب الرابع: تحريم اللغو عند سماع القرآن.

مدخل

من التشريعات التي حفظ الله تعالى بها القرآن أمره ﷻ بالإنصات والاستماع له عند تلاوته، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين، وأولياءه الصالحين، بإرعائهم السمع[١] عند قراءة القرآن، وأن ينصتوا؛ أي: يسكتوا من الكلام إذا قُرئ وتُلي حتى لا يعارض بغيره من الكلام؛ وليعظيم شأن القرآن وتحفظ حرمته.

ثم تأمل كيف رتب على ذلك ثوابًا لتنشط النفس في امتثاله فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾، «يعني: لكي تُرحموا، فجعل الاستماع بترك الكلام لتفهم كلامه يوجب الرحمة قبل العمل بما يسمع»[٢].

والاستماع: من الفعل: (سمع)، قال ابن فارس: «السين والميم والعين أصل واحد، وهو إِينَاسُ الشيء بِالْأُذُنِ. تقول: سمعت الشيء سمعًا»[٣].

والاستماع إِدْرَاك المسموع، والإصغاء طلب إِدْرَاك المسموع بإمالة

---

(١) أرعيتُه سَمْعي، إذا أصغيت إِلَيْهِ. انظر: جمهرة اللغة (٢/ ٧٧٦)، والمصباح المنير (١/ ٢٣١).

(٢) فهم القرآن (ص٣٢١).

(٣) مقاييس اللغة، مادة: (سمع) (٣/ ١٠٢).

السّمع إِلَيْهِ، وألْقى السّمع؛ أي: أصغى لاستماعه[١].

أما الإنصات فهو: من الفعل أنْصَت يُنْصِتُ إنْصاتًا، إِذَا سَكَت سُكوتَ مُسْتمِع. وَقَدْ نَصَت أَيْضًا، وأنْصَتُّه، إِذَا أسْكتّه، فَهُوَ لَازِمٌ ومتَعدٍّ، وينصت للسمع؛ أي: يسكت لكي يسمع[٢].

قال عبد الرؤوف المناوي: «الإنصات؛ أي: الاستماع إلى الصوت مع ترك الكلام»[٣].

إذن الإنصات سكوت واستماع، لكنه إذا اقترن بفعل الاستماع في سياق واحد أخذ معنى السكوت، لوجود فعل الاستماع في ذات السياق، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

ويساق ذلك بهذا التفريق؛ لأنَّ كلًّا من الأمرين يأخذ حكمه كما سيأتي بيان ذلك. أمَّا بيان وقع هذا التشريع على حفظ القرآن الكريم فيدرس في المطالب التالية.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الفروق اللغوية، للعسكري (ص٨٩)، والكليات (ص١٧٥).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٦٢)، وتاج العروس (٥/ ١٢٢)، مادة: (نصت).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٦٥).

المطلب الأول

أقوال المفسرين في وقت إيجاب الإنصات للقرآن وتحقيق القول فيه

ذهب كثير من المفسرين إلى أنَّ الأمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] مخصوص بالاستماع والإنصات لقراءة القرآن في الصلاة وخطبة الجمعة(١).

واستند من قال بذلك إلى ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية، قال: «نَزَلَتْ فِي رَفْعِ الْأَصْوَاتِ وَهُمْ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الصَّلَاةِ». وهو أثر ضعيف لا يخصص بمثله خطاب الآية(٢).

وذهب مَن خصص الأمر في الآية بالصلاة بناءً على الأثر السابق إلى استحباب الإنصات له خارج الصلاة.

قال السيوطي رحمه الله: «مسألة: يُسَنُّ الاستماع لقراءة القرآن وَتَرْكُ

---

(١) انظر: جامع البيان (١٣/ ٣٥٢)، وتفسير القرآن، لابن أبي حاتم (٥/ ١٦٤٥ ـ ١٦٤٦)، وبحر العلوم (١/ ٥٧٨)، وتفسير القرآن، لابن أبي زمنين (٢/ ١٦٣)، والهداية، لمكي (٤/ ٢٧٠١)، والنكت والعيون (٢/ ٢٩٠)، والتفسير الوسيط، للواحدي (٢/ ٤٤٠)، وتفسير السمعاني (٢/ ٢٤٤).

(٢) أثر ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥/ ١٦٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٢٩) من طريق عبد الله بن عامر الأسلمي، وهو ضعيف: ضعفه أحمد، والنسائي، والدارقطني، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: يتكلمون في حفظه، وسُئل عنه ابن المديني فقال: ذاك عندنا ضعيف ضعيف. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٤٩)، وتهذيب الكمال (١٥/ ١٥٠).

اللَّغَطِ والحديث بحضور القراءة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]»[١].

وقال البيضاوي: «وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة. واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم، وهو ضعيف»[٢].

وذهب بعض أهل العلم إلى الوجوب المطلق، قال الكمال بن الهمام[٣]: «وفي كلام أصحابنا[٤]، ما يدل على وجوب الاستماع في الجهر بالقرآن مطلقًا، قال في الخلاصة: رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن فلا يمكنه استماع القرآن فالإثم على القارئ، وعلى هذا لو قرأ على السطح في الليل جهرًا والناس نيام يأثم، وهذا صريح في إطلاق الوجوب؛ ولأنّ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب»[٥].

ويظهر من التمثيل السابق تعمق هذا الرأي في إيجاب الاستماع؛ حيث لا يجيز مثلًا أن يقرأ القرآنَ مستيقظٌ جوار من يريد النوم، لوجوب الاستماع.

وإضافة إلى تعمُّق هذا الرأي فإنَّه يعارض أحاديث صحيحة فيها يقرأ القارئ القرآن، والناس منهم النائم ومنهم القائم كحديث: «**إِنِّي**

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٨١). (٢) أنوار التنزيل (٣/ ٤٧).

(٣) كمال الدين، محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد السيواسي، ثم الإسكندري، الحنفي، المعروف بـ (الكمال ابن الهمام)، من علماء الحنفية. عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه وغيرها من العلوم، توفي بالقاهرة سنة: ٨٦١هـ. انظر: بغية الوعاة (١/ ١٦٧ ـ ١٦٧)، والبدر الطالع (٢/ ٢٠١).

(٤) أي: الحنفية.

(٥) فتح القدير، للكمال ابن الهمام (١/ ٣٤٢).

لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ[١] **بِالقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ»**[٢]، ولا شك أنَّ بعض الناس كانوا نيامًا وقت قراءة الأشعريين[٣].

ويرى الباحث بعد النظر في الأدلة مجتمعة: أنَّ الحكم في المسألة هو وجوب الاستماع والإنصات للقرآن في الصلاة، بحيث لا يجوز التشاغل عن ذلك؛ لعموم لفظ الآية في الأمر بالاستماع والإنصات للقرآن؛ ولأدلة السُّنَّة النبوية التي تحرِّم الكلام في الصلاة وتأمر بالاستماع لقراءة الإمام في الصلاة.

أمَّا خارج الصلاة فأرى أنَّ الإنصات؛ أي: السكوت للقراءة واجب، والاستماع مستحب، فيجب لمن سمع مَن يقرأ القرآن أن يكف عن الكلام، إجلالًا لمقامه، وتعظيمًا لشأنه.

أما الاستماع فإنَّه خارج الصلاة مستحب، وليس واجبًا، فيجوز أن ينام النائم جوار من يقرأ القرآن، وأن يقرأ كتاب الفقه جوار من يقرأ القرآن، دون أن يعارض القرآن برفع الصوت، فإن هذا أيضًا لا ينبغي حتى فيمن يقرأ القرآن رافعًا صوته بجوار الآخر الذي يقرأ القرآن، بحيث يكون بينهما تجاهر وتعارض، فقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: «**لَا**

---

(١) الأشعريون: بنو الأشعر نبت بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ. جمهرة أنساب العرب (ص٣٩٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر (٥/ ١٣٨)، وأخرجه مسلم كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم (٤/ ١٩٤٤). من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) انظر: التفسير المظهري (٣/ ٤٥١).

يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ»[(١)(٢)].

ما سبق إعمالًا للأمر في الآية التي نحن بصدد الحديث عنها؛ لأنَّ سبب نزولها مع ضعفه لو صح أيضًا لم يعارض العموم، فإنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والأدلة من السُّنَّة ـ وقد أشير لبعضها آنفًا ـ توجِّه أمر الآية إلى وجوب الإنصات للقرآن واستحباب الاستماع إليه، والله العالم بمراده من كلامه.

❁ ❁ ❁

(١) قال القرطبي الباجي في المنتقى شرح الموطأ (١/ ١٥٠): «لأنَّ في ذلك إيذاء بعضهم لبعض ومنعًا من الإقبال على الصلاة وتفريغ السر لها وتأمل ما يناجي به ربه من القرآن، وإذا كان رفع الصوت بقراءة القرآن ممنوعًا حينئذ لإذاية المصلين، فبأن يمنع رفع الصوت بالحديث وغيره أولى».

(٢) أخرج أحمد في المسند، مسند الكوفيين، حديث البياضي (٣١/ ٣٦٣)، ومالك في الموطأ: كتاب: الصلاة، باب: العمل في القراءة (١/ ٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٩٤)، رقم: (١٩٥١).

المطلب الثاني

التحريض على عدم الإنصات للقرآن

صفة الكافرين

أمر الله تعالى بالإنصات للقرآن لكن حال الكافرين على خلافه؛ حيث قالوا آمرين موصين أهل طاعتهم من العامة، لا تسمعوا هذا القرآن إذا قُرىء، ولا تتبعوا ما فيه، وقالوا لهم إذا قُرىء بحضرة أحد منكم فليبتدره باللغو، واللغو هو ما لا أصل له وما لا معنى له.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت: ٢٦]، وكان المشركون إذا قرأ الرسول ﷺ القرآن أتوا بالتصفيق والتصفير، وارتجزوا الأشعار ليشوِّشوا على الرسول قراءته(١).

وبعكس هذه الحال يجب أن يكون المسلمون، إذ يجب عليهم تدينًا وعبادةً لله تعالى أن يحثُّوا غيرهم بالاستماع والإنصات للقرآن الكريم، وأن يكون ذلك لهم خلقًا ملازمًا لنصيحتهم لكتاب الله وقد تعبدهم الله تعالى بحفظه وتعظيمه.

ثم توعدهم، منتصرًا للقرآن، ومنتقمًا ممن عاداه من أهل الكفران فقال: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [فصلت: ٢٧]؛ أي: في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه.

---

(١) انظر: تفسير القرآن، لابن كثير (٧/ ١٧٤)، والهداية لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٥١٥)، وروح المعاني (١٢/ ٣٧١).

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾؛ أي: بشر أعمالهم وسيئ أفعالهم، ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت: ٢٨][1]؛ أي: بسبب جحدهم للقرآن، وما فعلوه من أسباب للصد عن استماعه واتباعه نعذبهم بهذا العذاب.

الجزاء من جنس العمل؛ فكما رتب العذاب السابق على من حرض على عدم سماع آياته، رتب عكسه من رحماته ونفحات مغفراته لمن أنصت له حيث قال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وشتان بين الجزاءين والعاقبتين.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تفسير القرآن، لابن كثير (٧/ ١٧٤).

المطلب الثالث

علاقة الاستماع والإنصات للقرآن بحفظ حرمته

لقد كان لهذا التشريع أثر عظيم في حفظ حرمة القرآن، فلا يخفى أنَّ حالًا يقرأ فيها القرآن، لا يحفها الصمت والإصغاء، حال لا يعظم فيها، ولا يقام فيها الحرمة التي تنبغي له.

ويفضي في مثل هذه الحالة إلى ضعف تعظيم القرآن في القلوب، فكان لهذا التشريع أثره في حفظ حرمة القرآن، وحفظ تعظيمه في قلب المؤمن.

إضافة إلى أثر هذا التشريع في الناشئة فإذا رأى الطفل والده يصغي للقرآن إذا سمعه ولا يتكلم بحضرة قراءته، نشأ معظمًا للقرآن، مجلًّا لمقامه.

وليست الحال كذلك فيما لو رأى والده لا يصغي له، غير مبال بقراءته، وهكذا المثال في شأن المعلم مع تلاميذه، وغير ذلك مما ينبغي للمسلمين أن يغرسوا في قلوب الناشئة تعظيم القرآن الكريم بالالتزام بالتشريعات التي تحفظ حرمته وتظهره عظيمًا مصونًا.

إنَّ القرآن بالنسبة للمؤمنين أساس دينهم وإيمانهم، فلا يليق بهم والحالة هذه مخالفة هذا التشريع وفيه تعظيمه، وقد يتسرب النسيان إلى المؤمن فلا يصغي لآيات القرآن، لكنَّه إذا تذكر الأمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] فسرعان ما يكف عن الكلام، تعظيمًا وإجلالًا له، فكان لهذا التشريع

أثره في تذكير المؤمن بحرمة القرآن، ووجوب الإنصات المفضي إلى الانتفاع به.

إنَّ الانتفاع بالقرآن لا يتأتى إلا بإقامة هذا التشريع والإلتزام به كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

قال: ألقى السمع؛ لأنَّ إصغاء السمع طريق التدبر عندما يحضر القلب، ولازم ذلك ألا يُحدِّث المرء نفسه بغيره، وشاهد القلب غير غائب، ولا يكون ذلك إلا لمن كان له قلب خاشع لين، نعوذ بالله من غياب الأفئدة، وقسوة القلوب[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص٦١٥).

المطلب الرابع

تحريم اللغو عند سماع القرآن والإلهاء عن استماعه

لم يترك الكافرون حيلة أو وسيلة للصد عن القرآن، إلا فعلوها وسارعوا في إملائها على متبعيهم على باطلهم، وكانوا يوصون غيرهم بالصد عن القرآن، وعدم الاستماع له، واللغو فيه؛ أي: حال قراءته.

يقول تعالى عن تواصيهم على هذا الباطل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦].

قال نفطويه[١]: «اللغو في نفس اللغة الشيء المطرح، يقال: ألغيت هذا؛ أي: طرحته»[٢].

اللغو كل كلام ساقط لا وجه له، ولا طائل تحته، أرادوا أن إذا تلي القرآن، أن يتشاغلوا عن قراءته برفع الصوت، والخرافات، والهذيان، والتصفيق، والتصفير، وغير ذلك مما هو لغو[٣].

إذن كان هدفهم أن يتشاغلوا ويُشاغلوا غيرهم عن سماع القرآن، وهذا دليل عجزهم وضعفهم وقد دعوا إلى معارضته، فلما أدركوا

---

(١) أبو عبد الله، إبراهيم بن محمد بن عرفة، لقب نفطويه تشبيهًا إياه بالنفط لدمامته وأدمته، وقدر اللقب على مثال سيبويه، عالم بالنحو، له مصنفات عدة، توفي ٣٢٣هـ. انظر: إنباه الرواة (١/ ٢١٣)، والسير، للذهبي (١٥/ ٧٥ ـ ٧٦).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١/ ٧٤٨).

(٣) انظر: تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٥/ ٤٨)، والكشاف (٤/ ١٩٧).

عجزهم عن ذلك لجؤوا لأساليب الضعفاء والموتورين[١].

قال البقاعي رحمه الله: «وهذه شهادة منهم على أنفسهم بالانقطاع عن معارضته، وتسجيلهم بقوة عارضته»[٢].

وليست هذه الوصايا بعدم الاستماع للقرآن، واللغو فيه فقط ما استخدمه الكافرون في صدهم عن القرآن.

بل جاوزوا ذلك إلى إنشاء أماكن وملتقيات ونواد يقتلون فيها الوقت؛ ليشغلوا أنفسهم والتابعين لهم عن الاستماع للقرآن الكريم.

وفي هؤلاء يقول ربنا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان: ٦ ـ ٧].

لهو الحديث هو كل كلام لا فائدة فيه ولا جدوى، وفسَّره كثير من المفسرين بالغناء.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لهو الحديث هو الغناء وَالَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ»[٣]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لهو الحديث الغناء وأشباهه»[٤].

---

(١) الموتور: الذي فقد كل شيء. ومنه قول الرسول ﷺ: «**الذي تفوته صلاة العصر، كأنَّما وتر أهله وماله**». متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة (٤/ ١٩٩)، رقم: (٣٦٠٢)، ومسلم: كتاب: المساجد، باب: التغليظ في تفويت صلاة العصر (١/ ٤٣٦)، رقم: (٢٠١). عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) نظم الدرر (١٧/ ١٤٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، في مصنفه، كتاب: البيوع والأقضية (٤/ ٣٦٨)، رقم: (٢١١٣٠).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب الغناء واللهو (ص٤٢١)، رقم: (٧٨٦).

الغناء من أهم الوسائل التي استخدمها الكفار للصد عن القرآن، وإلهاء الناس عن الاستماع لآياته، حتى كانوا يشترون القينات لإقامة موائده، يوضح ذلك ما أخرجه الترمذي عن أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَبِيعُوا القَيْنات**[١] **وَلَا تَشْتَرُوهُنَّ وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ**[٢]**، وَلَا خَيْرَ فِي تِجَارَةٍ فِيهِنَّ وَثَمَنُهُنَّ حَرَامٌ**»[٣].

قال الترمذي: «وفي مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]»[٤].

قلت: تفسير لهو الحديث بالغناء تفسير للفظ ببعض معناه، وإلا فلهو الحديث، يشمل الحديث بالباطل وإن لم يكن غناء.

قال في تحفة الأحوذي: «والمراد من الحديث المنكر، فيدخل فيه نحو السمر بالأساطير وبالأحاديث التي لا أصل لها، والتحدث بالخرافات، والمضاحيك، والغناء، وتعلم الموسيقى، وما أشبه ذلك»[٥].

لكن لماذا يتخوفون من استماع القرآن؟ ولماذا هذا التحذير من سماعه؟

---

(١) القينات: جمع قَيْنٌ، والْقَيْنُ الْأَمَةُ مُغَنِّيَةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَهَا. انظر: تحفة الأحوذي (٤/ ٤١٩).

(٢) «وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ»: أَيْ: الغناء فإنَّها رقية الزنى، وحرم بيعهن؛ لغرض الغناء اللهو، وفيه دليل على تحريم أخذ ثمنهن كأخذ ثمن العنب من النباذ؛ لأنَّه إعانة وتَوصل إلى حصول محرم. انظر: تحفة الأحوذي (٤/ ٤١٩)، ومرقاة المفاتيح (٥/ ١٩٠٣).

(٣) أخرجه الترمذي، تفسير القرآن، باب: سورة لقمان (٥/ ٣٤٥) رقم: (٣١٩٥)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم: (١٢٨٢).

(٤) جامع الترمذي (٥/ ٣٤٦).

(٥) تحفة الأحوذي (٤/ ٤١٩).

الجواب: أنَّ المشركين إلى جانب إدراكهم عجزهم عن معارضة الكتاب، قد أدركوا أيضًا أنَّ له تأثيرًا خارقًا على السامعين؛ حيث كانوا يرون الناس يتزايدون في الدخول في الإسلام يومًا بعد يوم[(١)].

كما دعاهم لذلك العجز عن الإتيان بمثله، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذلك لأنَّهم تحدوا به في أن يأتوا بشيء من مثله ليعدوا غالبين فلم يجدوا شيئًا يترجون به الغلب إلا الصفير والتصفيق ونحوه من اللغو في معارضة ما علا من أعلى ذرى الكلام إلى حيث لا مطمع ولا مرام، فلا يفيد ما أتوا به معنى غير أنهم عاجزون عن المعارضة، قاطعون بأنهم متى أتوا بشيء منها افتضحوا، وقطع كل من سمعه بأنهم مغلوبون»[(٢)].

لقد كان من هديه ﷺ في دعوته الناس إلى الإسلام أن يقرأ عليهم من القرآن، وعند إسلام المخاطب فإنه يأمر بعض أصحابه أن يعلموه شيئًا من القرآن[(٣)]، كل ذلك يبين أهمية القرآن، وعظم تأثيره في قلوب سامعيه.

ثم باء الحجر الذي استخدمه المشركون بالفشل؛ حيث لم يمنع ذلك المخاطبين بالقرآن، أن يصل إلى مسامعهم، ويهز قلوبهم وعقولهم.

لقد وضع الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الكرسف ـ أي: القطن ـ

---

(١) انظر على سبيل المثال: قصة إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بطولها في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٢٧٩)، رقم: (٣٧١)، عن أم عبد الله بنت أبي حثمة، وفي مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(٢) نظم الدرر (١٧/ ١٧٩).

(٣) انظر أخبارًا في ذلك: السيرة النبوية، لابن كثير (٤/ ٩٧ ـ ٩٨)، وشرف المصطفى (٥/ ٣٨١)، والمقتفى من سيرة المصطفى (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، وبهجة المحافل وبغية الأماثل (١/ ١٣٨).

في أذنيه متأثرًا بداية بتخويف المشركين له من الرسول ﷺ، فلمَّا رأى الرسول ﷺ عند الكعبة نزع الكرسف، واستمع القرآن، ثم دخل بيت الرسول ﷺ معجبًا بما سمع، قال الطفيل رضي الله عنه: «فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ»(١).

أمَّا التشريع القرآني في مواجهة مثل هذه الأساليب للصد عن القرآن، فتمثل في إيجاب الإنصات للقرآن الكريم، تعظيمًا له، وإكرامًا لمقامه، وقد سبق الحديث عن ذلك في المطلب السابق.

بالإضافة أيضًا إلى تحريم اللغو فيه، والصد عنه، أو الإلهاء عن استماعه، أفاد ذلك الخبر الذي يفيد النهي، والوعيد في قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [فصلت: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [لقمان: ٦]، وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان: ٧]، كل ذلك دليل على عظم شناعة هذا الفعل وعظم تبعاته، وأنَّه من عظائم الذنوب المستوجبة لأشد العذاب، وسخط الجبار ﷻ، إذن فقد حفظ القرآن في هذه الحال بالأمر والنهي؛ أي: الأمر باستماعه، والإنصات له، والنهي عن اللغو فيه والإلهاء عن استماعه، فكان محفوظًا شرعًا بهذه الثنائية من الأوامر والنواهي.

❁ ❁ ❁

---

(١) ورد الخبر في: سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٣)، ودلائل النبوة، لأبي نعيم (١/ ٢٣٩)، والسيرة النبوية، لابن كثير (٢/ ٧٢ ـ ٧٤).

المبحث الثالث

الأمر بالاستعاذة من الشيطان عند تلاوته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الاستعاذة.

المطلب الثاني: حكم الاستعاذة لقراءة القرآن، ووقتها، ولفظها.

المطلب الثالث: علاقة الاستعاذة عند قراءة القرآن بحفظه.

مدخل

إنَّ من التشريعات التي حفظ الله بها القرآن، ما أمر الله به من الاستعاذة من الشيطان عند تلاوته، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨ ـ ١٠٠].

العبد لا يزال وعلى الدوام بحاجة إلى ربه ﷻ أن يعصمه من الشيطان الرجيم؛ إذ لا قوة إلا بالله على ذلك، فالعداوة الشيطانية للإنسان قديمة منذ خلق آدم عليه السلام ولا تزال مستمرة مع إنظار إبليس ابتلاء وامتحانًا: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤ ـ ١٦].

ومع عمق تلك العداوة تبقى الاستعانة بالله تعالى هي الحصن الحصين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢].

قال الشوكاني رحمه الله: «ما كان له تَسَلُّطٌ عَلَيْهِمْ: أي: لم يقهرهم على الكفر، وَإِنَّمَا كان منه الدعاء والوسوسة والتزيين»(١).

ومن خطر الشيطان على الإنسان أنَّه لا يراه، وقد حذر الله تعالى الإنسان ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٧١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَمَّا كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ الشيطان»(١).

إذن سلاح الشيطان الذي يعتمد عليه هو الوسواس، ولا شك أنَّه أحرص ما يكون فيه عندما يقرأ المسلم القرآن.

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان القرآن هو الذكر الحكيم والحق المبين، وكان لكل حق محارب وهو شيطان الجن أو الإنس يثير الشبهات بوساوسه، ويفسد القلوب بدسائسه، أُمر ﷺ بأن يستعيذ بالله ويلتجئ إليه عند تلاوة القرآن من وسوسته؛ لأنَّ قوة الإنسان تضعف عن دفعه بسهولة، فيحتاج إلى الاستعانة عليه بالله واللياذ بجواره منه»(٢).

فهذا التشريع جاء حفظًا للقارئ وما يقرأ، ولبيان ذلك وعلاقته بحفظ القرآن، ندرسه من خلال المطالب التالية:

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١١٤).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٠٧).

المطلب الأول

معنى الاستعاذة

الاستعاذة لغة: الالتجاء إلى الشيء، تقول أعوذ بالله ﷻ؛ أي: ألجأ إليه، ومعاذ الله، معناه: أعوذ بالله، وكذا أستعيذ بالله. وقال رسول الله ﷺ للتي استعاذت منه: «**لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك**»[(١)]. وعاذ به يعوذ عوذًا وعياذًا ومعاذًا: لاذ به ولجأ إليه واعتصم[(٢)].

والعياذ: الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر، والملاذ لطلب الخير، كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به فيما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا[(٣)] أنت جابره[(٤)]

الاستعاذة: هي «الاعتصام والالتجاء إلى من تعتقد أنه يعيذك ويلجئك. والاستعاذة بالله تعالى هي التي تتضمن كمال الافتقار إليه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الطلاق، باب: من طلق، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق (٧/ ٤١)، رقم: (٥٢٥٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) مقاييس اللغة، مادة: (عوذ) (٤/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، ولسان العرب، مادة: (عوذ) (٣/ ٤٩٨).

(٣) «هاضَ العَظْمَ يَهيضُهُ هَيْضًا؛ أي: كسره بعد الجبور». الصحاح، مادة: (هضض) (٣/ ١١١٣).

(٤) البيتان في ديوان المتنبي (١/ ٨٧). قالهما المتنبي في مدح بعض الملوك، ولا يجوز ذلك؛ لأنَّه غلو، ولا يصح أن يوصف به إلا جناب الله، ونقل نحو هذا الكلام ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١١/ ٢٩٢)، عن ابن تيمية رحمه الله.

سبحانه، والاعتصام به، واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شر. ولا ريب أن هذه المعاني لا تكون إلا لله ﷻ»[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير»[٢].

ومعنى: **(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)**؛ أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه[٣].

❁ ❁ ❁

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص٩٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١١٤).
(٣) انظر: المرجع السابق (١/ ١١٤).

المطلب الثاني

حكم الاستعاذة لقراءة القرآن، ومحلها، ولفظها

الفرع الأول

حكم الاستعاذة

ذهب عطاء والثوري إلى أنَّها واجبة، واستدلوا بما **يلي**:

(١) ظاهر الأمر في الآية حيث يفيد الوجوب وفقًا للقاعدة الفقهية التي تقول: كل أمر في القرآن أو في السُّنَّة يفيد الوجوب ما لم يأت صارف[(١)].

(٢) مواظبة الرسول ﷺ على الإتيان بها.

(٣) أن المسلم بحاجة إلى أن يدرأ شر الشيطان، وهي وسيلة لذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[(٢)].

أمَّا الجمهور فذهبوا إلى أنَّها سنة، وأن الأمر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨] للندب لا للوجوب، واستدلوا بما يلي:

(١) استدلوا بأحاديث مثل الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) انظر القاعدة في: فتح القدير، للكمال ابن الهمام (١/ ٣٠٥)، والأصل الجامع (١/ ١٠٩).

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب (٣/ ٣٢٥)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق (١/ ٣٢٨).

«كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين»[١]، وقالوا أنَّه يفيد ترك الرسول ﷺ الإتيان بالاستعاذة، فيكون هذا صارفًا للوجوب إلى الندب[٢].

(٢) إجماع السلف على سنية الاستعاذة وهو بحد ذاته صارف عن الوجوب، قال السَّرَخْسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[٣]: «قال عطاء: الاستعاذة تجب عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها، وهو مخالف لإجماع السلف فقد كانوا مجمعين على أنَّه سُنَّة»[٤].

أمَّا في الصلاة فعند الحنفية والشافعية والحنابلة أنَّها سنة، ورواية عن الإمام أحمد أنَّها واجبة، أمَّا المالكية فقالوا: إنَّها جائزة في صلاة النافلة، أمَّا الفريضة فمكروهة.

أمَّا أدلة من قال: إنَّها سنة أو واجبة في الصلاة، فالأمر بها في آية سورة النحل على اختلاف عندهم في توجيه الأمر على الندب أو الوجوب كما سبق بيانه، بالإضافة إلى أدلة من السُّنَّة كحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وسيأتي بنصِّه في المسألة التالية.

أمَّا دليل المالكية على كراهة الاستعاذة في صلاة الفرض، فبما روي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به ويختم به والقراءة (١/ ٣٥٧) رقم: (٤٩٨).
(٢) انظر: المبسوط، للسَّرَخْسِيّ (١/ ١٣).
(٣) أبو بكر، محمد بن أحمد بن أبي سهل السَّرَخْسِي، الحنفي، فقيه، أصولي، مجتهد، متكلم، مناظر، من مؤلفاته: وكتاب المبسوط في ١٥ مجلدًا، توفي في حدود سنة ٤٩٠هـ. انظر: الجواهر المضية (٢/ ٢٨ ـ ٢٩)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).
(٤) المبسوط، للسَّرَخْسِي (١/ ١٣)، وانظر: البحر الرائق (١/ ٣٢٨).

وَعُثْمَانَ وَكَانُوا يَفْتَتِحُونَ الصَّلَاةَ بِالْحَمْدِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[١].

الفرع الثاني
محلُّها

للفقهاء والقراء في محل الاستعاذة **ثلاثة أقوال**:

الأول: قول الجمهور: أنَّها قبل القراءة، وذكر ابن الجزري[٢] الإجماع على ذلك ونفى صحة ما قيل بخلافه[٣]، وفسَّروا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله، وهو مستعمل في الكلام، مثل قولهم: إذا أكلت فقل بسم الله[٤].

كما استدلوا بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ: «**كَانَ يَقُولُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[٥].

الثاني: أنَّها بعد القراءة ونُسب هذا الرأي لأبي هريرة رضي الله عنه،

---

(١) أخرجه البخاري في جزء القراءة خلف الإمام، باب: هل يقرأ بأكثر من فاتحة الكتاب خلف الإمام (ص٣٣). وانظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (١/ ٤٨٩)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ١١).

(٢) أبو الخير، شمس الدين، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، العمري، الدمشقيّ ثم الشيرازي الشافعيّ، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه، من حفاظ الحديث، انتهت إليه رئاسة علم القراءات، توفي سنة ٨٣٣هـ. انظر: شذرات الذهب (٩/ ٢٩٨)، والأعلام، للزركلي (٧/ ٤٥).

(٣) انظر: النشر (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٤) انظر: معاني القرآن، للزجاج (٣/ ٢١٨)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٠)، والتسهيل، لابن جزي (١/ ٤٣٥).

(٥) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه بسند صحيح، كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب مَتَى يَسْتَعِيذُ (٢/ ٨٦)، رقم: (٢٥٨٩).

وحكي أيضًا عن ابن سيرين، وإبراهيم النخعي، وحكي أيضًا عن مالك عملًا بظاهر الآية[١].

الثالث: الاستعاذة قبل القراءة وبعدها إعمالًا لظاهر الآية والحديث الوارد في الاستعاذة قبل القراءة، ذكره الفخر الرازي في التفسير[٢].

والراجح: القول الأول؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المتقدم، فتكون المسألة من باب تفسير القرآن بالسُّنَّة؛ أي: يكون معنى الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

الفرع الثالث

لفظها

لفظ القرآن في الاستعاذة الذي ذكرته الآية هو: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، وكان عليه السلام يستعيذ في الصلاة بقوله: «**أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ**»[٣].

لكن يكره تبديل لفظ الاستعاذة بما لم يرد لفظه في القرآن أو السُّنَّة؛ لأنَّ التزام اللفظ الوارد أولى؛ فالاستعاذة بالله من العبادات، والعبادات توقيفية.

قال ابن عطية رحمه الله: «وأمَّا المقرئون فأكثروا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة الأخرى كقول بعضهم: «أعوذ بالله

---

(١) انظر: النشر (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٢) التفسير الكبير، للرازي (١/ ٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك (١/ ٢٠٦)، رقم: (٧٧٥)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٣٦١).

المجيد من الشيطان المَريد»، ونحو هذا مما لا أقول فيه نعمت البدعة ولا أقول إنَّه لا يجوز»[١].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٥٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/ ٨٧).

المطلب الثالث

علاقة الاستعاذة عند قراءة القرآن بحفظه

حفظ الله تعالى القرآن عن إرادات ومحاولات الشيطان الاعتداء على نظمه ومعناه، منذ نزوله وبعد نزوله، وقد سبق الحديث عن حفظ القرآن عن استراق الشياطين للسمع، وكيف حُرست السماء لتكون درعًا حصينًا لنزول القرآن، ورجم الشياطين بالشهب المحرقة، من كل جانب، مدحورين خائبين أن ينالوا شيئًا من حفظ القرآن.

ثم يحاول الشيطان أن يمس حفظ القرآن محاولًا إلقاء ما ليس منه في تلاوة الرسول ﷺ له، وأنى له ذلك والعناية الربانية قد أحاطت بالكتاب المحفوظ على الدوام فنسخ باطل الشيطان، وبقي الحق الذي جاء به القرآن، ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف بغيرهم؟ ولهذا يغلط القارئ تارة ويخلط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخبط عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا أو هذا، وربما جمعهما له، فكان من أهم الأمور: الاستعاذة بالله تعالى منه عند القراءة»[1]. فكانت الاستعاذة لذلك من التشريعات التي صان الله تعالى بها القرآن.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٩٣).

ومن حفظ القرآن بهذا التشريع، أنَّ في الاستعاذة إعلامًا بأنَّ ما بعدها القرآن، ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره.

ففيها تنبيه للسامع أنَّ الذي يأتي بعد الاستعاذة هو القرآن، الأمر الذي يجعل السامع يبتدر الإنصات ويتأهب للاستماع له[١].

ومن حفظ القرآن بهذا التشريع ما عقب به عليه من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠].

أي: ليس له تسلط على من استعاذ بالله منه، فلا يعرض لهم من خطراته ووساوسه، ولا يفسد عليهم قراءتهم[٢]، فكانت الاستعاذة بالله من الشيطان سببًا لصونه من جوانب عدة على سبق بيانه.

❁ ❁ ❁

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٩٤).

(٢) انظر: جامع البيان (١٧/ ٢٩٥).

المبحث الرابع

تحريم امتهانه والتأكل به

تحريم امتهانه والتأكل به

حفظت الآيات الكريمة حرمة القرآن؛ فنهت عن امتهانه والتأكل به، وإيثار الدنيا على الحق الذي جاء به.

يقول تعالى مخاطبًا أهل الكتاب: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة: ٤١]، آمنوا بما أنزلت؛ يعني: القرآن: «وهو الظاهر؛ لِأَنَّهُ ذُكِرَ فِي مُقَابِلِ الإيمان به»(١).

ولما أمرهم جل شأنه بالإيمان بكتابه، نهى أن يُصد عنه أو يكتم الحق الذي فيه، ابتغاء الأطماع الدنيوية من الرياسة أو المال؛ لأنَّهم كانوا يعلمون صدق الرسول ﷺ وأنَّ القرآن حق من عند الله.

لكنَّهم خافوا إن اتبعوا الرسول ﷺ وآمنوا بالقرآن أن ينجفل الناس عنهم، فيخسروا رئاستهم وما تُدر عليهم من الأموال، حيث كان لهم مَآكِلُ يُصِيبونها من سَفَلَتِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ، وأموالًا تجبى لهم، فنهاهم الله تعالى أن يؤثروا فَاني الدنيا على الحق الذي جاء به القرآن، فقال: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾(٢).

ومن ذلك تقديم الأهواء والشهوات على أحكامه وتعاليمه، ولما

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٦٢).

(٢) انظر: بحر العلوم (١/ ٤٨)، وتفسير القرآن، لابن أبي زمنين (١/ ١٣٦)، ومعالم التنزيل (١/ ٨٧).

ذكر الله تعالى أفعال الكافرين من نقضهم للمواثيق وظلمهم للمؤمنين دون روية عندما يتسنى لهم ذلك، قال عنهم: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾ [التوبة: ٩].

أي: استبدَلوا بالقرآن عرضًا يسيرًا من اتباعهم للشهوات والأهواء، فصدوا غيرهم عن هديه والحق الذي جاء به، ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المجادلة: ١٥]؛ أي: بئس العمل ما عملوه(١).

وبعد أن تحدثت الآيات المؤكدة بالقسم المعظم، عن حفظ القرآن الحفظ التام المشتمل على صونه وتكريمه بحفظه في اللوح المحفوظ، حيث لا يمسه إلا المطهرون من الذنوب والمعاصي وهم الملائكة، بيَّن ﷻ أنَّ هذا القرآن الكريم لا ينبغي أن يهان، وهذا المحفوظ لا ينبغي أن يضيع اتباعًا للأهواء والشهوات، فقال: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨١ ـ ٨٢].

«﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن، ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾؛ أي: متهاونون به، كمن يدهن في الأمر؛ أي: يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونًا به: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾؛ يعني: وتجعلون شكر رزقكم التكذيب، بأن وضعتم التكذيب موضع الشكر(٢).

فتأمل هذا الاستفهام الاستنكاري وهو ينكر امتهانهم وتهاونهم، وضعف عزيمتهم في الأخذ بالقرآن.

وتأمل علاقة هذه الآية بالتي قبلها من الآيات في تمجيد القرآن، لتعلم أنَّ الله تعالى عظَّمه ليُعظَّم، وأكرمه ليكرم، وحفظه ليُحفظ، وهذا مقصد عظيم عنته التشريعات التي قررتها الآيات.

---

(١) انظر: مدارك التنزيل (١/ ٦٦٦).

(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٤٦٩)، والتسهيل، لابن جزي (٢/ ٣٤٠).

المبحث الخامس

الطهارة لقراءة القرآن ومس المصحف

الطهارة لقراءة القرآن ومس المصحف

إنَّ من حفظ القرآن الكريم تعظيمه بالطهارة؛ فلا يجوز وضعه إلا في مكان طاهر، ولا يمسه إلا طاهر.

هذا النوع من الحفظ أشارت إليه الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسمعت شيخ الإسلام يقرر الاستدلال بالآية على أن المصحف لا يمسه المحدث بوجه آخر، فقال: هذا من باب التنبيه والإشارة إذا كانت الصحف التي في السماء لا يمسها إلا المطهرون، فكذلك الصحف التي بأيدينا من القرآن لا ينبغي أن يمسها إلا طاهر، والحديث مشتق من هذه الآية»(١).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا استنبط العلماء، رحمهم الله، من هاتين الآيتين: أن المُحْدِث لا يمس المصحف، كما ورد به الحديث إن صح(٢)؛ لأنَّ الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى؛ لأنَّه نزل عليهم، وخطابه متوجه إليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص٢٢٩).

(٢) يعني: حديث عمرو بن حزم وسيأتي ذكره والحديث عن صحته لاحقًا.

له بالقبول والتسليم»[١].

ذهب عامة الفقهاء إلى أنَّه لا يمس المصحف إلا طاهر. قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «مسألة: قال: ولا يمس المصحف إلا طاهر؛ يعني: طاهرًا من الحدثين جميعًا. روي هذا عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والحسن وعطاء وطاوس والشعبي والقاسم بن محمد، وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي[٢]، ولا نعلم مخالفًا لهم إلا داود[٣] فإنه أباح مسه»[٤].

واستدلوا بقوله تعالى: «﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩]، وبكتاب الرسول ﷺ لعَمْرِو بْنِ حَزْم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥]: «**أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ**»[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٢١٨).

(٢) أصحاب الرأي: هم أصحاب القياس، لأنَّهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثًا أو أثرًا، واشتهر به أهل العراق، وكانوا يمثلون أحد نوعي المدارس الفقهية والتي تنوعت إلى نوعين: **الأول**: مدرسة أهل الأثر، **والثاني**: مدرسة أهل الرأي. انظر: الكليات، لأبي البقاء الكفوي (ص١٣١)، وقواعد الفقه (ص١٨١).

(٣) أَبُو سُلَيْمَان، داود بن علي بن خلف، الأصبهاني أصلًا، الكوفي مولدًا، البغدادي نشأة ووفاة، مولى أمير المؤمنين المهدي، إمام المذهب الظاهري، توفي سنة ٢٧٠هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٣/ ٩٧ ـ ٩٨).

(٤) المغني، لابن قدامة (١/ ١٠٨).

(٥) عَمْرو بْن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك ابن النجار الأنصاري الخزرجي ثُمَّ النجاري، أبو الضحاك، صحابي، أول مشاهده الخندق، واستعمله رَسُول اللهِ ﷺ عَلَى أهل نجران، وكتب لهم كتابًا فِيهِ الفرائض والسُّنن والصدقات والديات، توفي بالمدينة بعد الخمسين هجرية. انظر: أسد الغابة (٣/ ٧١١ ـ ٧١٢)، والإصابة (٤/ ٥١١ ـ ٥١٢).

(٦) رواه ابن حبان البستي في صحيحه: كتاب: التاريخ، باب: كتب النبي ﷺ =

وهو حديث مشتهر معروف عند أهل العلم حتى كان في شهرته كالمتواتر، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أحمد بن حنبل: لا أشك أن رسول الله ﷺ كتبه، وقال أبو عمر بن عبد البر هو كتاب مشهور عند أهل السير معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بشهرتها عن الإسناد؛ لأنَّه أشبه التواتر في مجيئه لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة، ثم قال: وهو كتاب معروف عند العلماء وما فيه فمتفق عليه إلا قليلًا»(١).

ومما يدل على صحته عمل الصحابة رضي الله عنهم به، ومما صح فى ذلك عن الصحابة، ما رواه مصعب بن سعد بن أبي وقاص(٢)، أَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ أُمْسِكُ الْمُصْحَفَ(٣) عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَاحْتَكَكْتُ، فَقَالَ سَعْدٌ: «لَعَلَّكَ مَسِسْتَ ذَكَرَكَ؟» قَالَ: فَقُلْتُ نَعَمْ. فَقَالَ: «قُمْ، فَتَوَضَّأْ». «فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ»(٤).

= (١٤/ ٥٠٢)، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده. ورواه مالك في الموطأ: كتاب: القرآن، باب: الأمر بالوضوء لمن مس القرآن (١/ ١٩٩) عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر»، ورواه أبو داود السجستاني: كتاب المصاحف، باب: هل يمس المصحف من ليس على وضوء؟ (ص٤٢٧)، عن عمرو بن حزم رضي الله عنه.

(١) التبيان في أقسام القرآن (١/ ٢٣٠).

(٢) أَبُو زُرَارَة، مُصعب بن سعد بن أبي وَقاص، الزُّهْرِيّ، الْقرشِي، روى عن أبيه سعد، وعلي بن أبي طالب، وطلحة وابن عمر رضي الله عنهما، توفي سنة ١٠٣هـ. انظر: الثقات، لابن حبان (٥/ ٤١١)، ولسان الميزان (٧/ ٤٩٥).

(٣) «أُمْسِكُ الْمُصْحَفَ»: «أي: آخذه على سعد بن أبي وقاص؛ يعني: أباه؛ أي: لأجله حال قراءته غَيْبًا أَوْ نَظَرًا». شرح الزرقاني على الموطأ (١/ ١٨٧).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الطهارة، باب الوضوء من مس الفرج (١/ ٤٢)، رقم: (٥٩)، والبيهقي في السُّنن الكبرى، كتاب: الطهارة، باب: =

أمَّا داود الظاهري فاحتج بِأَنَّ النبي ﷺ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ آيَةً إِلَى قَيْصَرَ، وفي كتابه شيء من القرآن، وقيصر قد مسها كافرًا.

وأجيب: بأنَّ الآية في كتاب فقه أو تفسير أو غير ذلك مما عدا القرآن يجوز مسها، ولا تصير مصحفًا لوجود الآيات فيها، ولا تثبت لها حرمة المصحف، بخلاف القرآن فلا يجوز مسه إلا بطهارة، كما أنَّه مَوْضِعُ ضَرُورَةٍ فلا حُجة فيه[(١)].

وعند الجمهور لا يجوز للمحدث مسه ولو بغلافه، قال مالك: «ولا يحمل أحد المصحف بعلاقته ولا على وسادة إلا وهو طاهر، ولو جاز ذلك لحمل في خبيئته ولم يكره ذلك، لأن يكون في يدي الذي يحمله شيء يدنس به المصحف. ولكن إنَّما كره ذلك لمن يحمله وهو غير طاهر، إكرامًا للقرآن وتعظيمًا له»[(٢)]. وعند الحنفية يجوز مس المصحف بغلافه للمحدث[(٣)].

أمَّا مس الصبي للمصحف، فالحنفية، وهو قول عند المالكية أنَّه يجوز للصبي وإن كان محدثًا أن يمس المصحف، ولا بأس بدفعه إليه وطلبه منه؛ لأنَّه لو اشترط عليهم الطهارة لأدى ذلك إلى تنفيرهم عن حفظه، ولما فيه من الحرج، ومشقة استمرارهم على طهارة، وذهب المالكية في قول آخر عندهم إلى أن الصغير لا يمس المصحف إلا

= نهي المُحْدِث عن مس المصحف (١/ ١٤٢)، رقم: (٤١١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/ ١٦١).

(١) انظر: المغني، لابن قدامة (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧/ ٢٢٧).

(٢) موطأ مالك (١/ ١٩٩)، وانظر: المحرر في الفقه على مذهب أحمد (١/ ١٦).

(٣) انظر: بداية المبتدي (١/ ٨)، والعناية شرح الهداية (١/ ١٦٨)، وتبيين الحقائق (١/ ٥٧)، والمحيط البرهاني في الفقه النعماني (٥/ ٣٢٠).

بالطهارة، كالبالغ[١].

وأجاز المالكية للحائض مس المصحف للتعليم، ولم يجيزوا ذلك للجنب؛ لأنَّ رفع حدثه بيده، ولا يشق كالوضوء، أمَّا الحائض فحيضها ليس بيدها، لكن المعتمد عند المالكية جواز مس المصحف للتعليم، سواء في ذلك الرجل والمرأة[٢].

أمَّا مس الكافر والمشرك للمصحف فلا يجوز أيضًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، ولما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: «**أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ، مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ**»[٣][٤].

وقال بتحريمه الحنابلة والشافعية والمالكية وأبو يوسف[٥] من

---

(١) انظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (١/ ١٧٤)، والمغني، لابن قدامة (١/ ١١٠)، والفتاوى الهندية (١/ ٣٩)، والكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٩٣)، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج (١/ ١٥٣).

(٢) انظر: الشرح الكبير، للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (١/ ١٢٦).

(٣) قال النووي رحمه الله: في شرحه صحيح مسلم (١٣/ ١٣): «فيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث وهي خوف أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإن أمنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم فلا كراهة ولا منع منه حينئذٍ لعدم العلة، هذا هو الصحيح وبه قال أبو حنيفة والبخاري وآخرون».

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب: الجهاد والسير، باب: السفر بالمصاحف إلى أرض العدو (٤/ ٥٦)، رقم: (٢٩٩٠). ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم (٣/ ١٤٩١)، رقم: (٩٣)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة، العالم القاضي الفقيه، سكن بغداد وولاه موسى بن مهدي القضاء بها ثم هارون الرشيد من بعده، وهو أول من =

الحنفية، وجوَّزه محمد بن الحسن[١] إذا اغتسل؛ لِأَنَّ الْمَانِعَ هو الحدث وقد زال بالغسل، وإنَّما بقي نجاسة اعتقاده، وذلك في قلبه لا في يده[٢].

أمَّا قراءة القرآن دون مس المصحف، فيجوز مع الحدث الأصغر؛ لأنَّه صح عن الرسول قراءة القرآن بدون وضوء، كحديث: «**اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ[٣]، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي**»[٤].

أمَّا المتلبس بالحدث الأكبر فتحرم عليه القراءة حتى يرفع عنه الحدث، ولم ير ابن عباس رضي الله عنهما بأسًا أن يقرأ الجنب القرآن، وبه قال

= سمي قاضي القضاة في الإسلام المتوفى ١٨٣هـ. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٦/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(١) أبو عبد الله، محمد بن الحسن بن فَرقد، فقيه العراق، الشيباني الكوفي صاحب أبي حنيفة، ولد بواسط، ونشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، ودرس أيضًا على القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم. توفي بالري سنة ١٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٩/ ١٣٤).

(٢) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ٣٧)، والدر المختار وحاشية ابن عابدين (١/ ١٧٧).

(٣) «شن معلقة»: أو شنة؛ أي: قربة ماء معلقة، تستخدم لتبريد الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (شَنَنَ) (٢/ ٥٠٦)، وغريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ٥٦٥)، وغريب الحديث، للقاسم بن سلام (٢/ ٤٠).

(٤) متفق عليه أخرجه البخاري، كتاب: الوضوء، باب: قراءة القرآن بعد الحدث وغيره (١/ ٤٧)، رقم: (١٨٣)، ومسلم كتاب الطهارة، باب: السواك (١/ ٢٢١)، حديث رقم ٢٥٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الطبري وابن المنذر[١]، ورخص الإمام أحمد للجنب أن يقرأ الآية ونحوها، وحكي عن مالك بن أنس أنَّه قال: «تقْرَأ الْحَائِض وَلَا يقْرَأ الْجنب؛ لِأَنَّ الْحَائِض إِذا لم تقْرَأ نسيت الْقُرْآن، لِأَنّ أَيَّام الْحَائِض تتطاول وَمُدَّة الْجَنَابَة لَا تطول»[٢].

واجب الطهارة لِمَسِّ كتاب أو قراءته لم يكن لكتاب قط إلا للقرآن الكريم، وقد بنى العلماء كثيرًا من أحكام الطهارة لقراءة القرآن ومس المصحف، على آيات من القرآن الكريم، وخرجوا بأحكام دقيقة في لزوم الطهارة، ويلاحظ أنَّ الآيات تحدثت عن الطهارة المتعلقة بالقرآن من جهتين:

الأولى: وصفت القرآن، والصحف التي بأيدي الملائكة في السماء، والصحف التي بأيدي الرسول ﷺ والمؤمنين بالطهارة، كما في قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦].

وفي هذا إشارة إلى عدم جواز كتابته إلا على شيء طاهر، ووجوب حفظ الصحف التي يكتب عليها القرآن من النجاسات وما يناقض الطهارة.

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة: ٢ ـ ٣]؛ «أي: مطهرة من الأدناس والباطل»[٣]، فالآية تشمل الطهارة الحسية والمعنوية، وتدل على حفظ القرآن بهذه الثنائية.

---

(١) أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، من الحفاظ، كان شيخ الحرم بمكة، وكَانَ إِمَامًا مُجْتَهدًا حَافِظًا ورعًا، توفي بمكة ٣٠٩ أو ٣١٠هـ. طبقات الشافعية، للسبكي (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، والأعلام، للزركلي (٥/ ٢٩٤).

(٢) انظر: عمدة القاري (٣/ ٢٧٤).

(٣) معاني القرآن، للزجاج (٥/ ٣٤٩).

الثانية: ذكرت الآيات أنَّ القرآن لا يمسه إلا طاهر في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩]، فكانت في وصف الملائكة بكونهم مطهرين، وأهل الأرض أولى به وأحرى[1]، (في حدود ما يسعهم من الطهارة)، ولا بد من هذا القيد؛ لأنَّ طهارة الناس لا تصل طهارة الملائكة؛ وذلك أن الطهارة المعنية في الآيات تعني الطهارة الحسية والمعنوية؛ أي: الطهارة من الأدران والنجاسات، وكذلك الطهارة من الذنوب والمعاصي، وهذا بكماله متحقق للملائكة بواقع العصمة، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

أمَّا المخاطبين به في الأرض من الجن والإنس فغير معصومين خلا الأنبياء؛ لذلك يلزمهم من التشريع وسعهم من الطهارة، ولكون البشر والجن المخاطبين بالقرآن، ليسوا معصومين من الذنوب باستثناء الأنبياء، فيلزمهم من الطهارة وسعهم منها، وهي الطهارة من الحدثين، على ما سبق تفصيله من مذاهب الفقهاء.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٢١٨).

المبحث السادس

الأمر بتلاوته وتعلمه وتعليمه والعمل به

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحث على تعلم القرآن وتعليمه، وأثر ذلك على حفظه.

المطلب الثاني: وجوب صيانة القرآن عن الخطأ في قراءته.

المطلب الثالث: وجوب العمل بالقرآن والخضوع لأحكامه.

المطلب الرابع: تحريم هجره، ووجوب تدبره.

المطلب الأول

الحث على تعلم القرآن وتعليمه، وأثر ذلك على حفظه

كانت أول آية نزلت في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥][(١)].

هذه الآيات حملت معاني العلم والتعليم الذي أراده الله ﷻ لهذه الأمة الأمية، وقد شملت هذه المعاني حفظ القرآن بتعلمه وتعليمه، حيث انعكس أثر ذلك في حرص الرسول ﷺ على تعلم القرآن، وتلقي كلماته بدقة كاملة كما نزل عليه، وكان يحرك لسانه بالقرآن، خشية أن يفوته شيء مما أوحي إليه، أو يفوته إتقان كلماته وآياته، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٧].

الله تعالى هو الذي علَّم رسوله الكريم ليعلم أصحابه، فيعلمون من تبعهم بإحسان، فيتعلمه المسلمون جيلًا بعد جيلًا ويبقى بذلك محفوظًا على الدوام، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٢][(٢)].

لما علَّم الله نبيه القرآن، بادر ﷺ بتعليم أصحابه رضي الله عنهم آياته بعناية

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الوحي، باب بدء الوحي (١/ ٧)، رقم: (٣)، والبرهان في علوم القرآن (١/ ٢٠٦)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧/ ١٥٢)، واللباب في علوم الكتاب (١٨/ ٢٩٣).

بالغة، وامتن الله عليهم وعلى الأمة بذلك فقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١].

هذه المنة من الله على عباده المؤمنين شكرها بتوحيده ﷻ ولزوم طاعته والعمل بما شرع في القرآن؛ فلولا رحمته خلقه بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لظلوا في الضلال البعيد، ولم يروا نورًا ولا هداية، لكن رحمهم فبعث لهم رسولًا منهم يتلو عليهم القرآن ويطهرهم ويزكي عقائدهم وأخلاقهم بما فيه من آيات بينات وحكم نيرات، بعد أن كانوا قبل في ضلال مبين، من الانحراف العقدي، والفساد الخلقي، والأمية القاتمة، في تلك الحقبة الجاهلية المظلمة.

وتظهر العناية البالغة لحرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلّم القرآن حفظًا وفهمًا، فيما روي عن أبي عبد الرحمٰن السلمي[(١)]، قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله ﷺ: «**أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، وَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ فَإِنَّا عُلِّمْنَا الْعَمَلَ وَالْعِلْمَ**»[(٢)].

وبتأمل الآيات الكريمة يلاحظ أنَّها قررت حفظ القرآن بتعلمه وتعليمه في تنويهات متنوعة، إجمالها في الفروع التالية:

---

(١) عبد الله بن حبيب بن رُبَيِّعة بفتح الباء وتشديد الياء، الكوفي القاري، لأبيه صحبة وهو من التابعين، ثقة ثبت، روى عن مجموعة من كبار الصحابة، توفي سنة ٧٢هـ وقيل: ٨٥هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وتقريب التهذيب (ص٢٩٩).

(٢) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه، كتاب: فضائل القرآن (٦/ ١١٧)، رقم: (٢٩٩٢٩).

الفرع الأول

ترتيب الثواب العظيم على تلاوته

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

فبيَّن أنَّ مَن يتلو القرآن، يرجو ويطلب من الله تعالى تجارة لن تكسد ولن تفسد، بل يرجو ثوابًا لا بد من حصوله، وتجارة فيها الوفاء والزيادة ممن بيده الفضل الكريم، والكرم العظيم(١).

ولا شك أنَّ ترتيب هذا الفضل على تلاوة القرآن له أثره التحفيزي، ودوره التحريكي لتلاوة القرآن وحفظه، الأمر المفضي إلى تدبره والعمل به.

«والآية دليل على أنَّ تلاوة القرآن عبادة برأسها، يُثاب التالي عليها، وقد ذكر الله الربانيين بتعليم الكتاب ودراسته، فجعل الدراسة مدحًا لهم، فدل على أنَّها عبادة في صلاة وغير صلاة»(٢).

الفرع الثاني

الحث على طلبه وتعلمه

أمر الله تعالى أن ينفر طائفة من كل فرقة من المسلمين لطلب العلم الذي أولويته تعلم القرآن الكريم، ليكونوا بعد ذلك معلِّمين لغيرهم عند رجوعهم إلى قومهم: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ

---

(١) انظر: معاني القرآن، للزجاج (٤/ ٢٦٩)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٥٤٥)، وتيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٦٨٩).

(٢) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (٣/ ٧٠١ ـ ٧٠٢).

لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢] فجعل ـ تخفيفًا ـ النفر لطلب العلم فرض كفاية، قال سفيان بن عُيَيْنَةَ: «طلب العلم والجهاد فريضة على جماعتهم وَيُجْزِئُ فيه بعضهم عن بعض»(١).

والآية تدعو أيضًا لنشر العلم المشتمل على تعليم القرآن؛ فالنافرون وقد تعلموا القرآن، وغيرها من العلوم، عليهم تعليم المقيمين إذا رجعوا إليهم ليتشارك الفريقان في العلم(٢).

وليس بخافٍ ما لهذا التنويه من أثر على حفظ القرآن، حيث لا يستطيع المسلمون جميعًا النفرة لطلب علمه، بسبب انشغال بعضهم بالأعمال المتطلبة في قيام حياة الفرد والجماعة، كأعمال الإمارة والجهاد وأعمال الكسب، فجعل منهم طائفة نافرة تجلب العلم؛ فتعلمه الأخرى المقيمة على مصالحها؛ فيعم تعلم القرآن وخيره في أوساط المسلمين.

الفرع الثالث

إيجاب حفظ القرآن عن ظهر قلب

لحفظ القرآن مكانته في الشريعة الإسلامية؛ «فإنَّ الله ﷻ كلَّف الأمة بحفظه كله بحيث يحفظه عدد كثير يثبت به التواتر؛ وإلا أثمت الأمة كلها، وليس هذا لكتاب غير القرآن، فالتوراة والإنجيل ترك لأهلهما أمر الحفظ فاكتفوا بالقراءة دون الحفظ»(٣).

قلت: حفظ القرآن في الصدور خصوصية لم تتأت لكتاب غير القرآن والواقع يشهد بذلك؛ فلو أصبح الناس من صبيحة يوم، فلم يجدوا على كوكب الأرض قلمًا ولا كتابًا ولا قرطاسًا ولا ورقًا، ولا

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٥). (٢) انظر: شعب الإيمان (٣/ ٢٤٥).
(٣) دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٦٢).

حبرًا ولا مدادًا، ولا حاسبات ولا طابعات أو ناسخات، ولا غيرها من أدوات الكتابة والحفظ، لبقي القرآن محفوظًا رغم ذلك؛ لأنّ مئات الآلاف من المسلمين يحفظونه في صدورهم، بينما في حال كهذه لن يجد أهل الديانات المحرفة فرصة لترقيع كتبهم المحرفة وتجميعها من محفوظات الصدور، ولفقدوا مضامينها المحرَّفة أصلًا.

وعلم وجوب حفظ القرآن في الصدور ـ بحيث يبقى في الأمة متواترًا ـ بأدلة من القرآن، ومن ذلك أدلة تلقي الرسول ﷺ للقرآن من جبريل، وحفظه عنه القرآن عن ظهر قلب، وكان أول ما نزل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، مع أنه ليس بقارئ ولا كاتب فيكون المراد بالقراءة التلاوة عن ظهر قلب.

وعلى هذا يكون تعلم القرآن الكريم وتعليمه جزءًا من حقيقة كونه نبيًّا، وهو يمثل ماهية رسالته.. وهذا من أعظم أدلة وجوب حفظ القرآن عليه، والحفظ يشكل أرقى صور تعلم كتاب الله تعالى، ولذا اشتد حرصه ﷺ على استظهار القرآن وحفظه[١].

فإذا علم أنَّ أول تشريع في القرآن الكريم هو الأمر بحفظ القرآن واستظهاره عن ظهر قلب، علم عظمة هذا التشريع وأهميته، وكأنه أس[٢] التشريعات القرآنية، ومصدر أهميتها، وأصل قيمتها وعظمتها، وعلم أيضًا بالبدء به أنَّه تشريع مقصود معتنى به، وأنَّ الرسول ﷺ والأمة مخاطبين به.

لذلك نجد الرسول ﷺ يأمر بتعهد القرآن فيقول: «**تَعَاهَدُوا هَذَا**

---

(١) المنهج النبوي في التعليم القرآني، د. عبد السلام المجيدي (ص٦٦).
(٢) (أس الشيء): أصله وأساسه وما يثبت عليه غيره. انظر: مقاييس اللغة، مادة: (أَسَّ) (١/ ١٤).

الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا»(١).

قال ابن بطال(٢): «شبَّه [ﷺ] صاحب القرآن بصاحب الإبل المعقَّلة إن عاهد عليها أمسكها، وأنَّه يتفصى من صدور الرجال؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥]، فوصفه تعالى بالثقل، ولولا ما أعان على حفظه ما حفظوه، فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القمر: ١٧]، فبتيسير الله وعونه لهم عليه بقي في صدورهم»(٣).

قلت: هذا استنباط حسن من ابن بطال، وفي ذلك أنَّ حفاظ القرآن الكريم يجب عليهم أن يشكروا نعمة حفظهم له، وأن يعلموا أن حفظهم للقرآن إنَّما هو بتوفيق الله وتيسيره.

الفرع الرابع

تقرير رفعة حملة القرآن ومعلِّميه

أوضحت الآيات رفعة حامل القرآن؛ حيث جعل ﷻ حفظ القرآن السمة البارزة للعالم الرباني، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٩﴾ [العنكبوت: ٤٩].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده (٦/ ١٩٣)، رقم: (٥٠٣٣)، ومسلم كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول: نسيت آية كذا، وجواز قول: أنسيتها (١/ ٥٤٥)، رقم: (٧٩١)، واللفظ لمسلم، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، المالكي، ويعرف بابن اللجام، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر: شذرات الذهب (٥/ ٢١٤)، ومعجم المؤلفين (٧/ ٨٧).

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٢٦٨).

وفي الآية إشارة إلى أنَّ القرآن لَا يَنْمَحِي أَبَدًا، بل هو محفوظٌ في صدور الذين أوتوا العلم، وفيه بيان أنَّ القرآن محفوظ بحفظ العلماء له(١).

وبيَّن الله تعالى رفعة العلماء في الدنيا والآخرة فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

وفيه دليل أن من تعظيم القرآن إكرام حملته بإجلالهم إجلالًا شرعيًّا، لا إفراط فيه ولا تفريط، حتى كان إجلالهم من إجلال الله تعالى، كما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»(٢).

وجعل الشارع الحكيم معلم القرآن ومتعلمه خير المسلمين وأفضلهم كما قال الرسول ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب إيراده لهذا الحديث: «وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكُمَّلُ في أنفسهم المكَمِّلِينَ لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي.. وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحدًا ممن أمكنهم أن ينتفع»(٤).

---

(١) انظر: شرح السُّنَّة، للبغوي (١٤/٤٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب: الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم (٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٢)، رقم: (٤٨٤٣) من حديث أبي موسى الأشعري، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٣) رقم: (٩٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٦/ ١٩٢)، رقم: (٥٠٢٧)، من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) فضائل القرآن، لابن كثير (١/ ٢٠٦).

الفرع الخامس

الأمر بقراءة القرآن حتى مع وجود الشاغل

كان الصحابة قد اجتهدوا في القيام عند نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١ ـ ٢] حتى جعلوا قيام لياليهم كقيام شهر رمضان، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**لَمَّا نَزَلَتْ أَوَّلُ الْمُزَّمِّلِ، كَانُوا يَقُومُونَ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى نَزَلَ آخِرُهَا، وَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا سَنَةٌ**»(١).

وقد شق على المؤمنين إحصاء الليل كله قيامًا وقراءةً للقرآن فخفف الله عنهم بقوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ لما كان فيهم المريض الذي يشق عليه القيام وقراءة القرآن.

وكذلك الذين يسافرون في الأرض للتجارة ولطلب الرزق وقد شق عليهم ذلك، خفف عنهم أيضًا بقوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠](٢)، فتأمل كيف يأمر مع التخفيف بقراءة اليسير من القرآن.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: نسخ قيام الليل والتيسير فيه (٢/ ٣٢)، رقم: (١٣٠٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب: الأوائل، باب: أول ما فعل ومن فعله (٧/ ٢٦٦) رقم: (٣٥٩٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٤٩).

(٢) انظر: الدر المنثور، للسيوطي (٨/ ٣١٢)، ومحاسن التأويل، للقاسمي (٩/ ٣٤٤).

المطلب الثاني

وجوب صيانة القرآن عن الخطأ في قراءته

من التشريعات العظيمة لحفظ القرآن ما أمر الله ﷻ من صيانته من الخطأ في قراءته، وضرورة تحري لفظه المنزل من السماء، بحيث لا يجوز استبدال لفظه بآخر عند القراءة، أو قراءة آياته بالتخمين دون تثبت من لفظه الصحيح.

قال ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شك أَنَّ الأمة كما هم متعبَّدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده مُتَعَبَّدُونَ بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بِالْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الأفصحيَّةِ العربيَّةِ التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها»[(١)].

وأظهرت الآيات الكريمة اهتمامًا بذلك حيث أوجبت ضبط ألفاظ القرآن كما نزل، والمنع الخطأ فيه، وجاء ذلك التشريع بالأمر أو النهي أو الخبر المفيد للأمر والنهي.

من ذلك أمر الله لنبيه ﷺ ـ وهو أمر لأمته أيضًا ـ بتلاوة القرآن، بتأنٍّ، قراءة صحيحة، على الكيفية التي نزل بها جبريل، فيقول: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٤]؛ أي: اقرأ القرآن بترسل وتأن يستلزمان إقامة حروفه وأحكامه[(٢)].

ومثل ذلك الخبر المفيد للأمر في قوله تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ

---

(١) النشر (١/ ٢١٠).

(٢) انظر: الزهد لنعيم بن حماد (ص٤٢٢)، وجامع البيان (٢٣/ ٦٨٠).

مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ونهاه أن يتعجل القراءة حفظًا للقرآن فقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ﴾ [طه: ١١٤]، وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨]؛ أي: لا تعجل بالتِّلاوة إلى أن يقرأ عليك(١).

ولا يكاد يوجد شيء يحتاج القرآن فيه إلى إتقان ألفاظه وحفظها، إلا وفي الكتاب والسُّنَّة تشريع بذلك، فمن الأمر بتعهده كما حصل للرسول ﷺ وأمته، وإلى أمره ﷺ بتعهد حفظه صيانة له عن الخطأ، وضبطًا وتصحيحًا للفظه وفقًا للتنزيل، كقوله ﷺ: «**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»(٢).

وشرع أيضًا الرد والفتح(٣) على الإمام في الصلاة صونًا للقرآن الكريم عن الخطأ، فقد روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**صَلَّى صَلَاةً فَقَرَأَ فِيهَا فَلُبِسَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِأُبَيٍّ: «أَصَلَّيْتَ مَعَنَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا مَنَعَكَ»**(٤)(٥).

وإذا جاز تصحيح خطأ قارىء القرآن في الصلاة وتذكيره ما نسي، ففي غير الصلاة من باب أولى؛ إذ الصلاة الأصل فيها منع الكلام ووجوب الإنصات للقراءة.

---

(١) انظر: معاني القرآن، للزجاج (٥/ ٢٥٣)، والوجيز، للواحدي (ص١١٥٥).
(٢) سبق تخريجه: [صفحة ٣٠٧، من هذه الرسالة].
(٣) الرد على الإمام: تصحيح ما أخطأ فيه، والفتح عليه: تذكيره ما نسي بإظهار الآية له. انظر: التحرير والتنوير (١/ ٥٧٠).
(٤) أي: فما منعك أن تفتح عليّ، قال العيني في شرح أبي داود (٤/ ١٣١): «هذا فيه تصريح على جواز الفتح على إمامه».
(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: الفتح على الإمام في الصلاة (١/ ٢٣٩)، رقم: (٩٠٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤/ ٦٢) رقم: (٨٤٣).

وأمر ﷺ أن يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله[١]؛ لأنَّه أضبط للفظه وأتقن لحفظه، وأمر أن يلي الإمام ذوو العقول الراجحة المتصفون بالأناة والتثبت في الأمور الذين تنهاهم عقولهم عن القبيح[٢]، فقال: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**»[٣].

ولهذا التشريع أغراض كثيرة منها: أن يكون خلف الإمام المؤهلون لتصويب قراءته للقرآن الكريم.

ونهى ﷺ أن يخالط الإمام بقراءة غيره فيُغالَط، بل على المؤتم أن يُنصت للقراءة كما في قوله ﷺ: «**لَا تَقْرَأُوا إِذَا جَهَرَ الْإِمَامُ إِلَّا بِأُمِّ الْقُرْآنِ**»[٤].

ونهى أيضًا عن التجاهر بالقرآن، بحيث يخلط بعضهم على بعض قراءة القرآن[٥]. كل هذه التشريعات النبوية لها غرضها في المحافظة على قراءة القرآن قراءة صحيحة، بمنع ما يتسبب في حصول الخطأ فيه.

وأثنى الله تعالى على من يتلو القرآن تلاوة صحيحة، ووصفهم بالإيمان، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة: ١٢١].

قال قتادة: «﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، يحلون حلاله ويحرِّمون حرامه،

---

(١) انظر الحديث وتخريجه [صفحة ٤٧٢، من هذه الرسالة].

(٢) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/٣٠٨)، والعرف الشذي شرح سنن الترمذي (١/٢٣٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف (١/٣٢٣)، رقم: (٤٣٢)، عن أبي مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البيهقي في القراءة خلف الإمام، باب: وجوب قراءة الفاتحة (ص٦٧)، رقم: (١٢٦)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٥) [انظر: الحديث وتخريجه: صفحة ٢٦٥ من هذه الرسالة].

ويقرؤون كما أنزل»[١].

فجعل الله تعالى من صفات أهل الإيمان قراءة القرآن كما أنزل، والمقصود أن يحرص المسلم وسعه على قراءة القرآن قراءة صحيحة، وألا يتعمد الخطأ في آياته، أو يهمل تحري الصواب في ذلك.

أمَّا مَن اجتهد على تقويم لسانه في قراءته، وبذل في ذلك وسعه دون تقصير، ولكنه يجد من نفسه عدم قدرة على تجويد القراءة، وإقامتها كما ينبغي، فليس له أن يدع قراءة القرآن لذلك، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، بل لا يحرم من الأجر والثواب على قراءته وإن كان فيها قصور، كما قال الرسول ﷺ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ**[٢]، **وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ**[٣]، **وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**»[٤].

❁ ❁ ❁

(١) جامع البيان (٢/ ٥٦٩).

(٢) هم الملائكة، [وسبق الحديث عن معاني ما اتصفوا به عند الحديث عن قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس: ١٥ ـ ١٦]. صفحة (٣٦ ـ ٣٧)، من هذه الرسالة].

(٣) قال النووي رحمه الله: في شرحه على مسلم (٦/ ٨٥): «"يَتَتَعْتَعُ فِيهِ" هو: الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه، فله أجران: أجر بالقراءة، وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته».

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ [النبأ: ١٨] (٦/ ١٦٦)، رقم: (٤٩٣٧)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الماهر في القرآن، والذي يتتعتع فيه (١/ ٥٤٩): رقم: (٧٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ لمسلم.

المطلب الثالث

وجوب العمل بالقرآن والخضوع لأحكامه

الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به، لم يحفظه حق حفظه، فالعمل بالقرآن هو غاية القراءة والتدبر.

قال الْفُضَيْل: «إِنَّمَا أُنزل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس قراءته عَمَلًا؛ أَيْ: لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَقِفُوا عند متشابهه»(١).

لذا نجد الآيات الكريمة أكدت على وجوب العمل بالقرآن، والخضوع لأحكامه، وإنَّها وهي توجب ذلك لترسخ مبدأً عظيمًا في قلوب المؤمنين، وهو أنَّ القرآن ليس مجرد كلمات تتلى، ويتغنى بها.

بل لا بد أن يتوج ذلك بالعمل، فتعظيم الكتاب أن يتلى وَيُحَكَّم وَيَحْكُم، ويُعمل به ويُعلَّم ويُتعلم، كل ذلك في منظومة مكتملة، وعقد من الصون والحفظ، لا يظهر بزينته وجماله إلا بها جميعًا.

لذلك نجد كثيرًا من الآيات دعت وأمرت وأوجبت اتباع القرآن الكريم بأساليب متنوعة كالتالي:

(١) الأمر باتباع القرآن والنهي عن اتباع غيره المخالف لأحكامه، كما في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣]، فلما أمر باتباعه، نهى أن يتبع غيره

---

(١) أخلاق أهل القرآن (ص١٠٣)، واقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي (ص٧٦).

من أهواء الشهوات والشبهات التي يأمر بها أولياء الضلالة الذين يأمرون بالكفر والشرك والفسوق والعصيان.

ويشمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾، النهي عن اتباع ما خالف القرآن مهما كان مصدره.

واستدل العلماء بالآية على تحريم التقليد وعدم تقديم كلام الرجال والمتبوعين من علماء وغيرهم إذا خالفت القرآن.

يقول ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند حديثه عن هذه الآية: «فأمر باتباع الْمُنَزَّلِ خاصة، وَالْمُقَلِّدُ ليس له علم أَنَّ هذا هو الْمُنَزَّلُ وإن كان قد تبينت له الدلالة في خلاف قول مَنْ قَلَّدَهُ، فقد عَلِمَ أَنَّ تقليده في خِلَافِهِ اتباعه لغير الْمُنَزَّلِ»(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فبين أنَّ القرآن قويمًا لا اعوجاج به عن الحق، ثم أمر باتباعه، ونهى عن اتباع السبل المتشعبة، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: فتتشتت بكم وتوصلكم إلى نهاية غير مرضية من الخسران والعذاب(٢).

وهذا الأمر في الآيات السابقة يفيد وجوب اتباع القرآن الكريم، ولزوم هديه، قال الطِّيبِي(٣): «من ترك العمل بآية أو بكلمة من القرآن مما

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٣٠).

(٢) فسَّر كثير من العلماء الصراط المستقيم بالقرآن، واللفظ يشمل القرآن والإسلام وما ذكره المفسرون يكون من باب تفسير اللفظ ببعض معانيه. انظر: غرائب القرآن (١/ ١٣٦)، والسراج المنير، للشربيني (١/ ٤٥٩).

(٣) الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي، عالم في المعقول والعربية والمعاني والبيان، اشتغل بالتفسير والحديث إلى أن توفي سنة ٧٤٣هـ. انظر: بغية الوعاة (١/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣).

يجب العمل به أو ترك قراءتها من التكبر كفر، ومن ترك عجزًا أو كسلًا أو ضعفًا مع اعتقاد تعظيمه فلا إثم عليه، أي: بترك القراءة ولكنَّه محروم»[١].

ومن أدلة ذلك الخبر المفيد للأمر في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: ١٢١]، فقوله تعالى: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ يقتضي العمل به واتباعه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ». وقال عكرمة: «ألا ترى أنَّك تقول: فلان يتلو فلانًا ثم قرأ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾ [الشمس: ١ ـ ٢]؛ أي: تَبِعَهَا»[٢].

(٢) الترغيب في اتباعه حيث أوضحت الآيات أنَّه الطريق الوحيد للنجاة، كما تقدم بيانه ورتبت الآيات حصول الرحمة على اتباعه، كما في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وعلى هذا كان الرسول ﷺ يبشر ويرغّب أتباع القرآن باتباعه، مبينًا أنَّ ذلك طريق النجاة والهداية.

يقول جبير بن مطعم رضي الله عنه[٣]: كُنَّا مع النبي بِالْجُحْفَةِ[٤] فَقَالَ:

---

(١) فيض القدير (٧/ ١٢).

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد (١/ ١٣٠)، والزهد، لأبي داود (ص٣٦٩)، وتعظيم قدر الصلاة، للمروزي (١/ ٣٩٥)، ومعجم ابن المقرئ (١/ ٦١).

(٣) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، صحابي: أسلم بين الحديبيّة والفتح، وقيل: في الفتح وتوفي في خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٧٠ ـ ٥٧١).

(٤) الجحفة: كانت قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي =

«أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَهْلِكُوا وَلَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

(٣) الأمر بالصبر على اتباع المنزل أمام الإغراءات من الشهوات والشبهات التي تدعو إلى مخالفة أمره، كما في قوله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٩].

(٤) تحذير الأمة من سلوك مسلك اليهود في تركهم العمل بالتوراة، أن يصيبهم ما أصابهم من غضب الله وسخطه، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥].

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «والأسفار: الكتب، فجعل الله مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يتبع ما فيه، كمثل الحمار يحمل كتاب الله الثقيل، لا يدري ما فيه»(٢).

= ميقات أهل مصر والشام إن لم يمرّوا على المدينة، وكان اسمها مهيعة، وإنَّما سُميت الجحفة لأنَّ السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام. معجم البلدان (٢/ ١١١).

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار، حديث جبير بن مطعم (٨/ ٣٤٦)، رقم: (٣٤٢١)، عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب: فضائل القرآن، باب: في التمسك بالقرآن (٦/ ١٢٥)، رقم: (٣٠٠٠٦)، عن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠) رقم: (٣٨).

(٢) تفسير جامع البيان (٢٣/ ٣٧٨).

وحذر طريقتهم في تعاطي التوراة حيث لم يكن لهم فيها حظًّا إلا التلاوة دون العمل، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأماني جمع أمنية وهي التلاوة، والأماني أيضا الأكاذيب، ومنه قول عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما تمنيت منذ أسلمتُ؛ أي: ما كذبتُ»[1].

❁ ❁ ❁

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢/ ٦).

المطلب الرابع

تحريم هجره، ووجوب تدبره

التأمل في القرآن هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع شتاته على تعقل مبانيه، ويعين على ذلك **أمران**:

الأول: قوة المقتضي، وهو اجتهاد العبد في أن يعقل معانيه، من خلال تأمله العميق عند قراءته، وأن يستحضر أنَّه خطاب من الله إليه، ويلقي سمعه وقلبه لآياته.

ذلك أنَّ تمام التدبر لا يتأتى إلا مع مُؤثر مُقْتَض وَمحل قَابل، وقد أوجزت الآيات ذلك بأيسر عبارة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧]، فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾، هذا هو المؤثر وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾، هو: المحل القابل، والمراد به: القلب الحي[1].

الثاني: ضعف الشاغل، والمقصود به ضعف ما يشغل عن القراءة، من السهو، والتفكير في غير معاني التلاوة، ولذلك قال: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾؛ أي: وجه سمعه وألقاه جهة القرآن، وهو شهيد حاضر القلب غير غَائِب[2].

«أخبر جل ذكره أنَّ المستمع بأذنيه ينبغي أن يكون مشاهدًا بقلبه ما

---

(١) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٣)، ومجموع الفتاوى (٢٢/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦).

يتلو وما يسمع؛ لينتفع بتلاوته للقرآن وبالاستماع ممن يتلوه»[١].

وفضل تدبره والعلم بمعانيه يعظم بعظمة المتكلم به، وعظيم نفعه وصدق أخباره، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم؛ لأنَّ شرف العلم بشرف المعلوم»[٢].

والتدبر هو المقصود من نزول القرآن، أوضح هذه الغاية قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩][٣].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْلِ[٤]، وَلَا تَهذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ[٥]، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»[٦].

أثر هذا التشريع على حفظ القرآن:

تدبر القرآن بوابة العمل به، وسبيلٌ لوجوده في واقع الحياة، إذ يتجلى بتدبره أحقية أحكامه التفصيلية والإجمالية، الأمر الذي ييسر

---

(١) أخلاق أهل القرآن (ص٣٦).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (١/ ١١).

(٣) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٤٤٩).

(٤) «لَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْلِ»؛ الدقل: الرديء من التمر، يريد لَا تعجلوا فِي التِّلَاوَة. انظر: غريب الحديث، لابن قتيبة (٢/ ٢٥٤)، وأساس البلاغة (١/ ٢٩٣).

(٥) «ولَا تَهْذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ» الهذ: سرعة القطع، يريد لا تسرعوا في قراءة كما تسرعوا في قراءة الشعر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (هذ) (٥/ ٢٥٥)، والفائق في غريب الحديث (٤/ ٩٨).

(٦) أخرجه البغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٥١)، ونقله عنه ابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٥٠).

وصول نوره بدلائله بما يقطع الشك والريب في الحق الذي جاء به؛ وذلك أنَّ المتدبر للقرآن الكريم سيجد خطابه مشتملًا على الأدلة العقلية المقنعة، التي تخاطب العقل مباشرة، كما يجده خاليًا من التناقض والاختلاف، ولا يجد له نظيرًا في عرضه وتدليله، وتأصيله وتقعيده.

لذلك نجد الآيات الكريمة تلوم المعاندين الجاحدين للقرآن، بأسلوب الاستفهام الاستنكاري؛ إذ كانت آفة ضلالهم عدم تدبرهم للقرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، فلو تدبروه وعقلوه تبين لهم ائتلافه واتفاقه، وعدم تناقضه واختلافه، فيعلمون أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل.

لكن صنفًا من الناس أقفلت قلوبهم، لما علاها الران عن تدبر القرآن، وعندئذ لا ينفع مع عماها عن الحق نافع، وليس لها في غيها هاد، قال تعالى عن هذه الحال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١]؛ أي: لما آمنوا ولكانوا مكذبين مع ذلك.

وعن هذه القلوب العمياء قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤].

ومن التشريعات التي حفظ الله ﷻ بها القرآن، تحريمه لهجره، وقد تحدثت الآيات عن ذلك في قالب الترهيب لمن هجر القرآن، سواء هجر قراءة، أو سماع، أو تدبر، أو عمل، أو تحاكم، ورهبت الآيات

من هجر القرآن بأنواعه، هذا الترهيب يتمثل في أن الرسول الكريم خصمًا يوم القيامة لمن هذه حاله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣٠ ـ ٣١].

هذه شكوى عظيمة، فيها أعظم تخويف لمن هجر القرآن الكريم.

يقول فيها الرسول: (يا رب) إظهارًا لعظيم التجائه، وشدة اعتماده، وتمام تفويضه لمالكه ومدبر أمره، يشتكي قومه هجر القرآن، ووصفهم بقومه وأضافهم إليه بيانًا لعظيم جرمهم بتركهم للقرآن، وهو قريب منهم وفي متناولهم، والرسول الذي جاء به واحد منهم، فكيف والحالة هذه يهجرون ما جاء بلغتهم مع واحد منهم فيه هدايتهم وفلاحهم؟!

وقوله: ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ بيان أنَّهم جعلوا الهجر ملازمًا لهم حتى كان سجية وسمة غالبة عليهم، وهذا أبلغ من أن يقال: هجروه، الذي يفيد وقوع الهجران منهم دون دلالة على الثبوت والملازمة[1].

كانت هذه الآية رسالة وعيد ليس فقط للكافرين؛ بل حتى لمن هجر القرآن من المسلمين، إمَّا أن يهجروا قراءته أو استماعه، فيكون القرآن عندهم حبيس الرفوف والْعِلَاقَاتِ.

أو يهجروا التحاكم إليه والعمل به، فيكون القرآن عندهم مجرد كلمات تتلى، تلتها ألسنتهم، ولم تصدقها أعمالهم، قد زينوا بكلماته جدران بيوتهم وغرفهم، ولم يزينوا بها قلوبهم وأعمالهم، فهذا الصنف تشمله خصومة رسول الله ﷺ وشكواه.

---

(١) انظر: في مجالس التذكير، لابن باديس (ص١٧٣)، وأضواء البيان (٦/ ٤٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصِّل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غَيره ويهجر التَّدَاوِي بِهِ، وكل هَذَا دَاخل فِي قَوْله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠]، وَإِن كَانَ بعض الهجر أَهْون من بعض»[1].

فلا بد إذن أن يكون القرآن حاضرًا في حياة المؤمن تلاوةً وعملًا ومنهاج حياة، ولا بد أن يكون محفوظًا بهذه التشريعات؛ استجابة لإرادة الله الشرعية في القيام بذلك.

❁ ❁ ❁

(١) الفوائد، لابن القيم (ص٨٢).

المبحث السابع

تحريم الجدال في آياته واتباع ما تشابه منه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الترهيب من الجدال في آياته.

المطلب الثاني: وصف المكذبين للقرآن بالجدل والخصومة.

المطلب الثالث: علاقة تحريم الجدال في القرآن بحفظ حرمته.

المطلب الرابع: تحريم اتباع المتشابه منه.

المطلب الأول

الترهيب من الجدال في آياته

إنَّ من التشريعات التي حفظ الله بها القرآن تحريمه الجدال في آياته، فنجد الآيات ذمَّت ورهبت من الجدال في آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر: ٣٥].

بيَّن أنَّ المجادلين في آيات الله ليس لهم حجة يحتجون بها، وهم بحالهم هذه يمقتهم الله، ويمقتهم الْمَلَائِكَة والأنبياء ويمقتهم الْمُؤْمِنُونَ، هذا المقت الذي هو دليل على شنَاءَة وَقُبْح هذا الصنيع(١).

وتوعد الله تعالى المجادلين في القرآن، سعيًا لتكذيبه أو المساس بحرمته وصونه، توعدهم بأشد العذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠﴾ [غافر: ٦٩ ـ ٧٠].

أي: كيف يصرف هؤلاء عن الحق الذي جاء به القرآن مع علو مكانه، وظهور حجته؟! إنَّما جادلوا في القرآن يريدون تكذيبه، وتكذيب ما جاء به من التوحيد الذي هو دعوة جميع المرسلين، ثم توعدهم

---

(١) انظر: العين (٥/ ١٣٢)، وجامع البيان (٢١/ ٣٨٤)، ومقاييس اللغة، مادة: (مقت) (٥/ ٣٤١).

بـ(سوف) التي خبئت لهم وراء حروفها مستقبلًا مظلمًا، وهوانًا عظيمًا، عندما يرون رأي العين وعيد القرآن وعاقبة تكذيبهم له.

ولما ذكر الوعيد على سبيل الإجمال، توعدهم به على سبيل التفصيل فقال: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢]؛ أي: إهانة أعظم من هذه الحال؟ وقد غُلَّت أيديهم إلى أعناقهم، يسحبون بالسلاسل في مكان النار تحيط به من كل جانب، في الحميم ـ وهو ما بلغ غايته حرارةً وإيقادًا ـ يحرقون، ثم في نار جهنم يسجرون؛ أي: تسجر بهم فهم وقودها والعياذ بالله، كما قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦][(١)].

وأين يفر المجادلون والمستهزئون بالقرآن من عذاب الله، وهم في قبضته، قد أحاط أقوالهم وأحوالهم بعلمه وقدرته؟ لذلك قال: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ [الشورى: ٣٥]؛ أي: أيقنوا أن ليس لهم مهرب من عذابه[(٢)].

كان ذلك جزاء تكذيبهم للقرآن، وجدالهم في آياته بالباطل، هذا الوعيد كاف لمن كان له مسكة من عقل، لأن يعظم الكتاب، ويطلب لذلك الأسباب، ويغلق أما الجدال فيه كل باب، ويتبع أمره ونهيه، معرضًا عن المجادلين فيه، ومجالسهم، موقنًا في ذلك كله، أن كيد المجادلين في تباب.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: جامع البيان (٢١/٤١٦).

(٢) انظر: الوجيز، للواحدي (ص٩٦٦)، وتفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٥/٥٩).

المطلب الثاني

وصف المكذبين للقرآن بالجدل والخصومة

وضَّحت الآيات الكريمة أنَّ الجدل صفة ملازمة للتكذيب والكفر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧]، أصل الألد: الشديد اللدد؛ أي: الممعن في الخصومة والجدال(١).

هذه الحال هي حالهم مع القرآن، لكن القرآن بيسره ووضوحه، وصدقه وإعجازه، يسعهم نذارة، ويدمغ جدلهم حقًّا وحجة.

وأخبرت الآيات أنَّ الجدال في آيات القرآن بالباطل، صفة ملازمة للكافرين، قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾ [غافر: ٤]، وهذا ما نهى عنه الرسول بقوله: «**لَا تُجَادِلُوا فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ جِدَالًا فِيهِ كُفْرٌ**»(٢).

لقد كان غايتهم من الجدل ليس البحث عن الحقيقة، وليس حرصًا منهم على سلوك الطريقة القويمة، إنَّما مقصدهم خصومة القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (١/ ٧٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، أحاديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (٤/ ٤٣)، رقم: (٢٤٠٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٤٥)، حديث رقم: (٢٤١٩).

وانطوى جدلهم على الكبر، فاغتروا بآرائهم، وأُعجبوا بأنفسهم، فملأ ذلك الكبر والغرور صدورهم الضيِّقة، فأضحت تلك القلوب فيها مظلمة مغلقة، ترى الحق باطلًا والباطل حقًّا، تستشرب الهوى، وتستحضر الْفِرَى، وتسلك طريق الردى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر: ٥٦].

لقد نسي هؤلاء حقيقة خلقهم، وتناسوا الضعف الذي لا يفارقهم، نسوا قصر عقولهم، ومحدودية علومهم، بل قد يجاوزوا ذلك بسبب سكر الكبر والكفر إلى أن ينسوا مرضًا يهتك ستار القوة، وموتًا ينكسر أمامه الجبابرة، فعظم الكبر في قلوبهم.

لكنَّهم ليسوا ببالغي ما عظم في صدورهم منه، وليسوا ببالغي دفع القرآن، وهو ما يريدونه من جدالهم؛ لأنَّ حقيقتهم الضعف، وهو صفة ملازمة لا تنفك عنهم، ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء: ٢٨]، أمَّا القرآن العظيم فحقيقته القوة، وصفاته الكمال، وحاله حال الصون والحفظ، فكيف ينال جدل المجادلين مما هذه حاله؟! وفي آخر الآية يأمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ به من شرهم، فإنَّه سميع لأقوالهم، بصير بأحوالهم[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: معاني القرآن، للزجاج (٤/ ٣٧٧)، وبحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٢١١).

المطلب الثالث

علاقة تحريم الجدال في القرآن بحفظ حرمته

أنزل الله تعالى القرآن ليعظم، ومن تعظيمه أن يأمر فيؤتمر بأمره وينهى فيجتنب نهيه، ويخبر فيصدق خبره، وترك الجدال في القرآن، أن لا نجادل ولا نماري في آياته، ونؤمن به كله، ونرده إلى عالمه، فالله تعالى أعلم بمراده من كلامه، والجدال في آياته بالباطل ينافي ذلك(١).

ومقصود القرآن هداية الناس وإخراجهم من الظلمات من النور، كما قال تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطلاق: ١١].

ومن حفظ القرآن حفظ مقاصده، فعندما يُتخذ القرآن غرضًا للجدل، لا يتحقق المقصد المذكور آنفًا، بل يؤول الأمر إلى عكس ذلك من الضلال والهلاك، كما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ**»(٢).

ولذلك أمر ﷺ أن يقرأ القرآن عندما يكون المقصد الاهتداء بهديه والاسترشاد برشده، أمَّا إذا انعكس القصد، وصار المجلس مجلس لغط واختلاف وجدل، فعندئذ نهى ﷺ أن تستمر الجلسة وهذا ديدنها، فقال:

---

(١) انظر: الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٦/ ٣٩٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (٤/ ٢٠٥٣)، رقم: (٢٦٦٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

«اقْرَؤُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»(١).

قال الحافظ ابن حجر: «مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ»؛ أي: اجتمعت، وقوله: «فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ»؛ أَيْ: في فهم معانيه فقوموا عنه أي تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر»(٢)؛ فمقصد القرآن الاجتماع والائتلاف، لا الفرقة والاختلاف، ومن حفظ القرآن حفظ مقاصده وهو ما أراد ﷺ أن يقرره في توجيهاته المذكورة آنفًا.

كما أنَّ الجدل بغير علم في آي القرآن يورث الاختلاف وضياع مقصد الاهتداء بهديه، فإنَّه أيضًا يتسبب في ضعف تعظيمه في قلوب المجادلين، ويفضي إلى التشكيك فيما جاء به، ولهذا وذاك كان هذا التشريع من تحريم الجدال في القرآن، مرادًا لتحقيق الغاية من حفظ حرمته فيعظم، وتتحقق مقاصده التي لأجلها نزل، وهي: الاهتداء بهديه والاسترشاد برشده، لذلك قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ**»(٣).

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يؤدبون على الجدل في القرآن الكريم، مثل ذلك الذي فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع صبيغ(٤)

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم (٦/١٩٨)، رقم: (٥٠٦٠)، ومسلم، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (٤/٢٠٥٣)، رقم: (٢٦٦٧). من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٩/١٠١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (١١/٣٠٥)، رقم: (٦٧٠٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح (١/٧٩).

(٤) صبيغ بن عسل الحنظلي، قصته مع عمر مشهورة، أدبه عمر رضي الله عنه وضربه ونفاه =

وكان يتكلم في متشابه القرآن، فضربه بالعرجون حتى دَمِيَ، وأمر بهجره، فهجر بالبصرة حتى كان كبعير أجرب، لا يجلس مجلسًا إلا انفض الناس عنه، وكل ذلك حفظًا لحرمة القرآن الكريم ومقاصده[1].

❁ ❁ ❁

= إلى البصرة، وكتب إلى أبي موسى بهجره، وأن يحرم عطاءه ورزقه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٧٠)، وتاريخ دمشق (٢٣/ ٤١١ ـ ٤١٣).

(١) انظر الرواية في: سنن الدارمي، كتاب: العلم، باب: من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١/ ٢٥٢)، رقم: (١٤٦)، عن سليمان بن يسار، عن نافع مولى عبد الله.

المطلب الرابع

تحريم اتباع المتشابه منه

اتباع متشابه القرآن، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، علامة الزيغ والضلال، ويحدث هذا عند الكافرين، وكذلك عند أهل الأهواء والبدع من أهل الملة، ممن تنكَّبوا الصراط، وركبوا مركب الجدل والرأي، ولم يرفعوا رأسًا بمذهب سلف الأمة القائم على الاتباع وعدم الابتداع.

لذلك أمرنا رسولنا الكريم ﷺ أن نحذر مجالستهم لما فيها من امتهان لحرمة القرآن، ولما فيها من الشبه والباطل، فقال: «**إِذَا رَأَيْت الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

وفي لفظ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**»(٢). قال فاحذروهم بصيغة الجمع خطابًا للأمة.

قال ابن حجر: «والمراد التحذير من الاصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن»(٣)، ويشمل ذلك وجوب هجر مجالسهم، وعدم غشيانها(٤).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] (٦/ ٣٤)، رقم: (٤٥٤٧). ومسلم: كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (٤/ ٢٠٥٣)، رقم: (٢٦٦٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق: تفسيره: تفسير سورة آل عمران (١/ ٣٨٤)، رقم: (٣٧٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٢١١)، وانظر: عمدة القاري (١٨/ ١٣٩).

(٤) انظر: عون المعبود (١٢/ ٢٢٧).

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

الآية السابقة حملت هذا التشريع حيث قسَّمت آيات القرآن إلى قسمين: المحكم والمتشابه، ولتوضيح ذلك يجب العلم أنَّ المتشابه **نوعان**:

النوع الأول: التشابه العام:

هذا النوع هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ أي: يشبه بعضه بعضًا في الحكمة والحق، ويتماثل ويتناسب بعضه مع بعض، بحيث يصدق بعضه بعضًا[(١)].

وهذا النوع لا ينافي الإحكام العام؛ لأنَّ المحكم من الكلام ما صدق بعضه بعضًا، ولم يناقضه، وهذا هو معنى المتشابه العام[(٢)].

النوع الثاني: التشابه الخاص:

هذا النوع من التشابه هو المعني في الآية التي نحن بصدد الحديث عنها، وهو ينافي الإحكام الخاص، وقد ذكر السيوطي في الإتقان[(٣)] لتعريف المتشابه أكثر من عشرة أقوال أقواها ما **يلي**:

القول الأول: المحكم ما عُرف المراد منه إمَّا بالظهور، وإمَّا بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور.

---

(١) [سبق الحديث عنه في الفصل الثالث فليراجع. الصفحة: (٢٠٨) من هذه الرسالة].

(٢) انظر: أصول في التفسير (ص٤٠). (٣) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٤).

القول الثاني: المحكم ما وضح معناه والمتشابه نقيضه.

القول الثالث: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا والمتشابه ما احتمل أوجهًا.

القول الرابع: المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان.

القول الخامس: المحكم ما استقل بنفسه والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.

والذي يظهر لي أنَّ أحسن ما قيل في بيان المتشابه، هو تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «فالتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنَّه هو أو هو مثله، وليس كذلك، والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر. وهذا التشابه إنَّما يكون لقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما»[(١)].

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب الكلام السابق أنَّ التشابه أمر نسبي، يختلف من شخص لآخر، ومعنى ذلك أنَّ النص الواحد من القرآن قد يكون محكمًا عند شخص متشابه عند آخر، فليس التشابه عند العالم الراسخ في العلم، كالجاهل به[(٢)].

وينبني على ذلك أنَّ الأصل في القرآن أنَّه محكم، وإنَّما التشابه منسوب إلى من اشتبه عليه فهمه، فمُقِلٌ ومستكثر من ذلك؛ ولذلك قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: أصله وعمدة ما فيه محكم[(٣)].

---

(١) التدمرية (ص١٠٥).

(٢) انظر: المرجع السابق: (ص١٠٥)، وما بعدها.

(٣) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٨)، التسهيل، لابن جزي (١/ ١٤٥)، وتفسير =

وبيَّنت الآيات أنَّ الناس مع المتشابه منهم الزائغون عن الحق، المتبعون لمتشابهه، وهم الذين لا يحملون المتشابه على المحكم، بل على العكس من ذلك، أي: يحملون المحكم واضح الدلالة على المتشابه، ذلك أنَّ مذهبهم قائم على الجدل، مبني على الهوى.

يقول الله تعالى عنهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وهذا الصنف يغلب على المنحرفين الزائغين من هذه الأمة من أهل البدع والأهواء، الذين يستدلون بمتشابه القرآن لتقرير بدعهم وانحرافهم، قال قتادة السدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: «إِنْ لَمْ تكن الْحَرُورِيَّةُ[1] أَوِ السَّبَئِيَّةُ[2]، فلا أدري مَنْ هم»[3]. قلت: الآية عامة في كل أهل الأهواء المتبعين لمتشابه القرآن الكريم.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾؛ أي: ميل وعدول عن الحق إلى الباطل، فلم

= القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٦).

(١) الحرورية: نسبة إلى حروراء، وهي بلد قرب الكوفة على ميلين منها، وهم الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ حينما قَبِل التحكيم بينه وبين معاوية، فنزلوا، واجتمعوا بحروراء، ناظرهم ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ورجع منهم طائفة، ثم قاتلهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. انظر: الفرق بين الفرق (ص٥٧)، والتبصير في الدين (ص٤٦).

(٢) السبئية: إحدى فرق الشيعة، وهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي: زنديق أظهر الإسلام لإحداث الفتنة بين المسلمين، وهو أول من قال بالنص في إمامة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأول من قال: بالرجعة والغيبة في الإسلام، وهكذا غلا أتباعه في علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى وصفوه بالألوهية في حياته وحرقهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالنار والقصة مشهورة، وغلوا فيه بعد مماته حيث زعموا أنَّه لم يمت، وأن فيه الجزء الإلٰهي، ولا يجوز أن يستولى عليه وهو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسمه إلى آخره من الضلال والعياذ بالله. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٢)، والفصل في الملل والنحل (٢/ ٣٣)، والملل والنحل (١/ ١٧٤).

(٣) تفسير عبد الرزاق، سورة آل عمران (١/ ٣٨٢) رقم: (٣٧٥).

يقصدوا نصوص القرآن ليستدلوا بها ثم يعتقدوا ما دلت عليها، بل قصدوها مائلين إلى أهواء وأباطيل اعتقدوها أولًا، ثم أرادوا أن تكون الآيات لها دليلًا، فاتبعوا ما تشابه منه، ولم يردوه إلى محكمه.

فعلوا ذلك: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾؛ أي: طلبوا اللبس ليضلوا به جهَّالهم وأتباعهم بالباطل، وأحدثوا الفرقة بمخالفتهم سبيل المتبعين لمحكمه من أهل الحق، وطلبوا أيضًا تفسيره، بطلب المعنى الذي اشتهته أهواؤهم لا الذي أرادته الآيات[1].

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

إن أريد بالتأويل عاقبة معرفة الأمور، وما تؤول إليه الأمور تعيَّن الوقوف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وتكون الواو استئنافية، واستدل من قال بذلك بقراءة ابن عباس رضي الله عنهما: «وما يعلم تأويله إلا الله، وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ: آمَنَّا بِهِ»[2]، وهي قراءة تفسيرية، وليست لفظ القرآن.

واستدلوا أيضًا بأنَّ الآية تدل على ذم متبعي المتشابه، ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، وبما ثبت أنَّه ﷺ قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»[3].

وذهب مجاهد وغيره إلى أنَّ الواو عاطفة، وأنَّ التأويل بمعنى

---

(١) انظر: الوجيز، للواحدي (ص١٩٩)، وغرائب القرآن (٢/ ١٠٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير تفسير سورة آل عمران (١/ ٣٨٤)، رقم: (٣٧٧)، بسند صحيح. قال الألوسي رحمه الله في روح المعاني (٢/ ٨٢): «هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة فأقل درجاتها أن تكون خبرًا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن، فيقدم كلامه على من دونه».

(٣) [سبق تخريجه: صفحة ٣٣٣، من هذه الرسالة].

التفسير، وعنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: «يعلمون تأويله ويقولون آمنا به»[١].

وهذا القول هو الراجح؛ لأنَّه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته[٢].

وحقيقة الخلاف أنَّه شكلي لا حقيقي، وبيان ذلك: أنَّ أصل خلافهم كائن في تفسير التأويل، فالذين فسروا التأويل بحقيقة ما تؤول إليه الأمور جعلوا الواو للاستئناف، ويتفق الطرفان أنَّ العلم بذلك لا يعلمه إلا الله.

أمَّا مَن فسَّر التأويل بالتفسير، فجعل الواو عاطفة، وعليه يكون أهل العلم يعلمون تفسير القرآن، فيكون الأمر ظاهره الخلاف وحقيقته الاتفاق[٣].

وحفظ القرآن بهذا التشريع؛ حيث أكد بالخبر المفيد للنهي تحريم اتباع المتشابه من القرآن، ووجوب رده إلى محكمه، كما لفتت الآيات النظر إلى موقف العلماء الراسخين الموافق للحق والصواب عند الاختلاف في تأويل المتشابه، فقال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، والراسخ في العلم: هو الذي لا يعترضه شبهة؛ لتمكنه في معرفته وتحققه بها[٤].

وفي ذلك تأكيد حفظ القرآن بحفظ تفسيره، وأنَّ العلماء الراسخين في العلم هم علماء الصحابة والتابعين، ومَن سلك مسلكهم واقتفى

---

(١) أخرجه في جامع البيان (٦/ ٢٠٣).
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٦).
(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص٢٢٣).
(٤) انظر: تفسير الراغب (٤/ ٢٢٦).

آثارهم، إذ تفسيرهم للقرآن أسلم، وهديهم في ذلك أحكم؛ لقرب عهدهم من الرسول ﷺ.

وفي الآية الكريمة إشارة إلى واجب العلماء تجاه القرآن، لا سيما المختصين بتفسيره أن يقوموا بواجبهم في بيان معانيه، معتمدين في ذلك مصادر التفسير الصحيحة، والمقصود أن الآية الكريمة قد نوَّهت بنوع من أهم أنواع الحفظ التي عني بها القرآن، وهو حفظه بحفظ تفسيره.

۞ ۞ ۞

الفصل السادس

حفظ القرآن عن افتراءات المكذِّبين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أساليب القرآن الكريم في الرد على المكذبين.

المبحث الثاني: رد افتراءات مكذبي القرآن على القرآن.

المبحث الثالث: رد افتراءات مكذبي القرآن على الرسول البشري والملكي.

المبحث الأول

أساليب القرآن الكريم
في الرد على المكذِّبين

أساليب القرآن الكريم في الرد على المكذبين

إبطال شبهات مكذبي القرآن، ورد افتراءاتهم وكشف باطلهم، مما حفظ الله به القرآن الكريم، حيث حرص مكذبو القرآن من وقت مبكر على بث الشبهات والافتراءات ليشككوا في صدقه أو حفظه، والمتأمل في آيات القرآن يجدها قد عرَّت شبهاتهم وكشفت عوارها بأساليب عدة، هذه الأساليب يمكن تلخيصها فيما يلي:

الأسلوب الأول: لفت أنظار المكذبين إلى الأدلة العقلية والواقعية على حفظ القرآن ويقينيته. **ومن أمثلة ذلك:**

(أ) كمال بلاغة القرآن مع أمية الرسول ﷺ: وفي هذا دليل أنَّ القرآن إنَّما هو من عند الله وكلامه، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨]؛ أي: لا تقرأ ولا تكتب بل أميّ ثم تأتي بهذه القرآن كامل اللفظ والمعنى والبلاغة والفصاحة والبيان[1].

(ب) مكث الرسول ﷺ زمنًا لا يتلو شيئًا من القرآن: وفي هذا دليل على أنَّه بلغ القرآن بعد نزول الوحي عليه، ولم يكن قادرًا قبل ذلك أن يأتي بشيء منه، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦]، وكان الرسول ﷺ قد لبث فيهم أربعين عامًا قبل البعثة لم يأتهم فيها بآية واحدة.

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٠/ ٥٠).

(ج) ومن أمثلة ذلك عرض مقدمات برهانية لتقرير المخاطب بالحق، في خطاب مباشر للعقل، ومثال ذلك إبطال قول اليهود في زعمهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: ٩١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقرآن إذا جادل يسأل ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية لتقرير المخاطب بالحق وإن كان بعض المخاطبين بها يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها، وهذا من أساليبه الجدلية كما في الآية السابقة، وفائدة ذلك تتأتى في إقامة الحجة على من يسلم بها»(١).

الأسلوب الثاني: بيان أنَّ القرآن الكريم نزل بعلم الله وحفظه، كمقدمة مهمة يلازمها نتيجة حتمية وهي استحالة افتراء القرآن أو مساس حفظه.

فلمَّا زعم الكافرون أنَّ القرآن إفك وأساطير الأولين كان الجواب: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٦].

ومثل ذلك قوله تعالى ردًّا على تكذيبهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣]، ثم قال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤].

---

(١) مجموع الفتاوى بتصرف (١٩/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

الأسلوب الثالث: إبطال كذبهم وافترائهم بالحجة الواضحة:

مثال ذلك: لما زعموا كاذبين أنَّ الرسول ﷺ تعلم القرآن من غلامين أعجميين قال مبينًا كذب ذلك: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣][(١)].

الأسلوب الرابع: لفت أنظارهم إلى شهادة العلماء والعقلاء منهم بأحقية القرآن وصدقه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف: ١٠]، وقد نزلت في شأن عبد الله بن سلام رضي الله عنه حيث شهد له اليهود بأنَّه أعلمهم بكتاب الله، فأسلم وشهد أنَّ القرآن من عند الله، فآمن وكفروا[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦ ـ ١٩٧].

الأسلوب الخامس: تكرار دعوة المكذبين إلى أن يأتوا بمثل القرآن أو طائفة منه، كدليل مرافق لكل دليل على أن القرآن من عند الله؛ ليستدلوا بما يجدونه في حال ضعفهم، وواقع عجزهم، فيستعظموا القرآن على إثر ذلك وقد قهرهم وعلا عليهم، وفيه فتح لباب التعرف على الحقيقة بالاستدلال عليها.

الأسلوب السادس: بيان عناد المكذبين وإصرارهم على التكذيب مهما وضحت لهم دلائل القرآن وظهر لهم صدقه، وفائدة ذلك تثبيت المؤمنين بالقرآن.

---

(١) انظر: سبب النزول في جامع البيان (١٧/ ٣٠٠)، وصحَّحه الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص١٢٤ ـ ١٢٥).

(٢) سبب النزول: أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث عوف بن مالك الأشجعي (٣٩/ ٤٠٩ ـ ٤١٠)، رقم: (٢٣٩٨٤)، وصححه الشيخ الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص١٨٤ ـ ١٨٥).

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعام: ٧]، وفي هذا يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١]:

جواب الشرط محذوف؛ حذف لأنَّ الكلام يدل عليه، وتقديره لما آمنوا وهو ما رجحه الزجاج، وقيل: تقديره لكان هذا هو القرآن[١].

الأسلوب السابع: الرد على المكذبين وإفحامهم وإلزامهم، وفي نفس الوقت إرشاد القارئين والمدركين، والأخذ بأيديهم إلى الحق، وتوجيه النظر إلى الحقائق، وهذا ظاهر في كثير من رده وخطابه[٢].

الأسلوب الثامن: الرد بعبارة واضحة دونما إلغاز أو غموض؛ حيث يصور الأدلة بسهولة بحيث لا يمكن إنكارها لوضوحها وسرعة فهمها[٣].

الأسلوب التاسع: ذكر الشبهة والافتراء ومن ثم الرد عليها بما يناسبها ويكشف زيفها وباطلها.

الأسلوب العاشر: الرد على طعنهم المباشر في القرآن، أو طعونهم حول القرآن، كطعنهم في الرسول ﷺ وأمانة تبليغه في القرآن، وكطعن اليهود في أمانة جبريل بنزوله بالقرآن[٤].

وكان منهج القرآن الكريم الرد على الطعون في القرآن

---

(١) انظر: معاني القرآن، للزجاج (٣/ ١٤٨).
(٢) انظر: المعجزة الكبرى القرآن (ص٢٧٥).
(٣) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٤٥٧).
(٤) انظر: دعاوى الطاعنين (ص١٥).

والرسول ﷺ؛ نظرًا للتلازم بينهما؛ فإن الطعن في الرسول ﷺ يعتبر طعنًا مباشرًا في القرآن الكريم.

والمبحثان القادمان ـ إن شاء الله ـ دراسة للآيات التي أبطلت تلك الطعون بالنوعين المذكورين آنفًا.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

ردُّ افتراءات مكذِّبي القرآن على القرآن

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: رد افترائهم أنَّ القرآن سحر أو شعر أو كهانة.

المطلب الثاني: الرد على طلبات المكذبين التعنُّتية ضد القرآن.

المطلب الثالث: رد وصفهم القرآن بالإفك والكذب وأساطير الأولين.

المطلب الرابع: رد افتراء المكذبين أن القرآن ليس من الله تعالى.

المطلب الأول

رد افترائهم أنَّ القرآن سحر أو شعر أو كهانة

تناقضت دعاوى مكذبي القرآن في وصف القرآن، فبين زاعم أنَّه سحر، وآخر يزعم أنَّه شعر، وآخر يزعم أنَّه ضرب من الكهانة.

هذا التناقض والاختلاف أحرج أكابرهم مما دعاهم إلى التفكير مرارًا؛ لتوحيد الدعوى حتى لا يتسبب ذلك التناقض في كشف باطل افترائهم على القرآن.

وقد بدا هذا القلق واضحًا في اجتماع صناديد الكفر مع حضور الموسم، وقرب قدوم وفود العرب على مكة؛ ليوحِّدوا مقولتهم، حتى استقروا على وصف القرآن بالسحر ليصدوا العرب الوافدين عن الإيمان به[(١)].

وفي رد القرآن على هذه الافتراءات بيَّن المولى ﷻ أنَّ الرسول ﷺ ليس شاعرًا ولا يتسنى له أن يقوله، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩].

قال الزجاج: «﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾؛ أي: ما يتسهَّل له ذلك»[(٢)]، فكان ﷺ لا يستطيع أن ينظم الشعر، ولا يتزن له في النظم، بالرغم من

---

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق (ص١٥١)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٧٠)، والروض الأنف، للسهيلي (٣/ ١٨ ـ ١٩).

(٢) معاني القرآن، للزجاج (٤/ ٢٩٣).

قوة فصاحته، وعظيم قريحته[١].

لم يكن الرسول ﷺ حريصًا على الشعر، ولم يحبذه لغيره إذا كان بطريق الاستكثار منه حتى يشغل عن القرآن والذكر، فقد جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ الرسول قال ﷺ: **«لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا»**[٢].

قوله: (يريه)؛ أي: حتى يصيب رئته، وقد رُخص في القليل منه، فيكون وجه التنفير عنه محمول على مَن امتلأ قَلْبُهُ من الشعر حتى يغلب عليه، فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه، وأمَّا إذا كان العلم والقرآن الغالبين عليه فليس جوفه مُمْتَلِئًا مِنَ الشِّعْرِ[٣]، وهذا ما قرره الإمام البخاري في ترجمة الحديث حيث قال: «باب: ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن»[٤].

ومما يدل على عدمية تحلِّيه ﷺ بلقب الشعر ما أخرجه الإمام أحمد وغيره عن أبي نوفل[٥] قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: أكان يُتَسَامَعُ عِنْدَ

---

(١) «قولهم: لفلان قَرِيحَةٌ جَيِّدَةٌ يراد به استنباط العلم بجودة الطبع». مختار الصحاح، مادة: (قرح) (ص٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب: الأدب، باب: ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن (٨/ ٣٧)، رقم: (٦١٥٥). وأخرجه مسلم: كتاب: الشعْرِ (٤/ ١٧٦٩)، رقم: (٢٢٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٥٤٩).

(٤) صحيح البخاري (٨/ ٣٧).

(٥) (أبو نوفل): مختلف في اسمه فقيل هو أبو نوفل بن أبي عقرب البكري الكناني العريجي، قيل: اسمه مسلم، وقيل: عمرو بن مسلم بن أبي عقرب، وقيل: معاوية بن مسلم بن عمرو، تابعي ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٥٧).

رَسُولِ اللهِ ﷺ الشِّعْرُ؟ قالت: «كَانَ أَبْغَضَ الْحَدِيثِ إِلَيْهِ»(١).

فكيف يكون ـ والحالة هذه ـ رسول ﷺ من الشعراء؟! وها هو ﷺ لا يحبذ الاستزادة منه وينفر عنه، وهو في نفسه أيضًا لا يقول الشعر، ولا يحسن نظمه وقوافيه، وفوق ذلك كله كان الشعر أبغض الحديث إليه.

لقد أدرك المشركون وهاء هذه الفرية، لذلك عدلوا عنها إلى تهمة هي السحر. يوضح سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ١٨ ـ ٢٥]، علمهم بكذب هذا الافتراء وسائر تلك الافتراءات.

روى الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنَّه رَقَّ لَهُ فبلغ ذلك أَبَا جَهْلٍ، فأتاه فقال: يا عَمُّ، إنَّ قومك يرون أن يجمعوا لك مالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ، «فَوَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً(٢)، وَإِنَّ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند الصدِّيقة عائشة رضي الله عنها (٤١/ ٤٧٦) رقم: (٢٥٠٢١)، وأخرجه أبو داود الطيالسي، مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها (٣/ ٩٣)، رقم: (١٥٩٣)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٧/ ٢٥٣)، رقم: (٣٠٩٥).

(٢) «إنَّ له لحلاوة»: من حلو؛ أي: عذوبة فصاحة، استعارة لما يستلذه السمع ويشتهيه. لسان العرب، مادة: (عذب) (١/ ٥٨٣)، وتاج العروس (١/ ١١٦).

لَطَلَاوَةً[١]، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ[٢] مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ[٣]، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ[٤]»، قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: «هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾.. الآيات [المدثر: ١١ ـ ٣١]»[٥].

لقد كان وصف القرآن بالسحر أرجى ما ظن المشركون أنَّه رائج

---

(١) «إنَّ عليه لطلاوة»: حسنًا وبهجة وقبولًا، وجاء بهذه الجمل مؤكدة بالقسم، كما أكده بـ (إن) والجملة الاسمية، والجار والمجرور خبر مقدم تقديمه أفاد الحصر تبعًا لقاعدة: تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، وقدَّم الخبر للحصر، وفيه إشارة إلى أنه لا يشبهه شيء من الكلام لتفرده بالكمال. انظر: العين (٧/ ٤٥٣)، جمهرة اللغة (١/ ٢٧٢).

(٢) «وإنَّ أعلاه لمثمر»: له طيب كثير النفع، استعارة تمثيلية؛ أي: أنَّ أصله قوي ليس مثل كلام البشر؛ بل: لفظه ومعناه قد علا على كل كلام. انظر: القاموس المحيط، مادة: (ثمر) (ص٣٥٩).

(٣) «مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ»: مغدق من غدق بِفَتْحِ الدَّالِ المطَر الكِبار القَطْر، والمُغْدِق: مُفْعِل مِنْهُ، وهو كثرة الماء، وأراد بأسفله ما تضمنه من معان وأحكام متصفة بالصدق والعدل، كما أن فيه استعارة تمثيلية، حيث شبهه بشجرة شربت عروقها ماء غدقًا فأثمرت أطيب الثمار. نظر: جمهرة اللغة (٢/ ٦٧٠)، وغريب الحديث، للخطابي (١/ ٤٤١)، وأساس البلاغة (١/ ٦٩٥).

(٤) «لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ»: يحطم من حطم، وأصل معناه كسر الشيء، والمراد أن القرآن يغلب ما سواه من مما يعارضه من الكلام، وعبَّر بتحته بعكس ما وصف به القرآن في الفقرة المتقدمة من العلو، إشارة إلى أنها لا تبلغه نظمًا وفصاحة، وبيانًا؛ بل قد علاها وغلبها. انظر: لسان العرب، مادة: (حَطَمَ) (١٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨)، ومقاييس اللغة، مادة: (حَطَمَ) (٢/ ٧٨)، والعين (٣/ ١٧٥).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: التفسير، سورة المدثر (٢/ ٥٥٠)، رقم: (٣٨٧٢)، ورواه البيهقي في دلائل النبوة، باب: اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز، وأنَّه لا يشبه شيئًا من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان (٢/ ١٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بين الناس وصاد لهم عن القرآن، وهذا الوصف وغيره من الافتراءات كُشِفَ كذبه وبُيِّنَ زوره في ثنايا الآيات.

ويمكن تلخيص رد الآيات على هذه الافتراءات على القرآن فيما يلي:

(١) التحدي بأن يأتوا بمثل القرآن بيانًا وهداية، فقد قال المكذبون في شأن التوراة والقرآن: ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [القصص: ٤٨]، «(تَظاهَرا)؛ أَيْ: موسى ومحمد تعاونا على السحر»[١]. لما قالوا ذلك قال ﷻ: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: ٤٩]، هو أهدى منهما، أي: من التوراة والقرآن[٢].

(٢) بيان أنَّ هذه الافتراءات صدرت من أصحابها عن هوى، واتباع للباطل، مع وضوح الآيات، وظهور الحق الذي جاءت به، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأحقاف: ٧]، فمع كون آيات القرآن واضحة بينة بيانًا لا يعتريه غموض، واجه هؤلاء الحق الذي جاء به بهذا الوصف العاري عن الصحة والموضوعية.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام: ٧]، لو نزل عليك القرآن في صحف يرون نزولها، ومن ثم يلمسوها بأيديهم لاستمروا معاندين مكذبين، يدعون أن هذا سحر، وذكر اللمس؛ لأنه يفيد مع النظر أعلى درجات اليقين وهو حق اليقين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ٢٩٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٢٤٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١]؛ أي: لما آمنوا.

(٣) ترهيب المكذبين ووعيدهم بعذاب أليم جزاء تكذيبهم للقرآن المجيد؛ إذ كان تكذيبهم بالهوى مع علمهم أن القرآن حق.

ومن الرد على هذا بالوعيد قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ١٨ ـ ٢٦].

الوعيد وقع على سوء التقدير لا مجرد التفكير، فلم يقل: فقتل كيف فكر، بل قال: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾؛ لأنَّ التفكير لو جرد عن الأهواء وقصد به طلب الحقيقة فإنه حتمًا يفضي إلى التقدير الصحيح، ولهذا أمر ﷻ بالتفكير عندما يكون في بيئة خالية من الهوى فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ﴾ [سبأ: ٤٦].

ومن ذلك ترهيبهم أنَّ الله يعلم أقوالهم وقائليها، وهو مجازيهم عليها يوم القيامة، فلما قالوا عن القرآن: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣]، قال مخوفًا لهم: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الأنبياء: ٤]، «أي: قل يا محمد: ربي يعلم قولكم بينكم.. ويعلم غير ذلك في السماوات والأرض وهو السميع لجميع ذلك، العليم بجميع خلقه، فيجازي كلًّا على قدر أعمالهم»(١).

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٧/ ٤٧٢٩).

المطلب الثاني

الرد على طلبات المكذبين التعنُّتية ضد القرآن

حاول المكذبون التشكيك في القرآن بطلب طلبات تعنُّتية يزعمون أن لو لُبِّيت لهم فسيصدِّقونه ويؤمنون به.

الآيات الكريمة لم تغفل هذا التعنت والعناد، بل كشفت زيف ما يرمون إليه، وأوضحت أنَّ هذه الطلبات تعنت مع وضوح الحقيقة، وتماد في الجدل لا يراد به اتباع الطريقة السوية.

وفيما يلي عرض لما ردت به الآيات الكريمة على تلك الطلبات:

الفرع الأول

طلبهم للهلاك علامة على أحقية القرآن

بلغ العناد بأهل الكفر والجحود مبلغه، حتى طلبوا وقوع الهلاك بهم كعلامة على أحقية القرآن، ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢].

كانت هذه هي مقالة أبي جهل وأمثاله من صناديد الكفر[1]، وهذا

---

(١) انظر: سبب النزول في صحيح البخاري: كتاب: تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، (٦/ ٦٢)، رقم: (٤٦٤٨). وصحيح مسلم: كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ (٤/ ٢١٥٤) رقم: (٢٧٩٦)، عن أنس رضي الله عنه.

من سفه عقولهم، وعمق جحودهم، وإلا فما يغني عنهم بعد هلاكهم على التكذيب معرفة حق القرآن، وقد حق عليهم العذاب؟!!

ولما طلبوا ذلك ـ إمعانًا منهم في الجحود والتكذيب ـ أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]؛ أي: وما كان الله ليعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم، وكانت نزلت على النبي ﷺ وهو مقيم بمكة، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾؛ أي: «ولا يزال منهم من يتوب ويدخل في الإسلام، ولولا ذلك لعذبهم الله تعالى، فليس ثمة ما يحجزهم عن عذاب الله إذا أراده بهم»[(١)]، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلمَّا خرج من بينهم بالهجرة أتاهم الله بعذاب أليم يوم (بدر)[(٢)] وغيره»[(٣)].

الفرع الثاني

طلبهم لخوارق العادات

تعنَّت المكذبون فطلبوا من الرسول ﷺ أن يأتي بخوارق العادات، كما طلبوا طلبات فيها سوء أدب مع الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ

---

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٢١)، وجامع البيان (١٣/ ٥٠٩).

(٢) (بدر): موضع بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصّفراء، به ماء على ثمانية وعشرين فرسخًا من المدينة في طريق مكة، و(يوم بدر) المباركة التي كانت بين رسول الله ﷺ والمشركين سنة ٢هـ. انظر: الروض المعطار (١/ ٨٤)، ومعجم البلدان (١/ ٣٥٧)، وآثار البلاد وأخبار العباد (ص٧٨).

(٣) الجواب الصحيح (٥/ ٣٣٨).

لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

هذه المطلوبات لو حصلت لهم فجاءتهم لا يؤمنون، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩].

وأخبر الله تعالى ـ وهو العالم بما كان ويكون وما هو كائن ـ أنهم لا يؤمنون لو جاءهم أعظم الآيات الدالة على أحقية القرآن، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١]؛ أي: لما آمنوا.

ويظهر عناد هؤلاء وبعدهم عن الإيمان في قولهم: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، قال الزجاج: «فأعلم الله ـ جل ثناؤه ـ أن ذلك لو نزل عليهم لم يؤمنوا فقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام: ٧]»[(١)].

أمَّا رد القرآن على هذا التعنت فبأمر الرسول ﷺ أن يخبرهم أنَّ هذه الطلبات ليس بوسعه أن يفعلها؛ لأنَّه بشر لا قدرة له أن يأتي بشيء إلا ما شاء الله تعالى وأراده: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٣].

سبحان ربي، تعجبًا من مقترحاتهم، وتنزيها لله تعالى عن أقوالهم، حيث لم يقدروا الله حق قدره ومن ذلك قولهم: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٢]؛ ولأنَّ هذه المطالب سوء أدب مع الله تعالى[(٢)].

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا﴾؛ «لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر،

---

(١) معاني القرآن، للزجاج (٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر: التسهيل، لابن جزي (١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥).

﴿رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ كما كان من قبلي من الرسل، لا أتعدى ما أمرت به من التبليغ، فلا آتي بشيء إلا بإذن الله، ولم أقل: إنِّي إلٰه، حتى يطلب مني ما يطلب من الإلٰه»(١).

وما طلبوه من الكنوز والجنات من النخيل والأعناب، وتفجر الأنهار خلالها وحصول ذلك للرسول ﷺ، الله تعالى قادر أن يأتي نبيه ﷺ خيرًا من بهرج الحياة التي حكوها؛ لأنَّ بيده الخير كله، ولذلك قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾﴾ [الفرقان: ١٠].

لكنَّ الرسول ﷺ هو الذي اختار حياة التواضع والزهد في الدنيا، وآثرها على حياة الدعة والرغد، كما روى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل»، فقال جبريل: «إنَّ هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق، قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك: **أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟** قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قَالَ: «**بَلْ عَبْدًا رَسُولًا**»(٢).

الفرع الثالث

طلبهم أن ينزل مع الرسول ﷺ ملك

طلبوا أيضًا إمعانًا في التكذيب والجحود أن ينزل ملك مع

---

(١) نظم الدرر (١١/ ٥١٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (١٢/ ٧٦ ـ ٧٧)، رقم: (٧١٦٠)، وابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب: التاريخ، باب: من صفته ﷺ، وأخباره (١٤/ ٢٨٠)، رقم: (٦٣٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٥٢)، رقم: (٣٢٨٠).

الرسول ﷺ، واستنكروا أن يرسل الله بشرًا إليهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

هذا أكثر ما دندنوا به وأثاروه؛ لذلك أفرد الرد عليه، بينما رد على تعنُّتاتهم السابقة بقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٣].

وكانت هذه الشبهة أكثر ما منعهم الإيمان بالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤].

وردت الآيات الكريمة على هذه الشبهة بما **يلي**:

أولًا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥]، أي: قل لهؤلاء المكذبين رادًّا عليهم وقد استنكروا إرسال رسول من البشر، لو كان أيها الناس ملائكة يمشون مطمئنين لأرسلنا إليهم رسولًا منهم؛ «لأنَّ الملائكة إنَّما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصّه الله من بني آدم برؤيتها، فأمَّا غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها؟»[(١)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٩]: «لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل منهم؛ لِأَنَّهُمْ لا يستطيعون النَّظَرَ إلى الملائكة»[(٢)].

والرسول ﷺ وهو أشرف الخلق، ورغم ما تميز به من القوة

---

(١) جامع البيان (١٧/٥٥٨)، وانظر: الرسل والرسالات (ص٧٢).

(٢) تفسير القرآن، لابن أبي حاتم (٤/١٢٦٦).

النفسية والجسمية رجف فؤاده عندما رأى جبريل على صورته، وكان أسهل طرق الوحي لديه، أن يأتيه جبريل في صورة رجل، وكان يأتيه على صورة دحية الكلبي رضي الله عنه[١]، فكيف بحال غير الرسول ﷺ؟[٢]

ثانيًا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام: ٨]، بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ عدم إنزال الملائكة عليهم خير لهم؛ لأنَّهم لو جاءتهم الملائكة على ما سألوا ثم لم يؤمنوا واستمروا في الكفر، لجاءهم العذابُ عاجلًا غيرَ آجل، ولم يُنْظروا فيؤخَّروا بالعقوبة، بحيث لا يكون ذلك فرصة لهم في التوبة والرجوع إلى الله تعالى[٣]. قال قتادة: «ولو أَنْزَلْنَا مَلَكًا ثُمَّ لم يؤمنوا به لَعُجِّلَ لهم العذاب»[٤].

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحجر: ٨]، قال مجاهد: «مَا نُنَزِّلُ الملائكة إلا بالحق؛ أي: بالرسالة والعذاب»[٥].

كما أخبر تعالى أنَّهم لا يرون الملائكة إلا عندما يحل بهم العذاب أو عندما ينزل بهم الموت، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢].

ثالثًا: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٩].

---

(١) دحية بْن خليفة بن فروة، صاحب رسول الله ﷺ، صحابي ممن بايع تحت الشجرة، شهد أحدًا وما بعدها، وكان رجلًا جميلًا، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. انظر: أسد الغابة (٢/ ٦)، والكاشف، للذهبي (١/ ٣٨٣)، والإصابة، لابن حجر (٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٢).

(٢) انظر: الرسل والرسالات (ص٧٢).

(٣) انظر: جامع البيان (١١/ ٢٦٧).

(٤) تفسير عبد الرزاق: سورة الإنعام (٢/ ٤٣).

(٥) تفسير القرآن، لابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥٨).

قال ابن كثير: «لو بَعَثْنَا إلى الْبَشَرِ رَسُولًا مَلَكِيًّا لكان على هيئة رجل لتُفْهَم مُخَاطَبَتُهُ والانتفاع بِالْأَخْذِ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما يَلْبِسُونَ على أنفسهم في قَبول رسالة الْبَشَرِيِّ»(١).

ولأنَّهم لا يستطيعون رؤية المَلَك على صورته التي خُلق عليها، كما سبق الحديث عنه في الفقرة الأولى، فإنَّ إنزال ملك بصورة بشر يزيدهم لبسًا؛ لأنهم لا يستطيعون التحقق من كونه بشرًا أو ملكًا، فيكونون بذلك قد طلبوا ما يزيدهم لبسًا إلى لبسهم.

ولا يسأل ذلك طالب هداية، بل كان طلبهم مصدره الكبر، وحقيقته التكذيب والعناد، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان: ٢١](٢).

رابعًا: أنَّ جميع المرسلين قبل الرسول ﷺ من البشر، ولهم طبائع البشر من الحاجة إلى الطعام وغير ذلك مما يحتاجه البشر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠]، ولذلك حكم وفوائد تتمثل في التالي:

(١) اختارهم من البشر؛ لأنَّ ذلك أعظم في الابتلاء والاختبار، كما جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ**»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٢٤١).

(٢) انظر: الرسل والرسالات (ص٧٢).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف =

(٢) إكرام من شاء الله تعالى إكرامه من البشر، بالرسالة والنبوة، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨].

(٣) الفائدة في الطبيعة البشرية التي يتصف بها الرسل من البشر، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠]، ولا يخفى ما لذلك من الفوائد بالنسبة للمدعوين؛ فإنَّ الرسول البشري، يحس بإحساسهم، ويتذوق مواجدهم، ويعاني تجاربهم، ويستشعر آلامهم وآمالهم، ويعرف نوازعهم ويعلم ضروراتهم وأثقالهم، ويشق عليه ما يشق عليهم، لذلك قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، فلمَّا كان من أنفسهم شق عليه ما يشق عليهم، ولا يكون ذلك فيما لو كان الرسول ملكًا[1].

❁ ❁ ❁

= بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٤/ ٢١٩٧)، رقم: (٢٨٦٥)، عن عياض المجاشعي رضي الله عنه.

(١) انظر: الرسل والرسالات (ص٧١).

المطلب الثالث

ردُّ وصفهم القرآن بالإفك والكذب وأساطير الأولين

لجأ المكذبون أيضًا إلى محض الافتراء الذي لا يعجز عنه أحد في نفسه شيء، فليس ثمة شيء أسهل من التكذيب الذي لا يبنى على التحقيق والتدقيق، والأدلة الواضحة الصحيحة، هذا التكذيب المحض سلاح العاجز المفلس، ولا ينفق إلا على أعشى البصيرة، قليل العزم والحيلة، أما من أنار الله قلبه، فأنار له دربه؛ فهيهات هيهات!!

كثيرًا ما وصفوا القرآن بالإفك والكذب وأساطير الأولين؛ ليقنعوا ـ بمجرد الوصف والتنفير ـ بسطاء التفكير، وضعفاء التقدير، ظانين أن ذلك سيقف أمام حق القرآن الذي يدمغ الباطل فإذا هو زاهق.

«أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ»: اختلف في المفرد من أساطير، فقيل: واحدتها أسطورة، وقيل إسطارة، ومجازها مجاز الترّهات[1]، وقال الأخفش[2]: «بعضهم يزعم أنَّ واحدَه أُسْطُورَة، وبعضهم «إِسطارَة»، ولا أُراهُ إِلا من الجمع الذي ليس له واحدٌ نحو: عَبادِيد ومَذاكِير وأَبابِيل»[3].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٩).

(٢) سعيد بن مسعدة المجاشعي، النحوي البلخي، المعروف بالأخفش الأوسط؛ أحد نحاة البصرة، أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع وكان من أسنان سيبويه، له كتب كثيرة في: النحو والعروض ومعاني القرآن، توفي سنة ٢١٠هـ. انظر: السير (١٠/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٨٠)، وبغية الوعاة (١/ ٥٩٠).

(٣) معاني القرآن، للأخفش (١/ ٢٩٦).

وسمِّيت الأساطير، نسبة إلى السطور والكتابة؛ أي: أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها في كتبهم[١].

أمَّا الإفك فيقول ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته. يقال: أُفِكَ الشَّيْءُ. وَأَفِكَ الرَّجُلُ: إِذَا كَذَبَ. والإفك: الكذب. وَأَفَكْتُ الرَّجُلَ عَنِ الشَّيْءِ: إِذَا صَرَفْتُهُ عَنْهُ. قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]»[٢].

والإفك أعظم الكذب؛ حيث يطلق على الكذب الفاحش الذي يقع في الأمور العظيمة[٣]، واستعمالهم لهذا اللفظ في تكذيب القرآن إمعانًا منهم في تكذيبه وتنفير الناس عن قَبوله والتسليم له.

ولأنَّ هذه الافتراءات على بلادتها قد تنفق على البعض؛ بسبب ضعف بصيرته، وقلة إدراكه وسطو حيرته، كان لذلك بيانها جزءًا من الحفاظ على القرآن، والذب عنه، وحراسة جنابه، وهذا ما جاء في الآيات حيث كشفت زيف تلك الافتراءات وعرَّت باطلها.

فلمَّا زعم بعضهم أنَّ هذا القرآن إفك استقاه من غيره، وإنَّما هو من قصص الأولين وأساطير السابقين، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤]، رد الله تعالى عليهم أنَّ الرسول ﷺ لا يعرف أن يقرأ ولا يكتب، فكيف ينقلها؟ ثم أين كتب الأساطير التي زعموها مصدرًا للقرآن الكريم؟ فليظهروها إن كانوا صادقين[٤]، فإنهم

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ١٠٤).

(٢) مقاييس اللغة، مادة: (أَفَكَ) (١/ ١١٨).

(٣) الفروق اللغوية، للعسكري (ص٤٥).

(٤) انظر: دعاوى الطاعنين (ص٤٣).

وقد عجزوا عن ذلك كانوا هم من افترى الكذب، وزوَّر الحقائق، لذلك قال ﷻ: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ [الفرقان: ٤].

وصفَ ما أتوا به بصفتي الظلم والزور، فأمَّا الظلم فأصله وضع الشيء في غير موضعه[١]، وهذه حالهم بكونهم جعلوا القرآن ـ وهو أصدق الحديث وأحسنه ـ كذبًا.

أمَّا الزور فأصل معناه الميل والعدول، وكل من الظلم والزور كذب[٢]، إلا أنَّ وصف كذبهم بهاتين الصفتين له مدلوله؛ حيث أنَّ وصفهم بالظلم وصفهم بنتيجة أفضى إليها إمعانهم في الكذب، فكانوا قد ظلموا أنفسهم بكل ما يحمله المعنى من ظلم الإنسان لنفسه؛ حيث ظلموا أنفسهم بحرمانها طريق الهداية، وظلموها إذ سلكوا بها طريقًا إلى عذاب الله، وظلموا غيرهم ممن ركب معهم ركب الغواية، فقطعوا عليهم طريق الهداية، وسلكوا بهم سبل الردى والضلالة، وأظلم من ذلك كله وقوعهم في أظلم الظلم وهو الكفر بالله وبكتابه وبرسوله ﷺ.

أمَّا الزور فيزيد في معناه على الكذب العادي، أنَّه كذب في قالب محسَّن منمَّق، ومزخرف بزخارف الباطل[٣]، وفي هذا إشارة للمؤمنين إلى الحذر من زخارف القول، وشبهات الأفاكين.

وبيَّن الله تعالى أنَّ وصفهم للقرآن بهذه الأوصاف مبني على الجهل، ليس عندهم علم أو مصدره ككتاب، فيعلمون أنَّ ما جاء به

---

(١) جمهرة اللغة (٢/ ٩٣٤)، ومقاييس اللغة، مادة: (ظلم) (٣/ ٤٦٨).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (زَوَرَ) (٣/ ٣٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (زَوَرَ) (٢/ ٣١٨).

(٣) انظر: الفروق اللغوية، للعسكري (ص٤٧).

الرسول ﷺ حق أم باطل؛ لذا قال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ [سبأ: ٤٤].

قال السدي: «لم يكن عندهم كتاب يدرسونه، فيعلمون أَنَّ ما جِئْتَ به حق أم باطل»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: «ما أنزل الله على العرب كتابًا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيًّا قبل محمد ﷺ»، قاله قتادة(٢).

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٠/٣١٦٨) رقم: (١٧٩٠١).
(٢) جامع البيان (٢٠/٤١٦).

المطلب الرابع

ردُّ افتراء المكذبين أنَّ القرآن ليس من الله تعالى

تدور كل شبه المكذبين حول نفي نسبة القرآن إلى الله تعالى، فهذا ما يريدونه وإن تعددت وتنوعت دعاواهم، وتلك الدعاوى تتنوع إلى **ثلاثة أنواع**:

الأول: أنَّ القرآن من عند محمد اختلقه من عند نفسه(١).

الثاني: أنَّه تلقاه من غيره من البشر.

الثالث: الجمع بين النوع الأول والثاني؛ أي: دعواهم أن الرسول افتراه، وفي نفس الوقت تلقاه من غيره.

زعم المشركون أنَّ الرسول ﷺ تلقى القرآن من معلم من البشر. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

ومثل دعواهم تلك، قوله تعالى عنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام: ١٠٥]، يقول وهكذا نبيِّن ونوضح الآيات ونفسرها دالة على لا إلٰه إلا الله، ووضحنا لهم الحجج والحق، وكان أولى بهم والحالة هذه أن يؤمنوا ويستجيبوا لما فيها من الهدايات(٢).

---

(١) يأتي الحديث عن ذلك في المبحث الثالث. [مطلب: تنزيه الله لرسوله ﷺ عن وصفهم له بالافتراء والكذب. صفحة (٣٨٣)، من هذه الرسالة].

(٢) انظر: معاني القرآن، للأخفش (١/ ٣٠٩)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٤٤)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١١).

لكنَّهم واجهوا وضوح الآيات وظهور حجتها بالتكذيب للرسول ﷺ والقرآن: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، اللام لام العاقبة؛ أي: عاقبة أمرهم أن يقولوا درست[١].

وليقولوا درست؛ أي: دارست أهل الكتاب[٢]، قُرئ: (دَارَسْتَ) بألف بعد الدال؛ أي: تعلمت ما تتلوه من معلم[٣]، وقريبًا من هذا المعنى من قرأ: ﴿دَرَسْتَ﴾ بغير ألف وسكون السين وفتح التاء[٤]؛ أي: حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الأولين[٥].

وجمع المكذبون بين دعواهم افتراء الرسول ﷺ القرآن من عند نفسه، ودعواهم أخذه من غيره: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٤ ـ ٥].

في هذه الآيات ادعوا افتراء الرسول ﷺ القرآن، واستعانته بغيره على ذلك، كما زعموا أنَّه اكتتبها؛ أي: «طلب أن تكتب له؛ لأنَّه كان لا يكتب[٦]».

وقيل: معناه: «جمعها، من قولهم: كتب الشيء؛ أي: جمعه، أو من الكتابة؛ أي: كتبها بيده»[٧]، فهي تملى عليه؛ أي: تقرأ عليه في الصباح والمساء.

---

(١) تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٢/ ١٣٣).
(٢) معاني القرآن، للأخفش (١/ ٣٠٩).
(٣) هي: قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: السبعة في القراءات (ص٢٦٤).
(٤) هي: قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي. انظر: السبعة في القراءات (ص٢٦٤)، والنشر (٢/ ٢٦١).
(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص٢٧١).
(٦) تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٤/ ٧).
(٧) البحر المحيط (٨/ ٨٢).

إذن، كانت تلك هي أقوالهم في دعواهم أنَّ الرسول ﷺ تلقى القرآن من غيره من البشر، أمَّا رد الآيات على هذه الأباطيل فتلخيصه فيما يلي:

أولًا: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

أخرج الطبري في سبب نزول الآية بسند صحيح عن عبد الله بن مسلم الحضرميّ[(١)]: «أنَّه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن، وكانا طفلين، وكان يُقال لأحدهما يسار، والآخر جبر، فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله ﷺ ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنَّما يجلس إليهما يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]»[(٢)].

هذه الرواية أصح ما ثبت بإسناد، وقد وردت أقوال أخرى في تحديد اسم من ادعى المشركون أنَّ الرسول ﷺ تلقى عنه القرآن.

قال الماوردي: «اختلف في اسم من أراده المشركون فيما ذكروه من تعليم رسول الله ﷺ على **أربعة أقاويل**:

أحدها: أنَّه بلعام، وكان قينًا بمكة، وكان رسول الله ﷺ يدخل عليه يعلمه، فاتهمته قريش أنَّه كان يتعلم منه، قاله مجاهد.

الثاني: أنَّه كان عبدًا أعجميًا لامرأة بمكة، يقال له: أبو فكيهة، كان يغشى رسول الله ﷺ فيقرأ عليه ويتعلم منه.

---

(١) عبد الله، وقيل: عبيد الله، وقيل: عبيد بن مسلم، الحضرمي، وقيل: القرشي، ذكر في الصحابة. انظر: أسد الغابة (٣/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٧/ ٣٠٠)، وصحح الرواية الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص١٢٤).

الثالث: أنَّهما غلامان لبني الحضرمي، وكانا من أهل عين التمر، صيقلين يعملان السيوف، اسم أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله ربما جلس إليهما.

الرابع: أنَّه سلمان الفارسي، قاله الضحاك»[١].

قيل: (يلحدون)؛ أي يميلون[٢]، **والثاني**: يعترضون به[٣]، وقال البقاعي: «يميلون أو يشيرون إليه»[٤]، وعلى الأول أكثر المفسرين.

قلت: مدلول (يلحدون) اللغوي ميل وزيادة؛ فيكون ميل عن استقامة إلى عوج، ميل مشوب بالظلم، وحيدة عن الحق إلى الباطل[٥]، وهذا المعنى في حال مقالتهم الجائرة، المائلة عن الحق إلى الباطل، الظالمة؛ فلم تضع الشيء في محله، حائدة عن الواقع والحقيقة، إلى الظن والباطل.

ولا ينبغي تغييب الآية السابقة عن المعنى في التفسير، فالآية السابقة تذكر التلقي الحقيقي للرسول وأنَّ الرسول تلقاه من جبريل عليه السلام عن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]؛ فكيف مال هؤلاء عن هذا الحق إلى ما ذكروه من الباطل؟!

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٢١٤ ـ ٢١٥).
(٢) جامع البيان (١٧/ ٣٠١)، ومعاني القرآن، للزجاج (٣/ ٢١٩).
(٣) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢١٥).
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١١/ ٢٥٦).
(٥) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦)، ومختار الصحاح (ص٢٨٠)، ولسان العرب (٣/ ٣٨٨)، مادة: (لَحَدَ).

وأرشدت الآية إلى استعمال العقل، لكشف عوار ما افتروه؛ حيث زعموا أخذه عن لسان أعجمي، والقرآن لسان عربي بين واضح.

قال الشنقيطي: «أي كيف يكون تعلمه من ذلك البشر، مع أن ذلك البشر أعجمي اللسان، وهذا القرآن عربي مبين فصيح، لا شائبة فيه من العجمة؟! فهذا غير معقول»[١].

ليس ثمة التقاء الْبَتَّةَ، بين ما ذكروه من تعلم الرسول ﷺ القرآن من الأعاجم، وبين واقع الحال المعلوم ضرورة، فأميَّة الرسول ﷺ ظاهرة لديهم، بالإضافة إلى عربية القرآن.

قال أبو بكر الباقلاني[٢]: «ونحن نعلم ضرورة أنَّ هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفًا أنَّه لم يكن ملابسًا لأهل الآثار، وحملة الأخبار، ولا مترددًا إلى المتعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه، علم أنَّه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي»[٣].

ثانيًا: حدد القرآن وظيفة الرسول ﷺ بالوعي والحفظ، ثم التبليغ، ثم البيان والتفسير، ثم التطبيق والتنفيذ، وبيَّن القرآن أيضًا أن الرسول ﷺ عاجز كغيره من البشر عن الإتيان بمثل القرآن في هدايته وعلمه ولغته، وأقام الحجة على أنَّه وحي من الله وذلك في معرض تفنيد ما اقترحه المشركون على الرسول ﷺ وما طالبوه من الإتيان بقرآن آخر أو تبديل

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٤٥٤).

(٢) أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد، القاضي، الباقلاني، المالكي. فقيه بارع، ومحدث حجة، سكن بغداد، وسمع بها الحديث، كان عارفًا بعلم الكلام، أشعري العقيدة. توفي ببغداد سنة ٤٠٣هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٠)، وتاريخ بغداد (٣/ ٣٦٤).

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني (١/ ٣٤).

هذا القرآن، وكل هذه المعاني ظاهرة في الآيات التي سبق الحديث عنها، أو يجري الحديث عنها لاحقًا[١].

ثالثًا: أنَّ أمر القرآن قائم، وأنَّ الله تعالى سيبين الحق الذي جاء به، كما قال تعالى في رد افترائهم: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام: ١٠٥]، هذا البيان لقوم يعلمون الحق وصدق ما جاء به القرآن، وإذا كذبه الجاحدون فسيتبين لقوم يعلمون صدقه وحقه بما وفقهم الله من الهداية والعلم[٢].

رابعًا: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يمضيَ في تبليغ القرآن، متبعًا لما يوحى إليه منه، غير ملتفت ولا مبال بتلك الافتراءات والأقاويل، فقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنعام: ١٠٦].

خامسًا: بيَّن الله تعالى أنَّ ما قاله هؤلاء هو الكذب المحض، الذي لا يسانده أو يشهد له شيء؛ فقال: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ [الفرقان: ٤]. قال الطبري: «معنى الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فكان ظلم قائلي هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا، وصفهم إياه بغير صفته، والزور: أصله تحسين الباطل»[٣].

سادسًا: لفت أنظارهم في رد مقالتهم إلى أنَّه ﷻ مَن أنزل القرآن، وقرن ذلك ببيان علمه الواسع، فقال: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٦]، وعندما يكون نزول القرآن ممن لا يغيب عن علمه شيء في السموات والأرض، لزم أن

---

(١) النبأ العظيم (ص١٨٣ ـ ١٨٥)، وموسوعة بيان الإسلام (١/ ١٥٧ ـ ١٥٨).
(٢) انظر: جامع البيان (١٢/ ٣١).
(٣) جامع البيان (١٩/ ٢٣٨).

يكون صدقًا وحقًّا ويقينًا، ولزم بقاءه محفوظًا، وأنَّ مَن نزل عليه مصطفًى لذلك من الله، صادقًا فيما بلغ وأخبر.

وقد أعلن الرسول ﷺ بينهم ما أمره الله بإبلاغه من أن القرآن ليس كلامه؛ بل كلام الله تعالى منزل من عند الله تعالى، هذا الإعلان «ذاع بين قومه ومسجلًا في القرآن: أنَّه لم يتلقَّ عِلمًا من إنسان، وسمع ذلك النضر نفسه، وغيره ممن شك فيهم أنَّهم يعلمون الرسول، فلم يعلن أي إنسان منهم، أو من اليهود، أو من المسيحيين أنَّه هو الذي يعلم الرسول، فضلًا عن أنَّه لم يدع أحد منهم ذلك»[١].

تبيّن من كل هذه الأدلة أنَّه لا يوجد للقرآن مصدر إنساني، لا في نفس صاحبه ولا عند أحد من البشر، وأنَّ كل من حاول أن يجعل هذا القرآن عملًا إنسانيًّا أعياه أمره، وانكشف أمره وظهرت مكابرته[٢].

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص٢١١).
(٢) انظر: النبأ العظيم (ص٩٩).

المبحث الثالث

ردُّ افتراءات مكذبي القرآن على الرسول البشري والملائكي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: رد اتهامهم النبي ﷺ بالسحر أو الجنون أو الكهانة.

المطلب الثاني: رد زعمهم أن النبي ﷺ ليس كفؤًا لحمل القرآن.

المطلب الثالث: تنزيه الله لرسوله ﷺ عن وصفهم له بالافتراء والكذب.

المطلب الرابع: إبطال رد اليهود للقرآن بزعم عداوة جبريل ﷺ.

المطلب الأول

رد اتهامهم النبي ﷺ بالسحر أو الجنون أو الكهانة

وصف المكذبون القرآن والرسول ﷺ بهذه الأوصاف وغيرها؛ ليتوصلوا بذلك للطعن في القرآن، وقد جاءت الآيات لتنفي ذلك عن القرآن في بعض المواضع، وتنفيه عن الرسول ﷺ في مواضع أخرى.

وقد سبق الحديث عن رد الآيات على وصفهم القرآن بالسحر، وتبين كيف رأوا أن هذه الصفة أجود ما في كنانة الكذب والافتراء لديهم.

أمَّا رد وصف بعضهم للرسول ﷺ بالجنون، فقد جاء في مواضع بـ (بل) الإضرابية التي تفيد انصراف القول أو الحكم إلى ما يأتي بعدها[1]، قال الأمين الشنقيطي: «ويصح أن تكون جامعة بين الإضراب والإنكار: وهذا هو الأكثر في معناها»[2]. جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات: ٣٦ ـ ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون: ٧٠].

هذه الآيات الكريمة تبين أنَّ الرسول ﷺ ليس به شيء من الجنون؛ بل حقيقة الأمر أنَّ ما جاء به هو الحق، مصدقًا في ذلك الحق الذي جاء به إخوانه من المرسلين قبله، كما أنَّ هؤلاء المكذبين لا يريدون الحق وأكثرهم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٨٩).

(٢) أضواء البيان (٥/ ٣٤٠)، بتصرف.

للحق كارهون، ولو أرادوه لعلموا أن الرسول ﷺ مُحِقٌّ ليس بمجنون.

وفي (سورة سبأ) دعت الآيات الكريمة ـ بعد إيرادها لحجج متتالية ـ أصحاب هذه الفرية وغيرها إلى أن يخرجوا من بيئتهم التي ألفوها، والقائمة على التكذيب والعناد وإلغاء العقل، هذه البيئة التي تحجبهم عن الحق معرفةً واتباعًا، دعتهم الآيات أن يخرجوا من مثل هكذا بيئة؛ ليخرجوا بأنفسهم إلى بيئة جديدة من التعقل والتفكير المنصف.

يقول ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦].

﴿أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾، قال قتادة: «فهذه واحدة وَعَظَهُمْ بها»[(١)]. وقال مجاهد: «يعني بِطَاعَةِ اللهِ»[(٢)]. وقيل: «وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى»[(٣)].

قلت: المعنى يشمل القول الأخير وقول قتادة، فيقول الله ﷻ إنما أعظكم موعظة واحدة، كافية في هدايتكم لو استجبتم لها؛ حيث يتبين لكم باطل تلك الافتراءات على القرآن والرسول ﷺ، هذه الموعظة أن تقوموا نصحًا لله، قيامًا متجردًا عن الهوى، مخرجًا عن بيئة التكذيب والعناد، وأجواء المصالح الدنيئة والنفاق، قيامًا بأحوال مختلفة، ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾؛ «أي: واحدًا واثنين»[(٤)]، يراجع بعضكم بعضًا، ليستفيد المتحدثون من منطق العقل، ويستشربون من رحيق الحق، عندما يغيب عنهم في هذه الحال هاجس الهوى.

---

(١) تفسير عبد الرزاق: تفسير سورة سبأ (٣/ ٦٥)، رقم: (٢٤٢٦).
(٢) تفسير مجاهد (ص٥٥٦).
(٣) جامع البيان (٢٠/ ٤١٨).
(٤) المرجع السابق (٢٠/ ٤١٨)، وتفسير مجاهد (ص٥٥٦).

قال الطبري: «يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة: هل علمتم بمحمد ﷺ جنونًا قطُّ؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فردًا هل كان ذلك به؟ فتعلموا حينئذٍ أنَّه نذير لكم»(١).

ثم ختمت الآيات ببيان أهمية الأمر، وأنَّ معرفة القرآن وأحقيته، والرسول ﷺ وصدقيته، هو الطريق الوحيد للنجاة من عذاب الله، فإنَّ الرسول ﷺ نذير عذاب وشيك لمن لم يسلك هذا الطريق ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦].

وتنصرف الآيات تارة أخرى فتخاطب الرسول ﷺ مسلية ومثبتة له، ومبينة أنَّه منزه عن تلك الافتراءات، فيقول تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم: ١ ـ ٢]، وقال ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور: ٢٩].

قوله تعالى في الآيتين السابقتين: ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ إضافة تشعر بالقربى والمحبة؛ أي: فلست يا محمد ولله الحمد، وقد أنعم الله عليك بنعمة النبوة والرسالة، واصطفاك وهيأك لذلك بما خصك به من أسباب التمام، وصفات الكمال من رجاحة العقل وعلو الهمة وكرم الفعال، وطهارة الأخلاق، لست أنت بالمجنون فيكون ما صدر منك هو الهذيان.

بل هو القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، ولست كاهنًا فتخترق كلامًا من علم المغيبات مخالفًا للواقع والحقيقة؛ بل هو رسول صادق جاء بالصدق والحق المبين من ربه ﷻ(٢).

❁ ❁ ❁

(١) جامع البيان (٢٠/ ٤١٨).

(٢) انظر: نظم الدرر (١٩/ ٢١)، وتفسير القرآن، لابن كثير (٧/ ٤٣٦)، (٨/ ١٨٨).

المطلب الثاني

رد زعمهم أنَّ النبي ﷺ ليس كفؤًا لحمل القرآن

استخدم المكذبون أسلوب الطعن في النبي ﷺ وكُفئيته لحمل القرآن، لعلمهم أن الطعن في الرسول ﷺ طعن في القرآن، مع أنَّ صدقية الرسول ﷺ متقررة عندهم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

وبالرغم من ذلك زعموا أنَّ الرسول ﷺ ليس كفؤًا لحمل القرآن أو أن ينزل عليه، وهم بذلك يقيسون الكفئية بالمقاييس المادية، وهي مقاييس ضعفاء الأنفس في كل الأزمان، فالكفؤ عندهم صاحب المال الوافر، والجاه الزاخر، والسلطان القاهر.

وليس هذا الميزان هو ميزان الله، ولا هذا القياس قياس الأنبياء والصالحين؛ بل المقياس عند الله وأوليائه مقياس التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]، روى عبد الرزاق عن قتادة في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ قال: «فالرجل: الوليد بن المغيرة»، قال: «لو كان ما يقول محمد حقًّا أنزل عليَّ القرآن أو على أبي مسعود الثقفي، والقريتان: الطائف ومكة، وأبو مسعود الثقفي من الطائف واسمه

عروة بن مسعود[(١)]»[(٢)].

هذه مقالتهم عظموا أنفسهم فيها بغرور، واستنكروا أن يكون شرف الرسالة لرجل من أوساطهم، وهم أكثر مالًا وولدًا، فكيف جاوزهم هذا الشرف إليه؟ فقالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨]، وقد ألفوا دائمًا أن ينظروا إلى غيرهم نظرة الدونية والاحتقار.

وبمثل مقالة المشركين هذه كانت الحال عند اليهود؛ إذ لم يستسيغوا الإيمان بالقرآن ولم تصغ إليه أفئدتهم؛ لأنَّه نزل على رسول عربي، ولم ينزل على بني جنسهم من اليهود، ولو كان ذلك لآمنوا، قال تعالى عنهم: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٠].

أمَّا رد الآيات الكريمة على طعنهم في كفئية الرسول ﷺ لحمل القرآن فيمكن تلخيصها فيما يلي:

(١) **أمر الرسالة والنبوة بيد الله وحده**: ليس لأحد غيره قدرة في الاختيار أو الاصطفاء، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

قال مكي بن أبي طالب: «يخلق ما يريد، ويختار الرسل، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾؛ أي: ليس يرسل الرسل باختيارهم؛ أي:

---

(١) عروة بن مسعود بن معتب، أسلم بعد انصراف الرسول ﷺ من الطائف، وطلب من الرسول ﷺ أن يأذن له في دعوة قومه وكان فيهم محبب، فقال له: إنهم قاتِلوك، فقال: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبصارهم، فقتلوه بعد مقفله من حنين. انظر: الاستيعاب (٣/ ١٠٦٦)، ومعرفة الصحابة، لأبي نعيم (٤/ ٢١٨٨)، وأسد الغابة (٣/ ٥٢٨).

(٢) تفسير عبد الرزاق: تفسير سورة الزخرف (٣/ ١٦٨)، رقم: (٢٧٦٢).

باختيار المشركين»[(١)(٢)].

وقررت الآيات هذا المعنى بالاستفهام المقترن بالإنكار والتوبيخ، في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ [ص: ٩ ـ ١٠]، ردًّا على قولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨].

(٢) **إبطال مقياس التفضيل المادي**: حيث أوضحت الآيات الكريمة أنَّ كثرة المال والدنيا ليست مقياس الأفضلية كما ظنه المشركون، بل قد تكون الدنيا مبسوطة للكافر؛ فتنة له، ويعطي الله من الدنيا من شاء، برًّا كان أو فاجرًا، كما قال ﷻ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠﴾ [الإسراء: ٢٠].

بل لولا رحمة الله بعباده أن يغتروا بالدنيا ويؤثرونها على الآخرة، لجعل الدنيا مبسوطة لمن يكفر، مضيقة محبوسة عن المؤمن: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٣٥﴾ [الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥].

وبيَّنت الآيات أنَّ رحمته من النبوة والهداية والقرآن، خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الفاني، فقال ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨]، وقال: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/ ٥٥٦٣).

(٢) **قلت**: هو تفسير للفظ ببعض معناه، وإلا: فمعنى يختار أعم من ذلك، حيث يشمل اختياره من شاء للإيمان أو الكفر، واختياره من شاء للجنة أو النار، والطاعة أو المعصية. انظر: نظم الدرر (١٤/ ٣٣٩).

(٣) بيان أنَّ اختيار الأنبياء إنَّما هو بعلم الله الواسع، الموافق للصواب والحق دائمًا، وما كان لمن قصر علمه، وعظم جهله، وظهر عجزه، أن يعارض علم الله الخبير بعباده، العليم بأحوالهم وسرائرهم وظواهرهم.

قال الماوردي في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]: «قصد بذلك **أمرين**:

أحدهما: تفرد الله تعالى بعلم المصلحة فيمن يستحق الرسالة.

والثاني: الرد عليهم في سؤال ما لا يستحقونه، والمنع مما لا يجوز أن يسألوه»[١].

❁ ❁ ❁

(١) النكت والعيون (٢/ ١٦٤).

المطلب الثالث

تنزيه الله لرسوله عن وصفهم له بالافتراء والكذب

كان صدق الرسول ﷺ ظاهرًا لمن سمع منه أو جالسه؛ بل قبل بعثته وهو متصف بهذه الصفة، حتى لقبه قومه بالصادق الأمين[(١)]، وقد أحبوه ﷺ، لذلك كان يسارع من ليس في قلبه هوى إلى تصديقه فور سماعه.

أخرج الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل[(٢)] الناس إليه وقيل: قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ عرفت أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام**[(٣)]»[(٤)].

---

(١) انظر: حوار أبي سفيان مع هرقل قبل أن يسلم وفيه سأله هرقل: «فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا». أخرجه البخاري كتاب الوحي، باب: بدء الوحي، رقم: (٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر أيضًا: قصة الحجر الأسود سيرة ابن هشام (١/ ١٩٧)، والبداية والنهاية (٢/ ٣٦٦)، وغيرها من القصص التي تدل على شهادتهم له بالصدق، وعدم اتهامهم قبل له بالكذب.

(٢) سبق بيان معنى: «انجفل» [صفحة (٢٥٦)، من هذه الرسالة].

(٣) «تدخلون الجنة بسلام»: أي: آمنين من العذاب، مسلمين من الآلام والتعب والمشقة قبل دخولها، إذا أنتم فعلتم ذلك. انظر: تحفة الأحوذي (٧/ ١٥٨)، ودليل الفالحين (٦/ ٦٣٦)، ومرعاة المفاتيح (٦/ ٣٤٢).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: صفة القيامة، باب: بدون عنوان (٤/ ٦٥٢)، =

صدقه ﷺ كان متقررًا حتى عند المكذبين، لكن هوى رد آيات الله، والإلحاح والإصرار على الكفر هو سبب الجحد والتكذيب، يقول جل شأنه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

قال ابن قتيبة: «يريد: أنَّهم كانوا لا ينسبونك إلى الكذب ولا يعرفونك به، فلمَّا جئتهم بآيات الله، جحدوها، وهم يعلمون أنَّك صادق.

والجحد يكون ممن علم الشيء فأنكره، لقول الله ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤]»[(١)].

وردت الآيات الكريمة أيضًا رميهم الرسول بالافتراء والكذب بما يلي:

(١) بيَّنت الآيات أنَّ افتراء الرسول شيئًا زيادة أو نقصان في القرآن أمرًا مستحيلًا؛ لأنَّ الله ﷻ عصم كتابه ونبيه عن ذلك[(٢)].

(٢) رهبت الآيات من مغبة استمرارهم في التكذيب، وخوَّفتهم عاقبة ذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا

= رقم: (٢٤٨٥). ورواه ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب: إطعام الطعام، رقم: (٣٢٥١)، عن عبد الله بن سلام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٥٠) رقم: (٦١٦).

(١) تأويل مشكل القرآن (١/ ١٩٥).

(٢) سبق الحديث عن عصمة التلقي والتبليغ بما يغني عن إعادته [صفحة (٥٨) وما بعدها].

مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [سبأ: ٨ ـ ٩]؛ أي: ليعلم المكذبون أنهم قد أحيطوا بسماء الله وأرضه، من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ليرتدعوا عن جهلهم واستمرارهم في التكذيب، حذرًا أن يأمر الله أرضه فتخسف بهم، أو يأمر سماءه فتسقط عليهم قطعًا، فإنَّ الله ﷻ إذا شاء ذلك كان[١].

(٣) أمر الله نبيّه أن يبيّن لهم أنَّه متبع ما يوحى إليه من ربه، لا يجاوز ذلك إلى غيره، فعندما يسألون الرسول ﷺ عن شيء فلا يجيبهم منتظرًا الوحي، يتهكمون قائلين ﴿لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]؛ أي: اختلقتها رميًا منهم الرسول ﷺ بالكذب والافتراء، فيكون الرد: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، ونظير هذه الآية عدد من الآيات[٢].

(٤) «رد الله عليهم ذلك بأنَّ هذا مكابرة منهم وإقدام على الظلم والزور، الذي لا يمكن أن يدخل عقل أحد وهم أشد الناس معرفة بحالة الرسول ﷺ وكمال صدقه وأمانته وبره التام وأنَّه لا يمكنه، لا هو ولا سائر الخلق أن يأتوا بهذا القرآن الذي هو أجل الكلام وأعلاه»[٣].

(٥) يبقى التحدي أن يأتوا بمثل القرآن أو بعضه ردًّا في كل رد، وعلى كل افتراء وشبهة؛ لذلك قال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨]، وواقع التحدي مستمرًّا في كل المكذبين وفي كل الأعصار والأزمان،

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٠/ ٣٥٥).

(٢) [سبق الحديث عن رد وصفهم للرسول ﷺ بالشاعر والساحر والمجنون، وله صلة بهذا المطلب فليراجع. صفحة (٣٧٦) وما بعدها، من هذه الرسالة].

(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٥٧٨).

فمكذِّبو زماننا أيضًا محاققون بذات التحدي، «فإذا كان الرسول ﷺ قد استطاع (بزعمهم) أن يأتي بالقرآن الكريم، لاطلاعه العهدين، واستعانته بقوم في إنجاز مهمته هذه؛ فالكتب الثلاثة موجودة، والعصر عصر علم، وتمدن، وتحضر، والجامعات أكثر من أن تحصى، فليتعاون القائلون بهذا كلهم، وليستعينوا بمن يريدوا الاستعانة به، وليعكفوا على دراسة هذه الكتب، وتفسيرها، وكل ما كتب عنها، وليأتوا بمثل ما جاء به الرسول ﷺ نتيجة الاطلاع الذي قالوا به؛ فإن استطاعوا أن يأتوا بشيء من مثل ما جاء به، حق لهم أن يقولوا هذا الرأي، وإلا بطلت دعواهم لظهور عجزهم مع توسلهم بما زعموا أن الرسول ﷺ كان قد توسل به؛ من الاطلاع والاستعانة»[1].

(٦) لفتت الآيات عقولهم إلى الأدلة العقلية من واقع الحال، وما احتف به المقال من الدلائل الشاهدة بصدق رسول الله ﷺ وأنَّ القرآن منفصلًا عن ذاته، إذ يثبت ذلك قرائن الحال والواقع، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

قال القصاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الآية دليل على أنَّ النبي ﷺ لم يدرس الكتب المنزلة قبله، ولا كان كاتبًا، وأنَّ معنى الأمي فيه أنه لا يكتب ولا يحسب ليكون ذلك أتم في آيات نبوته، ولتنقطع حجة المبطلين عليه

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض (ص٤٢٥).

(٢) أبو أحمد، محمد بن علي بن محمد الكَرَجِيُّ، عُرف بِالقَصَّابِ لكثرة ما قتل في مغازيه، له عدد من المصنفات منها: (ثوَاب الأَعمَالِ)، وَكِتَابَ (عقَاب الأَعمَالِ)، وَكِتَاب (السُّنَّةِ)، وَكِتَاب (تَأديب الأَئِمَّةِ)، وغيرها. عاش إلى حدود ٣٦٠هـ. انظر: السير، للذهبي (١٦/ ٢١٣)، وطبقات الحفاظ (ص ٣٨٠)، ومعجم المؤلفين (١١/ ٥٩).

بأن يقولوا: حفظ هذا الكتاب من كتاب قبله، أو انتسخه»[١].

وكان في ذلك دليل لأهل الكتاب خاصة بصدق نبوته ﷺ، قال مجاهد: «كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدًا لَا يَخُطُّ بِيَمِينِهِ ولا يقرأ كتابًا فنزلت هذه الآية»[٢].

فلفت أنظارهم إلى واقع الحال الشاهد بصدق النبي والقرآن؛ فالنبي ﷺ أمي لا يكتب ولا يقرأ حتى يستنسخه أو يقرأه من كتاب قبله، ولم يكن من قبل يتلو عليهم شيئًا منه.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦].

قال مكي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾؛ أي: قد كنت فيكم أربعين سنة قبل أن ينزل عليّ القرآن فلم أتل عليكم شيئًا، ولو كنت منتحلًا ما ليس لي بحق من القول، كنت قد انتحلته أيام شبابي وحداثتي قبل الوقت الذي تلوت فيه عليكم هذا القرآن»[٣]، وعقب ذلك بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾؛ «أي: أفلا تستعملون عقلوكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله»[٤].

هذه الأدلة العقلية وغيرها في القرآن، جاءت بالرد على أحكمه وأجوده؛ فهي قوية الحجة، بالغة في المحجة، واضحة في دليلها ومدلولها[٥].

---

(١) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (٣/ ٥٩١).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣٠٧١)، رقم: (١٧٣٧٠).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٥/ ٣٢٣٤).
(٤) أنوار التنزيل (٣/ ١٠٨).
(٥) قال ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨): «ما عليه سلف =

لفتت الآيات الأنظار إلى مخالفة الحال والواقع الذي عليه القرآن والرسول ﷺ لمزاعم المشركين، والآيات بذلك تقيم الحجة دامغة على المتمادين في التكذيب.

والقرآن إذن صريح في أنَّه لا صنعة فيه لمحمد ﷺ ولا لأحد من الخلق، وصريح أيضًا أنّ القرآن الكريم منفصل عن ذات محمد ﷺ؛ بحيث يكون مهمته فيه التبليغ والبيان، وليس له ولا لغيره أن يأتي بحرف غير حرفه، أو كلم غير كلامه؛ لأنَّ ذلك ممنوع منه الخلق؛ ولأنَّ القرآن العظيم معصوم بعصمة الله(١).

وما صرح به القرآن المجيد من ذلك شهد به الحال والواقع في حياة الرسول ﷺ ابتداء من الصفات النبيلة والأخلاق الكريمة التي اتصف به الرسول ﷺ حتى لم يعرفوه إلا صادقًا أمينًا، برًّا كريمًا، بحال يعرفونها منه، ملازمة له، هذه الحال لتنفي عنه ما وصفوه بعد ذلك ـ عنادًا ـ بالكذب والافتراء.

وها هو ﷺ تنزل به نوازل وأمور ملمة، من شأنها أن تحفزه إلى القول، وتدعوه إلى أن يتكلم، ولو كان الأمر إليه والقرآن من قوله لسارع إلى الإتيان بها لحاجته الملحة والعاجلة إليها، لكن تمر الأيام وقد لبث الوحي فلا يأتي بشيء من ذلك.

لقد اتهم المنافقون زوجه عائشة رضي الله عنها، وهي أحب نسائه إلى قلبه،

= الأمة، أهل العلم والإيمان، من أنَّ الله ﷻ بيَّن من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء (أي: المتكلمين) قدره، ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه».

(١) انظر: النبأ العظيم (ص٥٠).

اتهموها في طهرها وعفَّتها، ويبطىء الوحي، ويثقل ذلك على الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وكلما مر يوم ازداد الإفك انتشارًا ويستمر المنافقون في بثه وترويجه، وطال لبث الوحي شهرًا كاملًا والرسول ﷺ لا يملك إلا أن يقول لها: «**يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»(١).

وظل بهذه الحال إلى أن نزل الوحي، وما الذي كان يمنعه لو أن القرآن كلامه، أن يفصل في القضية، ويقطع ألسنة الأفاكين والمتخرِّصين ويحمي بذلك عرضه، وهذا يشهد بكونه لا يقول إلا ما أمر بتبليغه، ولا يأتي بشيء من تلقاء نفسه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ ـ ٤](٢).

وهكذا تجد تارة أخرى القرآن يخاطب الرسول ﷺ خطاب العتاب، ويوجهه بفعل معين كان قد فعل غيره.

ومن أمثلة ذلك لما أمر الرسول ﷺ أن يتزوج أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، بعد أن طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه، فأخفى الرسول ﷺ ذلك وخشي أن يقال: تزوج زوجة ابنه، وكان قد تبنى زيدًا وأبطل القرآن التبني، ليأتي العتاب بعد ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا (٣/ ١٧٣)، رقم: (٢٦٦١)، ومسلم: كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك (٤/ ٢١٢٩) حديث رقم: (٢٧٧٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: النبأ العظيم (ص٥٣)، ومباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص٣٩).

نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧][(١)].

وعندما حرم على نفسه العسل إرضاء لبعض أزواجه، عاتبه ربه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [التحريم: ١][(٢)].

وعندما استأذن منه جماعة في التخلف عن غزوة تبوك، وأبدوا أعذارًا، وكان منهم منافقون تذرعوا بأعذار كاذبة، فيأذن لهم رسول الله ﷺ، تأتي الآيات معاتبة له مبينة له الصواب في الأمر، فيقول تعالى: «﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣][(٣)].

وفي أسارى بدر وقد أخذ عنهم الفدية وأطلق أسرهم مجتهدًا في ذلك رأيه، بعد أن استشار أصحابه، فبين مغلِّظ القول فيهم وبين ليِّن؛ فيختار ألين القولين وهو الفدية وإطلاق الأسرى، ليعقب ذلك مباشرة نزول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧]، فيبكي ﷺ ويبكي الصحابة رضي الله عنهم خوفًا من الله تعالى، وإجلالًا لعتابه، وخشية من عقابه[(٤)].

---

(١) انظر سبب النزول في: صحيح البخاري: كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ (٦/ ١١٧)، رقم: (٤٧٨٧)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر سبب النزول في صحيح البخاري: كتاب: الطلاق، باب: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ (٧/ ٤٤)، رقم: (٥٢٦٧)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: جامع البيان (١٤/ ٢٧٢).

(٤) انظر سبب النزول في: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب: التفسير، تفسير سورة الأنفال (٢/ ٣٥٩) رقم: (٣٢٧٠)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص١٠٣).

ولما أقبل عليه ابن أم مكتوم رضي الله عنه يقول: «يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ المُشْرِكِينَ، **فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ**»(١)، عاتبه ربه عز وجل فقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ [عبس: ١ ـ ٧].

كل ذلك شاهد على أنَّه مخاطب من ربه بالقرآن، وأنَّ ليس له فيه تصرف أو تقوُّل، ولو تقوَّله لما أتى بعتاب نفسه، لكن حده من ذلك الرسالة والتبليغ(٢).

(٧) ردت الآيات دعاوى المكذبين تلقِّي الرسول ﷺ القرآن من معلم من البشر، وسبق الحديث عنه فليراجع(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب: التفسير، بَاب: وَمِنْ سُورَةِ عَبَسَ (٥/ ١٩٩)، رقم: (٣٣٣١)، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: النبأ العظيم (ص٥٤)، ومناهل العرفان (١/ ٨٧)، ومباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص٣٩).

(٣) [انظر صفحة ٣٧٠ وما بعدها، من هذه الرسالة].

المطلب الرابع

إبطال رد اليهود للقرآن بزعم عداوة جبريل ﷺ

لا يزال الطعن في رسل القرآن هو أكثر وسائل الطعن في القرآن لدى المكذبين، وكما أثار المشركون عدم رضاهم عن الرسول ﷺ، وزعموا أن لو نزل على رجل آخر عظيم، من رجالات مكة والطائف لاتبعوه وآمنوا بالقرآن، وقد سبق بيانه عند الحديث عن قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١][(١)].

هكذا تتشابه أفكار أهل الضلال من اليهود والنصارى، والمشركين، ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]، لكن هذه المرة أثار هذا التساؤل اليهود بشكل آخر، حيث قالوا للنبي ﷺ: «**مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: جِبْرِيل، قَالُوا: ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَبِالْقِتَالِ، ذَاكَ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ مِيكَائِيلُ الذي ينزل بالمطر والرحمة اتبعناك**»[(٢)].

كان ذلك من اليهود حماقة تدعو للعجب؛ فمن يصدق مثل هذه القصة الواهية، والكذبة الواضحة، كل ذلك ليقولوا للرسول ﷺ: لن نؤمن بك لأجل صاحبك، أليس صاحبه جبريل رسول من عند الله تعالى؟!

---

(١) [انظر صفحة ٣٧٩، من هذه الرسالة].

(٢) انظر: أسباب النزول، للواحدي (ص٢٩)، والعجاب في بيان الأسباب، لابن حجر (١/ ٢٩٠)، ولباب النقول، للسيوطي (١/ ١٢)، وهو جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند، مسند ابن عباس رضي الله عنهما (٤/ ٣١٢)، والطبراني في المعجم الكبير، مرويات سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٢/ ٤٥)، والحديث حسن بشواهده.

ثم هو عليه السلام لم يكن ليعمل شيئًا من عند نفسه؛ بل بأمر الله تعالى لا يجاوزه أو يتعداه، ولكن كامل الانقياد والخضوع لأمر الله تعالى شأنه شأن سائر الملائكة، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧]، فما بالهم يعادون جبريل والحالة هذه؟! ولأجل ذلك كانت عداوتهم لجبريل عداوة لله تعالى.

أمَّا رد الآيات على هذا التعنت اليهودي فيمكن إجماله في **أمرين**:

الأول: نزول جبريل عليه السلام بالقرآن ليس من تلقاء نفسه، بل هو بإذن الله تعالى؛ فلا يجوز إذن الاعتراض على ذلك؛ لأنَّه اعتراض على ما أذن الله عز وجل به: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]. ومن يطلب رضاء الله لا يعارِض أمره وما أراده.

قال شهاب الدين الخفاجي المصري[(١)]: «أصل معنى الإذن في الشيء الإعلام بإجازته والرخصة فيه، وإذا أسند إلى الله قد يراد أمره وإرادته لقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِم شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠]، وكذا: تيسيره، وقيل: إنّ إذن الله يكون بمعنى علمه أيضًا وكلها معان.. العلاقة فيها ظاهرة»[(٢)].

الثاني: عداوة جبريل عليه السلام، أو أي من رسل الله من الملائكة أو البشر تستوجب كفر صاحبها، وتصير به إلى عداوة الله تعالى؛ لذلك قال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

---

(١) أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، قاضي القضاة، نسبته إلى قبيلة خفاجة، له تصانيف في الأدب واللغة وغيرها، منها: «ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا»، «طراز المجالس»، و«شفاء العليل»، له ديوان شعر مشهور، توفي سنة ٤٦٦هـ. انظر: ديوان الإسلام (٢/ ٢٢٨)، وخلاصة الأثر (١/ ٣٣١).

(٢) عناية القاضي (٢/ ٢١١).

لقد زعم اليهود إيمانهم بالله وكفرهم برسله لعداوتهم لجبريل، فأبان الله تعالى أن التفريق بين الله ورسله ليس إيمانًا بل هو عين الكفر.

قال القرطبي: «فنص سبحانه على أنَّ التفريق بين الله ورسله كفر؛ أي: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠]، وإنَّما كان كفرًا؛ لأنَّ الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل؛ فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية. وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر»[١].

ما سبق كان استعراضًا للشبه المثارة ضد القرآن، ورسوليه الملكي والبشري، التي ذكرها القرآن وبيَّن باطلها.

ومما ينبغي العلم به أنَّ تلك الشبه والافتراءات منذ نزول القرآن وحتى زماننا الحاضر بعضها من بعض.

إلا أنَّ شبه الزمان المتأخر كشبه المستشرقين والزنادقة المعاصرين لبست العبارة الفلسفية؛ حيث تدعي محاكاة العقل، والتأصيل العلمي، وما هي إلا جهالات لو سبرها الحاذق[٢] وجدها قد خرجت من أكمام تلك الشبه والافتراءات القديمة التي دمغها القرآن، لكن ما يهم التنبيه عليه هو أن رد الشبه والافتراءات عن القرآن جهاد في سبيل الله، وهو منهج قرآني كما هو واضح في الآيات الكريمة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٥).

(٢) الحاذق: «الْمَاهِرُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَحْذِقُ الْأَمْرَ يَقْطَعُهُ لَا يَدَعُ فِيهِ مُتَعَلَّقًا». مقاييس اللغة، مادة: (حذق) (٢/ ٣٨).

الفصل السابع

ثمرات حفظ القرآن

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يقينية القرآن.

المبحث الثاني: خلود القرآن هداية للعالمين.

المبحث الثالث: عظمة القرآن وعلو مكانته.

مدخل

سبق الحديث عمَّا عُني به القرآن الكريم من الحفظ العظيم، واستعراض الآيات التي قررت ذلك الحفظ من جوانب متعددة لتعطي مجتمعة منظومة كاملة وتامة من الحفظ الذي لم يحدث لشيء في الحياة الدنيا لغير القرآن الكريم.

هذا الحفظ التام نتج عنه ثمرات كريمة ومقصودة، هي غاية ذلك الحفظ، وكان القرآن لأجلها أعظم الكتب وأشرفها وأعلاها، متفردًا بما اختص به من الحفظ والخلود والإعجاز.

ثمرات حفظ الله القرآن الكريم تجلَّت في يقينيته وعظمته وخلوده، وكل ذلك له أثره في رحمته بالخلق، وإرادته لهم الخير والهداية؛ إذ منَّ عليهم بتخليد ما فيه هدايتهم، وجعل أصل دينهم ما لا شك فيه ولا ريب.

هذه الثمرات الجليلة لم تغفلها الآيات الكريمة، وفيما يلي دراسة لحديث القرآن عن ثمرات حفظه وصونه.

المبحث الأول

يقينية القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يقينية القرآن أعلى مراتب اليقين.

المطلب الثاني: تنزيهه عن الشك والريب.

المطلب الثالث: شهادة الله وملائكته بحفظ القرآن.

المطلب الأول

يقينية القرآن أعلى مراتب اليقين

تعريف اليقين:

اليقين في اللغة: أصله من مادة يقن، والْيَقَنُ وَالْيَقِينُ: زَوَالُ الشَّكِّ، وهو العلم الذي لا شك معه[١].

أمَّا في الاصطلاح فعرَّفه الجرجاني بقوله: «اعتقاد الشيء بأنَّه كذا، مع اعتقاد أنَّه لا يمكن إلا كذا، مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال، والقيد الأول: جنس يشتمل على الظن أيضًا، والثاني: يُخرج الظن، والثالث: يُخرج الجهل، والرابع: يُخرج اعتقاد المقلد المصيب»[٢].

تعريف يقينية القرآن:

وبناء على التعريف العلمي السابق لليقين، يمكن أن نعرف **يقينية القرآن أنَّها: الاعتقاد الجازم بأنَّ القرآن حُفِظَ حفظًا مستمرًّا فكان لذلك صدقًا محضًا وحقًّا لا شك فيه، ولا يمكن إلا أن يكون كذلك؛ بحيث يستحيل اختلال حفظه أو صدقه أو حقه بأي حال من الأحوال.**

وتحدَّثت الآيات الكريمة عن يقينية القرآن في المسارات التالية:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة: (يقن) (٦/ ١٥٧)، والتعريفات، للجرجاني (ص٢٥٩).

(٢) التعريفات، للجرجاني (ص٢٥٩).

يقينية القرآن أعلى مراتب اليقين:

مراتب اليقين ثلاثة، كل مرتبة منها أعلى مما قبلها:

المرتبة الأولى: علم اليقين: وهو العلم المستفاد من الخبر.

المرتبة الثانية: عين اليقين: وهو العلم المدرك بحاسة البصر.

المرتبة الثالثة: حق اليقين: وهو العلم المدرك بالذوق والمباشرة[1].

وردت هذه المراتب الثلاث في القرآن الكريم، فعلم اليقين في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ [التكاثر: ٥]، وعين اليقين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٧]، وحق اليقين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١﴾ [الحاقة: ٥١].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ علم اليقين وهو أقل تلك المراتب الثلاث ليس فيه أقل نسبة من الشك؛ فكيف بعين اليقين، وحق اليقين؟

ولبيان ذلك نضرب مثالًا، (العلم بوجود الكعبة)؛ فالخبر المتواتر بوجود الكعبة المشرفة، بمكة المكرمة، يفيد من لم ير مكة ولم يزر الكعبة علم اليقين، أمَّا إذا زار مكة ورآها بعينه صار عنده عين اليقين، وإذا لمسها وطاف بها صار عنده حق اليقين في ذلك.

مما سبق اتضحت المراتب، وتبين أنَّ أعلاها هو حق اليقين، وهي المرتبة التي وصف الله تعالى بها كتابه الكريم، في موضعين في القرآن الكريم هي كما يلي:

الموضع الأول: في آخر (سورة الحاقة) وبعد أن بيَّنت الآيات أنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، وتنزيهه أن يكون من كلام الشعراء أو

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٨٩٢)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٦٤٥).

الكهان، وحماية الله تعالى له من أي دخيل من باطل الأقاويل، جاءت هذه الآية متوجة الكلام السابق[١]، فيقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١﴾ [الحاقة: ٥١].

(وإنَّه) عطفًا على جواب القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٣٩]، ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١﴾؛ أي: أعلى مراتب اليقين، فليس مجرد اليقين ولكنَّه الحق في هذا اليقين، وهو محض اليقين وخالصه، وهو كلام الله تعالى كل ما فيه صدق ليس فيه أدنى نسبة من شك، قال الزجاج: «المعنى: أنَّ القُرآن لليقين حق اليقين»[٢].

الموضع الثاني: آخر سورة الواقعة، وبعد أن بيَّن الله تعالى بكلام مؤيد بالقسم المعظم، أنَّ القرآن محفوظ، في السماء في اللوح المحفوظ، لا يمسه إلا الملائكة المطهرون من الذنوب والنجاسات، آمرًا أمرًا ضمنيًّا بتكريم القرآن وحفظه[٣]، بعد ذلك العرض من حفظ القرآن وتكريمه، ختمت الآيات الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ [الواقعة: ٩٥ ـ ٩٦]؛ أَيْ: هَذَا الَّذِي قَصَصْنَاهُ من الآيات هو أعلى اليقين ومحضه وخالصه[٤].

من لم يستيقن ما جاء به القرآن في الدنيا، استيقنه يوم القيامة، يقول قتادة ـ بعد أن قرأ هذه الآيات ـ: «إنَّ الله تعالى ليس تاركًا أحدًا

---

(١) [سبق الحديث عن هذه الآيات، صفحة (٦٠) وما بعدها].

(٢) معاني القرآن، للزجاج (٥/ ٢١٨)، وانظر: الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٩٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٢١٩).

(٣) [سبق الحديث عن هذه الآيات صفحة ٣٥، ٢٨٩].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧/ ٢٣٤).

من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن. فأمَّا المؤمن فأيقن في الدنيا، فنفعه ذلك يوم القيامة. وأمَّا الكافر، فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه»[١].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٦٤)، بسند حسن.

المطلب الثاني

تنزيهه عن الشك والريب

تحدثت الآيات عن ذلك بثلاثة أساليب، كما يلي:

الأسلوب الأول: أسلوب النفي:

ورد نفي الريب عن القرآن في عدة مواضع في الكتاب العزيز، أول تلك المواضع بدايته القوية عقب فاتحته، وهو قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١ ـ ٢]، وفي هذا إشارة إلى أنَّ ما في هذا الكتاب يختلف عن غيره، فكل حرف فيه متقن الحفظ، ليس فيه أدنى شك أو ريب، الأمر الذي جعله عظيمًا، لذلك أشار إليه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ لقصد تعظيمه بالبعد، ذهابًا بالعقول والأسماع إلى بعد درجته؛ لعلو مقداره بجلالة آثاره، وبعده أن ينال قدره أو حفظه(١).

وبعد تفخيمه بالإشارة لعلو مكانته، نفى ﷻ عنه الريب فقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾؛ أي: لا شك فيه في أصله لوضوحه وسطوع برهانه؛ بحيث لا ينبغي لأحد أن يرتاب فيه(٢).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ٢ ـ ٣].

---

(١) انظر: نظم الدرر (١/ ٧٩)، والإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٤٩).

(٢) انظر: السراج المنير، للشربيني (١/ ١٦).

وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى فائدة مهمة **وهي**:

كيف نفى ﷻ الريب عن القرآن مع حصوله عند المكذبين؟

الجواب: أنَّ الله تعالى نفى الريب عن أصل القرآن؛ لوضوحه وسطوع دلائله وبرهانه وصفاء مصدره؛ بحيث لا ينبغي لأحد أن يشك فيه، ولم ينف حصول الريب عند المكذبين، لبعدهم عن هدايته وإدراك حقيقة حفظه الكامل الذي لا يعتريه الشك؛ لذلك خاطبهم بما يزيح الريب عنهم وهو التأمل في آياته، والاجتهاد في الإتيان بمثله أو بمثل بعض سوره، ليتبين لهم أنه لا ريب فيه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣][1].

الأسلوب الثاني: أسلوب التحدي:

من أساليب الآيات لرفع الشك عن القرآن تحديهم متفرقين أو مجتمعين، ومتضافرين ومتناصرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو طائفة منه، ففي الآية السابقة يقول لهم ما معناه: إذا كنتم في شك من القرآن فأتوا بسورة من مثل سوره، وإن عجزتم عن ذلك، والعجز في ذلك ملازم لكم؛ إذ لا قدرة لكم على أن تأتوا بشيء من مثله، فعليكم والحالة هذه أن لا تشكوا أو ترتابوا في صحته ويقينيته؛ إذ قد بدى لكم من عجزكم عن الإتيان بمثله أنَّه الحق.

وجمعت الآيات من سورة يونس بين أسلوبي النفي والتحدي: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا

---

(١) انظر: السراج المنير للشربيني (١/١٦).

بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٧ـ٣٨].

نفى الريب عن القرآن، ولفت أنظارهم إلى أنَّ عجزهم عن الإتيان بمثل سورة من سوره دليل يستدلون به على أنَّ القرآن حق لا ريب فيه؛ لأنَّه بتفصيلاته ودقائقه ولطائفه مفصَّل بما لا شك فيه من الله(١).

الأسلوب الثالث: أسلوب النهي:

ورد النهي عن الشك أو الريب في القرآن، مخاطبًا الرسول ﷺ والخطاب له، والأمة داخلة في خطابه، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٧]؛ أي: فلا تكونن من الشاكين، وورد النهي بهذا في أربعة مواضع من القرآن(٢).

لم يشك الرسول ﷺ في القرآن، بل كان على يقين منه، عن قتادة وسعيد بن جبير في قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤] قالا: «لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل»(٣).

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تَكُ في شَكٍّ من القرآن، وفيه تَعْرِيضٌ بغيره ﷺ؛ لِأَنَّهُ معصوم عن الشك في القرآن»(٤).

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٩٠)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٣٤).

(٢) [البقرة: ١٤٧]، و[آل عمران: ٦٠]، و[الأنعام: ١١٤]، و[يونس: ٩٤].

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، في تفسير سورة المائدة. انظر: التفسير من سنن سعيد بن منصور (٤/ ١٤٣٥)، حديث رقم: (١٠٧٦)، والطبري في جامع البيان (١٥/ ٢٠٢)، عن سعيد بن جبير، ورواه عبد الرزاق مرسلًا، مصنفه، كتاب: أهل الكتاب، باب: هل يسأل أهل الكتاب عن شيء؟ (٦/ ١٢٥)، رقم: (١٠٢١١).

(٤) فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٥٥٥).

فإن قيل: إذا كان الأمر كذلك، فلم نُهي الرسول ﷺ عن الشك في القرآن في هذه الآية وغيرها؟

الجواب: أنَّ هذا مما جرى عليه اللسان العربي في الخطاب، كقول الرجل منهم لابنه: «إن كنت ابني فبرَّني، وهو لا يشك في ابنه أنَّه ابنه، وأنَّ ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم. ومنه في القرآن قول الله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقد علم سبحانه وتعالى أنَّ عيسى لم يقل ذلك.

وهذا من ذلك، لم يكن ﷺ شاكًّا في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى عالم بيقين نبيه ﷺ[(١)].

والغرض من هذا الخطاب بهذه الطريقة، توليد القَبول والتنبيه على أسباب الطاعة.

وقيل: المخاطب الرسول ﷺ والمقصود أمته، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١][(٢)].

أمَّا فاتحة سورة الأعراف فبعد أن امتن الله تعالى على نبيه بإنزال القرآن، نهاه أن يشك فيه فقال: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [الأعراف: ١ ـ ٢]. قال قتادة ومجاهد: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: «لَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ شَكٌّ مِنْهُ»[(٣)].

لكن جاء النهي في هذه الآية بلفظ الحرج، والحرج من معانيه

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٤٥١).

(٣) تفسير عبد الرزاق، تفسير سورة الأعراف (٢/ ٧٤)، رقم: (٨٨٤)، بسند صحيح عن قتادة. انظر: الرواية عن مجاهد في تفسيره (ص٣٣٣).

الشك، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: ٦٥]؛ أي: شكًّا في أنَّ ما قضيته هو الحق. والحرج، وإن استخدم بمعنى الشك كما سبق، فإنَّ أصل معناه راجع إلى الضيق على أشده، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، والحرج أشد الضيق؛ لأنَّه ضيق لا منفذ فيه[1]، وعلى هذا فالشك في صدق القرآن وحفظه ضيق وحرج في الصدور، وهذه علاقة متأتية من الربط بين المعنى التفسيري واللغوي لمعنى الحرج؛ فتأمل.

ثم بالربط بين آيتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٦].

والثانية: قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩].

بالربط بينهما نجد أنَّ الصدور التي هي محل حفظ القرآن وتدبره، لا ينبغي أن يكون فيها شيء من الشك فيه.

بل يجب أن تكون تلك الصدود منشرحة مستيقنة ما حفظته وفهمته من تلك الآيات؛ لذلك تجد صدور الشاكين في القرآن، خالية منه حفظًا وفهمًا وتدبرًا، وصعب عليها حفظه وفهمه لما ضاقت حرجًا؛ فلم يجد القرآن إلى تلك الصدور الضيقة سبيلًا، وهذه لطيفة مهمة ظاهرة بتأمل الآيتين.

---

(١) انظر: الفروق اللغوية، للعسكري (ص٣٠٥)، ودرة الغواص في أوهام الخواص (ص٢٦٤).

ولذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يهيئ صدره باليقين ليكون قلبه وعاء حفظ وتدبر للقرآن الكريم، والخطاب له ولأمته، **وهذا وغيره من كمال عناية الحفظ التي عني بها القرآن الكريم، فإنَّ الله تعالى حفظه وحفظ محله**، كالمثال المذكور آنفًا، ومثل حفظه ﷻ للوح الذي حفظ فيه القرآن في السماء، كما وصفه بذلك فقال: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢٢].

۞ ۞ ۞

المطلب الثالث

شهادة الله ملائكته بحفظ القرآن

أوضحت الآيات الكريمة أيضًا يقينية القرآن الكريم في مسار ثالث وهو شهادة الله وملائكته بحفظ القرآن، فلمَّا تضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [النساء: ١٦٣]، إثبات نبوته ﷺ، وصدقه وصدق ما جاء به، ولما أمعن أهل الكتاب والمشركون في تكذيب الرسول والقرآن، وعدم انقيادهم للحق الذي جاء به، ونفيهم ليقين القرآن، قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ [النساء: ١٦٦][(١)].

﴿لَّٰكِنِ﴾، بالتخفيف تفيد الاستدراك[(٢)]، قال الزمخشري: «لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [النساء: ١٦٣]، قال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾، بمعنى: أنَّهم لا يشهدون لكن الله يشهد. وقيل: لما نزل ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ قالوا: ما نشهد لك بهذا، فنزل: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾»[(٣)].

• معنى شهادة الله وملائكته للقرآن:

شهادة الله للقرآن، إثباته لصحته بإظهار المعجزات، كما تثبت

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ١٤٧).

(٢) قال ابن زنجلة في حجة القراءات (ص١٠٩): «اعلم أن (لَكِن) كُله تَحْقِيق وَلَكِن بِالتَّخْفِيفِ كلمة اسْتِدْرَاك بعد نفي، تَقول: مَا جَاءَ عَمْرو، وَلَكِن زيد خرج».

(٣) الكشاف (١/ ٥٩٢).

الدعاوى بالبينات، وإثبات نبوة رسوله بما في القرآن من دلائل الحق والصدق، وصحة الأخبار، وموافقة الواقع، وقيل شهادة الله: الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين: الإقرار[١].

أمَّا شهادة الملائكة له فتعني شهادتهم أنَّه حق وصدق، وقيل: يشهدون على نزوله محفوظًا لم تطاله الشياطين: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١﴾ [الشعراء: ٢١١].

قال الزمخشري: «ويحتمل: أنَّه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة، والملائكة يشهدون بذلك، كما قال في آخر سورة الجنّ في قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ [الجن: ٢٨]، والإحاطة بمعنى العلم»[٢].

• وكفى بالله شهيدًا:

خُتمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ٧٩﴾؛ أي: اكتفوا به شهيدًا على صدق الرسول ﷺ وصحة ما جاء به من القرآن والحكمة، حسبكم تلك الشهادة؛ لأنَّها شهادة من يستوي عنده علم السر والعلانية، ولا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض[٣].

ولما كانت شهادة الله تعالى شهادة من وسع علمه كل شيء، علم بذلك أنَّها أعظم الشهادات وأصدقها.

قال الراغب: «أعظم الشهادة ما يقتضي علم المشهود عنده، فالشهادة من الناس قد لا توقع العلم، وشهادة الله إقامة البراهين المثلجة

---

(١) انظر: الوجيز، للواحدي (ص٣٠٢)، السراج المنير، للشربيني (١/ ٣٤٦).
(٢) الكشاف (١/ ٥٩٢).
(٣) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٥٣٦).

للصدور موقعة للعلم مزيلة للشك، فمن أعظم شهادته إتيانه لمعجزاته كالقرآن»[١].

ولبيان عظمة شهادة الله تعالى أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسألهم سؤالًا يذكرهم بعظمة شهادة الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وأمره أن يخبرهم أن ليس ثمة شهادة أعظم من شهادة الله؛ لأنَّ الله تعالى له كمال الصفات، وما سوى الله عباد يقصر علمهم، ولا تكمل معرفتهم، فكما لا يشبه الله شيء في أسمائه وصفاته وعظيم قدرته وسعة علمه، لا يشبهه أيضًا شيء في شهادته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

إذا تبيّن ذلك وعلم عظمة شهادة الله تعالى للقرآن بحفظه وصحة مضمونه ومصدره، وشهادته لرسوله ﷺ بالصدق والرسالة، علم والحالة هذه وجوب اتباع الرسول ﷺ؛ «إذ لا ينبغي لمن كان الله شاهده إلا أن يُطاع ويُتبع؛ لأنَّه جاء بالحق والصدق، وشهد الله له بذلك»[٢]، وأعظم ما جاء به الرسول ﷺ القرآن، وكفى بالله شهيدًا بصدق الرسول ﷺ وأحقية القرآن.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٤/ ٢٣٣).
(٢) البحر المحيط (٣/ ٧٢١).

المبحث الثاني

خلود القرآن هداية للعالمين

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: صمود القرآن أمام التحديات.

المطلب الثاني: تهيؤ أسباب الخلود للقرآن.

المطلب الثالث: رفع القرآن قبيل الساعة لا يناقض خلوده.

المطلب الرابع: رفع القرآن قبيل الساعة جزء من منظومة حفظه وصونه.

المطلب الخامس: حديث القرآن عن خلوده وبقائه.

مدخل

قدَّر الله تعالى للقرآن الكريم أن يكون محفوظًا، وتكفَّل بحفظه بنفسه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وهذه الكفالة ليست لوقت دون آخر بل كفالة بحفظ القرآن أبد الآبدين.

ولهذا بقي القرآن محفوظًا لفظًا ومعنًى، معجزًا، لا يشبهه أو يضاهيه نظم أو كلام، محفوظًا؛ فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان.

محفوظًا فلا يقدر أحد من الخلق معارضته، محفوظًا على الدوام فلم يستطيع الخلق إبطاله وإفساده؛ حيث هيأ الله له أسباب الحفظ في السماء والأرض، وقيض الله له من عباده المؤمنين من يحفظونه، ويدرسونه، يتعلمونه ويعلمونه، فكان بكل ما هيأ الله له من الأسباب قد حفظ حفظًا لم يحصل لغيره الْبَتَّةَ.

قال الرازي: «واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ؛ فإنَّه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف، والتغيير، إمَّا في الكثير منه أو في القليل وبقاء هذا الكتاب مصونًا عن جميع جهات التحريف مع أنَّ دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات، وأيضًا أخبر الله تعالى عن بقائه محفوظًا عن التغيير والتحريف، وانقضى الآن قريبًا من ستمائة سنة فكان هذا

إخبارًا عن الغيب، فكان ذلك أيضًا معجزًا قاهرًا»[١]. والآن مضى أكثر من ألف وأربعمائة عام ولا يزال إعجاز حفظه قاهرًا.

والمطالب التالية تُبين هذه الثمرة من ثمرات حفظ القرآن الكريم.

❁ ❁ ❁

(١) التفسير الكبير، للرازي (١٩/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

المطلب الأول

صمود القرآن أمام التحديات

عظم مكر الكافرين وتضافرت جهودهم في حرب الإسلام والقرآن، واستعملوا لذلك وسائل عدة، ومحاولات متكررة.

ومن تلك المحاولات محاولاتهم طمس معالم الإسلام، من خلال دثر الكتب التي تدعو إليه، لا شك أنَّهم في حملتهم تلك قد جعلوا القرآن الكريم أكبر أهدافهم، وأعظم مرادهم، لكن القرآن صمد أمام كل تلك التحديات بالرغم من عظم أساليبها، وعظم مَكْرِهَا.

لقد تسببت الحملات الغازية والحاقدة على الإسلام والمسلمين في فقدان الكثير من تراثهم العلمي؛ حيث أتلفت الكثير من الكتب التي لم يعد يعرف عنها إلا نقولات متناثرة في كتب العلماء[(١)].

وليس بخافٍ ما فعله هولاكو سنة: ٦٥٦هـ، بكتب المسلمين في العراق، حيث أقدم مع من ناصره من المنافقين والكافرين على إتلاف الكثير من الكتب في مختلف العلوم، ورموها في نهر دجلة، حتى تغير

---

(١) تظهر أسماء الكثير من الكتب التي فقدت في ثنايا الكتب الموجودة؛ حيث ينص أو ينقل أصحابها عن تلك الكتب المفقودة، ومثال ذلك كثيرًا من الكتب التي ذكرها السيوطي في كتبه وهي مفقودة، على سبيل المثال ما نقله السيوطي في كتابه: (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) حيث نقل عن كتب مفقودة ككتاب (البسيط) لرضي الدين بن العلج، وفي كتابه: (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) ينقل عن كتاب (قيد الأوابد) لتاج الدين بن مكتوم، وهو مفقود وغيرها كثير. انظر: همع الهوامع (١/ ٣٠٧)، والمزهر (١/ ٢٩٧).

ماؤه من كثرة المداد الذي تحلل من الكتب التي ألقيت به[١]، وغير ذلك من الحوادث التي استهدف فيها تراث الأمة.

ومن تلك المحاولات ما لبس أخطر أنواع المكر، وأدهى أنواع الخداع، ولكن هيهات هيهات، ومنها: أنَّ الاستعمار الفرنسي طبع عددًا هائلًا من المصاحف ووزعها في الجزائر أيام تحكمه في مقدراتها، وجميع الآيات فيه صحيحة وكاملة إلا كلمة واحدة فقط من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

فقد حُذفت من الآية كلمة ﴿مِنكُمۡۖ﴾ في نسخ المصحف الذي طبع بأمر الاستعمار الفرنسي، تآمرًا منهم على الإسلام والمسلمين، بغية حملهم على طاعتهم، لقوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ وترك محاربتهم باسم الدين وتنفيذًا لحكم رب العالمين، ولكن سرعان ما افتضح التآمر وانكشف التزوير، وجمعت تلك المصاحف وأحرقت لتصبح أثرًا بعد عين[٢].

وكذلك تبددت جميع المحاولات والحملات فصارت هباء منثورًا، وأثبت القرآن قدرته على البقاء في مختلف الظروف والأحوال؛ فلم يؤثر فيه شيء منها، وغيرها من عوامل التغيير، ولم يطله شيء من المؤامرات، «وما صمود القرآن المجيد أمام الدّعوات الهدّامة إلا آية من آياته، ومعجزة من معجزاته.. وبذلك تجلّى عجز الإنسان في تدبيره وتفكيره أمام عظمة الله في قرآنه»[٣].

---

(١) انظر: سمط النجوم، للعصامي (٣/ ٥١٩)، وحركة التجديد في نجد (ص١٢)، وقمع الدجاجلة (ص٩٤).

(٢) انظر: المعجزة الخالدة، د. حسن ضياء الدين عتر (ص٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٣) الموسوعة القرآنية، خصائص السور (المقدمة/ ١٣).

المطلب الثاني

تهيؤ أسباب الخلود للقرآن

أسباب بقاء القرآن وخلوده مهيأة بتهيؤ أسباب حفظه؛ وذلك أنَّ الله تعالى هيأ للقرآن الكريم جميع أسباب الحفظ، وكان حفظ القرآن قدرًا إلٰهيًّا لا يُرَدّ أو يغالب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

وهذه الأسباب على قسمين:

الأول: الأسباب الكونية: وهي تلك الأسباب التي قدَّرها الله تعالى كونًا؛ لتكون وهي مجتمعة: منظومة مكتملة وتامة لحفظ القرآن الكريم.

مثال ذلك: ما قدره الله تعالى من عصمة الرسول الملكي والبشري في التلقي والتبليغ، وحفظ القرآن عن تسمُّع الشياطين له في السماء، وحفظه له أثناء نزوله، وبعد نزوله بحفظ لفظه ومعناه عن مريدي تغييره من شياطين الجن والإنس، وغير ذلك من الموضوعات التي تم الحديث عنها في الفصول المتقدمة.

الثاني: الأسباب الشرعية: أي: التشريعات التي شرعها الله تعالى، حفظًا للقرآن الكريم؛ كالأمر بقراءته وإقرائه، والقيام به، والرجوع إليه، والعمل به، وقد أكسبت هذه التشريعات القرآن حفظًا وخلودًا.

والْتَقَت الأسباب الكونية مع الأسباب الشرعية لحفظ القرآن في

توفيق الله تعالى للأمة بالقيام بأمره، حفظًا وعلمًا وتعلمًا وعملًا، وورثته الأمة جيلًا عن جيل وتناقلته بالتواتر، وكرَّست أعظم الوسع والطاقة في خدمته وحفظه وسائر ما شرع الله لحفظه.

وكان من الأمة القرَّاء، والحفظة والمعظِّمين للكتاب العزيز، وكُتب وضُبط في المصاحف وحُفظ في الصدور بما لم يحصل لكتاب قط غير القرآن الكريم[١].

قال ابن الجزري: «وَلَمَّا خَصَّ الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أَئِمَّةً ثِقَاتٍ تَجَرَّدُوا لِتَصْحِيحِهِ وَبَذَلُوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي ﷺ حَرْفًا حَرْفًا، لَمْ يُهْمِلُوا منه حركة ولا سُكُونًا وَلَا إِثْبَاتًا وَلَا حَذْفًا، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم»[٢].

لقد سارع الصحابة رضي الله عنهم إلى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، كما سارعوا بكتابته، وكان للرسول ﷺ منهم كتّاب للوحي، واحتاطوا أعظم الحيطة عند جمعه فلم يعتمدوا فقط على المحفوظ في الصدور، أو المحفوظ مما هو مكتوب في الرقاع ونحوها فحسب؛ بل إلى جانب ما حفظه في الصدور اشترطوه مكتوبًا على حياة الرسول ﷺ[٣].

عن يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب[٤] قال: أراد عمر بن

---

(١) انظر: الانتصار، للقرآن (١/ ٣٩٤).

(٢) النشر (١/ ٦).

(٣) انظر: تاريخ القرآن الكريم (١/ ٤٧)، وجمع القرآن الكريم، لعبد القيوم السندي (ص٢٥).

(٤) أبو محمد، يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب بن أبي بلتعة، تابعي، ولد في خلافة عثمان بن عفان، وسمع من ابن عمر، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، كان ثقة كثير الحديث، وتوفي بالمدينة سنة: ١٠٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٢٥٠)، والثقات، للعجلي (٢/ ٣٥٤)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢٤٩).

الخطاب رضي الله عنه أن يجمع القرآن، فقام في الناس فقال: «**مَنْ كَانَ تَلَقَّى مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِنَا بِهِ، وَكَانُوا كَتَبُوا ذَلِكَ فِي الْمُصْحَفِ وَالْأَلْوَاحِ وَالْعُسُبِ**[١]، **وَكَانَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا حَتَّى يَشْهَدَ شَهِيدَانِ**»[٢].

قال أبو بكر بن العربي: «قد كان عنده محفوظًا، وأخبرنا أن يحفظه بعد نزوله، ومن حفظه تيسير الصحابة رضي الله عنهم لجمعه، واتفاقهم على تقييده وضبطه»[٣].

ثم استمرت الأمة على حفظ القرآن في الصدور والسطور فكان محفوظًا لديها بهذه الثنائية، «وبهذه العناية المزدوجة؛ (أي: حفظ القرآن في السطور والصدور) التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيِّها [ﷺ] بقي القرآن محفوظًا في حرز حريز، إنجازًا لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]»[٤].

وليس الأمر في حفظ القرآن مقتصرًا على امتثال الأمة لحفظه في الصدور والسطور؛ بل سائر التشريعات الأخرى التي شرعها الله تعالى لحفظ القرآن[٥].

---

(١) الألواح: جمع لوح، واللوح أَيْضا بِالْفَتْح الْكَتف وكل عظم عريض يكْتب فِيهِ، وفيه دلالة على طهارة عَظْمِ الْمُذَكَّى وَجَوَازُ الِانْتِفَاعِ بِهِ، العُسُب بضمتين جمع عَسِيب: جَرِيدَةٌ مِنَ النَّخْلِ. انظر: مشارق الأنوار (١/ ٣٦٥)، ومرقاة المفاتيح (٤/ ١٥١٦)، وتحفة الأحوذي (٥/ ٢٥٥)، وشرح النووي على مسلم (١٣/ ٤٢).

(٢) المصاحف، لابن أبي داود (ص١١٣)، وتاريخ المدينة، لابن شبة (٢/ ٧٠٥).

(٣) أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٦١١).

(٤) النبأ العظيم (ص٤٢).

(٥) [سبق الحديث عن ذلك في فصل: «الحفظ الشرعي للقرآن الكريم» صفحة (٢٣٧)، وما بعدها، من هذه الرسالة].

ولا يظهر مبطل باطلًا في تفسيره إلا قيض الله من جهابذة العلم والإسلام من يدحض ذلك الباطل، فلا يبقى هكذا تأويل إلا كشف، ولم يكن له رواج في أوساط الأمة على العموم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فما في تفسير القرآن أو نقل الحديث أو تفسيره من غلط فإِنَّ الله يقيم له من الأمة مَنْ يُبَيِّنُهُ وَيَذْكُرُ الدَّلِيلَ عَلَى غَلَطِ الْغَالِطِ وَكَذِبِ الْكَاذِبِ، فَإِنَّ هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيها طائفَةٌ ظاهرَةٌ على الحق حتى تقوم الساعة، إذ كانوا آخر الأمم فلا نبي ـ بعد نبيهم ـ ولا كتاب بعد كتابهم»[١].

كما اهتم المسلمون بما يحفظ القرآن الكريم مما استجد كالنقط والشكل، فصار ذلك من حفظ القرآن الكريم، وتحت عموم الأدلة الدالة على وجوب حفظ القرآن وإتقانه تلاوةً وتعلمًا وتعليمًا[٢].

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا القرآن الكريم، فقد قَيَّضَ اللهُ له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر، فضلًا عن القراء الأكابر، وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة، فَقَيَّضَ الله لكل علم رجالًا حفظه على أيديهم.. وهو عين الحفظ الذي تضمَّنته الأدلة المنقولة»[٣].

واهتموا أيضًا بالعلوم المستخدمة لخدمة القرآن الكريم؛ كعلم النحو والبلاغة وعلم التجويد، وفقه الأحكام، إلى غير ذلك من العلوم، وضرب آخرون بسهم في نواح أخرى، كمظهر من مظاهر شرف خدمة القرآن، فكم اعتنى الخطاطون بصحة رسمه، وتجميل الخط وتوضيحه في

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٣/ ٣٩).
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى: (١/ ١١٥).
(٣) الموافقات، للشاطبي (٢/ ٩٣ ـ ٩٥).

كتابته، وكم انتُقيت له من أجود الأوراق ليكتب عليها، وكلما ظهرت أو ابتكرت وسيلة جديدة من وسائل الحفظ، كان للقرآن وافر الحظ فيها، في كل زمن وحتى زمننا هذا وما بعده، فما أجود وأكثر وأتقن مطابعه في هذا الزمان، وما أكثر ما حفظ متقنًا بأصوات الكثير من متقني القراء، وكم من وسائل الحاسوب التي حفظ عليها القرآن والعلوم المتعلقة به[١].

«وما زالت المسيرة مستمرة يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم، ونجد إقبالًا لا يخطر ببال ولا يحلم بمثله أهل كتاب؛ انظروا ـ إن شئتم ـ مدارس تحفيظ القرآن العديدة منذ نزول القرآن إلى عصرنا هذا ثم التفتوا يسره، فكم من مدرسة لتحفيظ الإنجيل أو التوراة؟ فلن تجدوا منها شيئًا؛ بل ستجدون قلة القلة تحفظ هذا أو ذاك مما لا يذكر ـ أبدًا ـ في مقابل مدارس تحفيظ القرآن»[٢]، فكان تهيؤ أسباب الحفظ الذي عني به القرآن قد أكسبه حفظًا وعلوًّا عظيمين، لم يتحققا لكتاب غيره.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: عظمة القرآن والسُّنَّة، محمد سلام (ص٥).

(٢) دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٦٣).

المطلب الثالث

رفع القرآن قبيل الساعة لا يناقض خلوده

أشار القرآن إلى رفعه قبل الساعة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَعْنِي: القرآن؛ أي: كما قدرنا على إنزاله نَقْدِرُ على إِذْهَابِهِ حتى ينساه الْخَلْقُ»[١]، وقال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في الآية إشارة إلى رفع القرآن قبل الساعة»[٢].

ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾؛ أي: لا تجدُ من تتوكَّل عليه في ردِّ شيءٍ من القرآن، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الاسراء: ٨٧]؛ أي: كان إبقاؤه وعدم إذهابه رحمة من ربك، فكان فضل الله عليك كبيرًا بسبب إبقاء القرآن والعلم عليك، وهذا امتنانٌ من الله على رسوله ﷺ، وهو نوعان:

الأول: تسهيل ذلك العلم عليه.

والثاني: إبقاء حفظه عليه[٣].

وورد خبر رفع القرآن آخر الزمان صريحًا في كتب السُّنَّة، منها: ما رُوي عن عبد الله بن مسعود قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرَ مَا يَبْقَى الصَّلَاةُ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يُوشِكُ أَنْ**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٢٥).

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي (ص١٦٩).

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٣٨١).

يُرْفَعَ». قَالُوا: وَكَيْفَ يُرْفَعُ وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللهُ فِي قُلُوبِنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: «يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلَةً فَيَذْهَبُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَمَا فِي مَصَاحِفِكُمْ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[1].

وروى الحاكم أيضًا عن أبي هريرة قال: «**يُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ فَيُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُصْبِحُ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَلَا الزَّبُورِ، وَيُنْتَزَعُ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ فَيُصْبِحُونَ وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ**»[2].

هذه الآثار عن أبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما لها حكم الرفع؛ لأنَّها رواية لما لا يمكن أن يطلع عليه إلا بتوقيف من الرسول ﷺ[3].

أمَّا ابن ماجه فقد روى الخبر عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا إلى

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كِتَاب: الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِم (٤/ ٥٤٩) رقم: (٨٥٣٨)، وابن أبي شيبة في المصنف: كتاب: فضائل القرآن، فصل في رفع القرآن والإسراء به (٦/ ١٤٤)، رقم: (٣٠١٩٢)، والبيهقي في شعب الإيمان: تعظيم القرآن، فصل في إدمان تلاوة القرآن (٣/ ٣٩٨)، رقم: (١٨١٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: كِتَاب: الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِم (٤/ ٥٥٢)، رقم: (٨٥٤٤)، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ».

(٣) قال ابن الجزري كما في الهداية في علم الرواية، بشرح الغاية، للسخاوي (ص١٦٠):

وَصَاحب يَقُول كُنَّا نصْنَع ... كَذَا أمرنَا ونهينا رفعوا
كَذَاك ينميه كَذَا يبلغ بِهِ ... أَو فِي الْقرَان كنزول بِسَبَبِهِ
كَذَا الذي عَلَيْهِ لَا يطلع ... كَذَا حَدِيث قَالَ قَالَ يرفع

قال السخاوي في الغاية في شرح الهداية (١/ ١٦١): «كل ما قاله الصحابي ممَّا لم يمكن يطلع عليه إلا بتوقيف من النبي فله حكم الرفع».

الرسول ﷺ بسند صحيح[١].

وأثر عن بعض الصحابة والتابعين قولهم: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ»[٢]. وقولهم «وإليه يعود»؛ أي: يرفع قبل الساعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا إِلَيْهِ يَعُودُ: فَإِنَّهُ يَسْرِي به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف»[٣].

ما يهم التنبيه عليه هنا: رفع القرآن قبيل الساعة لا يتعارض مع حفظ القرآن وخلوده؛ لأنَّ رفعه لا يكون إلا بعد مجيء العلامات الكبرى التي تعقبها الساعة، مثل: طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال، قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: «هذه الريح اللينة قريب يوم القيامة وعند تظاهر أشراطها ودنوها المتناهي في القرب»[٤].

وورد في كتاب الفتن لنعيم بن حماد، ذكر حدوث الريح ورفع القرآن، بعد ذكر أشراط الساعة الكبرى، فقد روى عن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «.. فإذا هي ريح قد بعثها الله لقبض أرواح المؤمنين، فتلك آخر عصابة

---

(١) [تأتي الرواية بتمامها (ص٤٢٥)، من هذه الرسالة].

(٢) نقل ذلك عنهم: عمرو بن دينار، فقال: «أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا وَالنَّاسَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ». أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة: بَاب جُمَّاعِ تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ (٢/ ٢٦٠)، رقم: (٣٨١).
ومعنى قوله: «أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا»؛ أي: مشايخه من الصحابة والتابعين، فقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ. انظر: الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ٥٩٨)، والسُّنن الكبرى، للبيهقي (١٠/ ٣٤٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩).

(٤) الديباج على صحيح مسلم، للسيوطي (١/ ١٣٣).

تُقْبَضُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ويبقى الناس بعدهم مائة عام، **لَا يَعْرِفُونَ دِينًا وَلَا سُنَّةً**، يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الْحَمِيرِ[(١)]، عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ..»[(٢)].

فدل ذلك على أنَّ الريح القابضة لأرواح المؤمنين يعقبها وقوع الساعة وليس بعدها من أشراط الساعة إلا النَّار التي تخرج من قعر عدن تطرد النَّاس إِلَى مَحْشَرهمْ كما جاء في الحديث: «**آخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليمن، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»[(٣)].

لكن رفع القرآن يكون قبل الريح التي تقبض روح من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، الواردة في حديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ اليمن[(٤)] أَلْيَنَ مِنَ**

---

(١) قيل: يتقاتلون؛ لأنَّ الهرج القتل بلغة الحبشة، وقيل: يتخالطون رجالًا ونساء، يزنون ويعبثون، ورجح العيني أن لا يحصر معنى الهرج على معنى القتل؛ لأنَّه إن كان كذلك معناه على لسان الحبشة، فإن استعماله في اللسان العربي واقع على الفتنة والاختلاط، وشبه تهارجهم بتهارج الحمر بيانًا لحالتهم المنسلخة عن الكرامة الآدمية إلى الحيوانية بأقبح صورها. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/ ٩٢).

(٢) أخرجه نعيم بن حماد: كتاب: الفتن، باب: خُرُوج يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (٢/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦)، رقم: (١٦٥٨)، عن كَعْبٍ، موقوفًا عليه، وله حكم الرفع؛ لأنَّه رواية لما لا يُمكن أن يطلع عَلَيْهِ إِلَّا بتوقيف من النبي ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة (٤/ ٢٢٢٥)، رقم: (٢٩٠١)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه.

(٤) ورد في رواية أخرى: «من قبل الشام»، ذكرها مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال (٤/ ٢٢٥٩)، رقم: (٢٩٤٠)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. قال النووي رحمه الله في شرحه على مسلم (٢/ ١٣٣): «ويُجاب عن هذا بوجهين: أحدهما: يحتمل أنَّهما ريحان شامية ويمانية. ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنده، والله أعلم».

الْحَرِيرِ(١)**، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ.. مِثْقَالُ حَبَّةٍ.. أو مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ»**(٢).

وروى ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ**(٣)**، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا «فَقَالَ لَهُ صِلَةُ**(٤)**: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا»**(٥).

---

(١) إشارة إلى الرفق بهم وإكرامهم وعدم معاناتهم وألمهم عند قبض أرواحهم. انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣٣)، والديباج على صحيح مسلم، للسيوطي (١/ ١٣٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب: الإيمان، باب في الريح التي تكون قرب القيامة (١/ ١٠٩)، رقم: (١١٧).

(٣) (وَشْيُ الثَّوْبِ): بفتح فسكون نقشه، ويكون من كل لون. و(يدرس)؛ أي: يذهب. انظر: مصباح الزجاجة (ص٢٩٤)، وحاشية السندي (٢/ ٤٩٨).

(٤) أَبُو الصَّهْبَاءِ، صِلَةُ بنُ أَشْيَمَ العَدَوِيُّ، البصري، زاهد عابد، تابعي مشهور، زوجته مُعَاذَةُ العَدَوِيَّةِ، كانت عالمة عابدة، وقتل رحمه الله بسجستان سنة ٣٥هـ. انظر: الإصابة (٣/ ٣٧٤)، وأسد الغابة (٢/ ٤١٦)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/ ٤٩٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه: كِتَاب الْفِتَنِ، بَاب ذَهَابِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ (٢/ ١٣٤٤)، رقم: (٤٠٤٩)، وصححه فؤاد عبد الباقي في تحقيقه على سنن ابن ماجه، كما صحح العلامة الألباني هذه الرواية، ورواية الحاكم المتقدمة في السلسلة الصحيحة (١/ ١٧١) رقم: (٨٧).

بالنظر إلى الحديثين معًا يلاحظ: تقدم رفع القرآن على الريح التي تقبض أرواح من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ووجه الدلالة في ذلك أنَّ رواية ابن ماجه ذكرت أناسًا، لا يدركون من أمر الإسلام إلا (لا إله إلا الله)، وهذا إيمان؛ لذلك قال حذيفة رضي الله عنه لما سأله صلة: «**مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»... **قال: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ»**، بينما الريح القابضة، تقبض روح من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فدل ذلك على تأخر حادثة الريح عن رفع القرآن.

ويرى الباحث أنَّ رفعه ونزعه من صدور حفظته يكون بموت حفظته عندما يريد الله ذلك؛ بحيث تحمل الآثار الواردة عن الصحابة في ذكر إذهابه ونزعه من الصدور على أن ذلك بموت حملته كما نصَّ على ذلك الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ الرسول ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

فنفى في الحديث قبض العلم ـ والقرآن أصله ـ، ولكن بموت العلماء، وبالجمع بين هذا الحديث والآثار الواردة في رفع القرآن قبيل الساعة يتبين أنَّ رفعه من الصدور يكون بقبض حفظته في ليلة واحدة، هي الليلة التي يسرى فيها لرفع القرآن والله أعلم.

وذكر ابن الجوزي رحمه الله احتمال أن يكون العلم في الحديث المتقدم ما سوى القرآن، وأن القرآن ينزع من صدورهم وهم أحياء(٢)، وليس الأمر ـ فيما أرى ـ على هذا الاحتمال لما تقدم، والله أعلم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم (١/ ٣٢)، رقم: (١٠٠)، وأخرجه مسلم: كتاب: العلم، باب: رفع العلم (٤/ ٢٠٥٨، ٢٦٧٣)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٥٢).

المطلب الرابع

رفع القرآن قبيل الساعة
جزء من منظومة حفظه وصونه

إذا عُلم فيما تقدم أنَّ القرآن لا يرفع من الأرض إلا قبيل وقوع الساعة، عُلم بذلك أنَّ هذا من الأمور التي قدرها الله تعالى لحفظ القرآن الكريم، ويمكن بيان ذلك في التنويهات التالية:

أولًا: أنَّ رفع القرآن يعقبه الريح التي يرسلها الله تعالى فلا تدع روح من في قلبه ذرة من إيمان إلا وقبضته، وذلك لتتابع أشراط الساعة، كما بين ذلك قول الرسول ﷺ: «**الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، يُقْطَعُ السِّلْكُ فَيَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا**[(١)]»[(٢)]، وبعد تلك الريح لا يبقى إلا شرار الخلق، ومن أحوالهم. الحياة العبثية، كما جاء وصفهم في رواية مسلم وغيره: «**فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ**

---

(١) قوله: «الآيات خرزات»: تشبيه لأحداث الساعة في تتابعها بعقد الخرز، إذا قطع سلكه بكسر السين؛ أي: إذا انقطع خيطه تتابعت الخرز في الانفراط من العقد، وكذلك أحداث الساعة، ما إن يحدث أولها حتى تتابع بعضها عقب بعض. انظر: فتح الباري (١١/ ٣٥٤)، ومرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٣٧)، وتحفة الأحوذي (٦/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب: الفتن والملاحم (٤/ ٥٢٠)، رقم: (٨٤٦١)، عن عبد الله بن عمرو، وأحمد في المسند، مسند: عبد الله بن عمرو (١١/ ٦١٧)، رقم: (٧٠٤٠)، وصححه الشيخ الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٦١)، رقم: (١٧٦٢).

آبَاطِهِمْ[(١)]**، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»**[(٢)]. ووجود القرآن في أوساط هؤلاء عرضة لامتهانه؛ وذلك عندما لا يوجد في أوساطهم معظم للقرآن والإسلام.

ثانيًا: في رواية الحاكم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**يُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ فَيُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ**»[(٣)]: **بيان أنَّ الله تعالى يرفع القرآن إلى السماء، ولا يخفى ما لهذه الحال من تعظيم للقرآن الكريم وحفظ لحرمته، فإنَّه يرفع إلى جهة التشريف والعلو، ويعود إلى السماء التي منها نزل، إنَّها الرفعة المتضمنة لكامل الحفظ والعناية بالقرآن الكريم.**

ثالثًا: أنَّ القرآن عندما يرفع قبل الساعة فهو يرفع سليمًا من كل تغيير أو تبديل، بلفظه ومعناه، وكما نزل بهذه الحال رفع بها.

رابعًا: رفعه من المصاحف صونًا له من أحوال الحطام والدمار، المصاحب لزلزلة الساعة، وقد رجت الأرض رجًّا، وبُست الجبال بسًّا، فكانت هباء منبثًّا، وحال كهذه عند قيام الساعة لو كانت المصاحف موجودة عندئذ يتصور حصولها تحت ذلك الحطام، وتمزق أوراقها جرَّاءه، فرفعت مصاحف القرآن إكرامًا لها وصونًا لحرمتها، والله أعلم.

---

(١) «تَحْتَ آبَاطِهِمْ»: بِهَمْزَةٍ مَمْدُودَةٍ جَمْعُ إِبِطٍ، والمراد: تمر الريح تحت آباطهم ومع مرورها تقبض أرواحهم. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٤٦٥).

(٢) جزء من حديث طويل: أخرجه مسلم: كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٥٤)، رقم: (٢٩٣٧)، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب: الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٢)، رقم: (٨٥٤٤)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المطلب الخامس

حديث القرآن عن خلوده وبقائه

أكدت الآيات الكريمة خلود القرآن ببيان هيمنته وظهوره وهو نتيجة ملازمة للخلود، وبإبراز الوعد الإلٰهي بتخليده، وبديمومة التحدي أن يأتى بمثله أو بعضه، وبتوريثه الأمة وتقييض من يقوم بحقه، وبيان ذلك في الفروع التالية:

الفرع الأول

هيمنة القرآن على الكتب الإلٰهية

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

هذه الآية أشارت إلى خلود القرآن بهيمنته على الكتب الإلٰهية، وبالتأمل في كلام المفسرين عن هذه الآية نجد أنَّ التفاسير المذكورة والمتعددة يكمل بعضها بعضًا، ويمكن ـ في رأي الباحث ـ بيان ذلك في تنويع مظاهر هيمنة القرآن إلى المظاهر **التالية**:

١ ـ هيمنة النسخ.

٢ ـ هيمنة التشريع والحكم.

٣ ـ هيمنة الحفظ من التحريف والتبديل.

٤ ـ هيمنة الائتمان والتصديق.

وفيما يلي بيان هذه المظاهر:

أولًا: هيمنة النسخ:

من مظاهر هيمنة القرآن الكريم على ما سبق من الكتب، أنَّه ناسخ لها، وفسَّر بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ أي: ناسخًا لها فلا يعمل بشيء منها بعد القرآن الكريم[١]؛ لأنَّ التشريع الذي يقبله الله ويتعبد عباده به هو تشريع القرآن، وليس لأحد الأخذ بتلك الكتب قبله بعد أن تعرضت للتحريف والتبديل.

هذا هو المعنى الذي حمله الأمر والنهي في قوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم بيَّن ﷻ أنَّ القرآن قد نسخ كل ما سبقه من تلك الكتب فقال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨][٢].

ثانيًا: هيمنة التشريع والحكم:

لما كان القرآن ناسخًا للكتب قبله، هيمن لذلك تشريعه على كل التشريعات التي جاءت بها تلك الكتب، فكان القرآن قاضيًا وحاكمًا عليها؛ لذلك قال تعالى في آية الهيمنة: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومن هيمنة تشريعه كونه حكمًا وحاكمًا في المختلف فيه عند أهل الكتاب وفي كتبهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا خبر عن هيمنة القرآن، على الكتب

---

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (١/ ٣٩٥).

(٢) انظر: تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها، إبراهيم سلامة (ص٨٧).

السابقة وتفصيله وتوضيحه، لما كان فيها قد وقع فيه اشتباه واختلاف عند بني إسرائيل، فقصه هذا القرآن قصًّا زال به الإشكال وبيَّن به الصواب من المسائل المختلف فيها»[١].

ومن دلائل هيمنة تشريعه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

يخبر ﷻ أنَّه أرسل رسوله بالهدى والحق والرشاد، وذلك بما منَّ الله على رسوله من الوحي؛ لأجل أن يظهر دين الإسلام والقرآن، وهو ظهور الخلود والبقاء.

قال القرطبي رحمه الله: «يكون أهل الإسلام عالين غالبين، ومن الإظهار ألا يبقى دين سوى الإسلام في آخر الزمان»[٢].

هذا الخلود التشريعي للقرآن الكريم قام على ركيزتين أساسيتين هما:

الأولى: ما اختص به من الكلاءة والكفالة الإلٰهية.

الثانية: ما ضمن الله الكتاب العظيم من التشريعات التي تحفظ الدين، وما ضمنه أيضًا من العدل في التشريع، فكان ذلك كلاءة ذاتية في التشريع القرآني، فيها تكمن عوامل الخلود والبقاء، عندما يقيم أهل القرآن أحكامه وتشريعاته.

وطريق ذلك إقامة الحدود والشرائع التي تحفظ الدين والحقوق، مثل إقامة الصلاة ومعاقبة تاركها، وإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٦٠٩).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٨/ ٨٦).

عن المنكر، وإقامة حد الردة، وكل ما من شأنه أن يحفظ به الدين والشرع.

وفي إقامة ذلك إقامة ملازمة لحفظ القرآن، إضافة إلى تأثير القيام بعدل القرآن؛ وذلك أنَّهم لو قاموا بواجب العمل بما فيه، ظهر لهم آثار عدله وظهر ذلك لغيرهم، فكان داعيًا إلى التحاكم إليه وإصلاح مصالح الناس بصلاحه[١].

ثالثًا: هيمنة الحفظ من التحريف والتبديل:

ومن مظاهر هيمنة القرآن على الكتب قبله هيمنته بكونه محفوظًا على الدوام، وكونها حُرفت، فكان الحفظ للقرآن الكريم، هو الأساس في هيمنته على ما سبقه منها[٢].

رابعًا: هيمنة الائتمان والتصديق:

معنى هيمنة الائتمان، أنَّ القرآن الكريم أمين على ما في الكتب المتقدمة، رقيب على ما فيها، كاشف لما وقع فيها من التحريف، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾؛ مؤتمنًا عليه»[٣]. وقال قتادة: «أمينًا وشاهدًا على الكتب التي خلت قبله»[٤].

أصل هيمنة القرآن على الكتب قبله، قائم على حفظه ورقابته، قال الطبري: «وأصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب، يقال إذا رَقَب الرجل الشيء وحفظه وشَهِده»[٥].

---

(١) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١/ ٣٦٩).
(٢) [سبق الحديث عن تحريف الكتب المتقدمة واختصاص القرآن بالحفظ والصون. صفحة (١٠٧) وما بعدها].
(٣) جامع البيان (١٠/ ٣٧٨).
(٤) المرجع السابق (١٠/ ٣٧٨).
(٥) المرجع السابق (١٠/ ٣٧٧).

ومن هيمنة القرآن: هيمنة التصديق لما قبله من الكتب المتقدمة، ويتمثل هذا التصديق في **التالي**:

(١) الشهادة لهذه الكتب بصحة إنزال أصولها.

(٢) تبيين ما اعتراها من نسخ أو تحريف وما عرض لها من زيف وفساد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦][(١)].

كل هذه الأنواع التي سبق الحديث عنها تشكل مجتمعة هيمنة البقاء والخلود، التي تميز بها القرآن الكريم، فكانت قدره وحده دونما سواه من الكتب المنزلة، وكان لذلك خالدًا وأمينًا وشاهدًا وحاكمًا وعاليًا عليها كلها، وكان بذلك الطريق الوحيد لمعرفة الله تعالى، وعبادته بما فيه شرع.

كل ما سبق ذكره من معان وأنواع تضمنها قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد إيراده لأقوال المفسرين في معنى الآية: «وهذه الأقوال كلها متقاربةُ الْمَعْنَى؛ فإن اسم ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وَخَاتَمَهَا، أَشْمَلَهَا وَأَعْظَمَهَا وَأَحْكَمَهَا حَيْثُ جَمَعَ فِيهِ محاسن ما قبله، وزاده من الْكَمَالَاتِ ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة»[(٢)].

---

(١) انظر: تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها، إبراهيم سلامة (ص٨٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/١٢٨).

الفرع الثاني

تكفل الله تعالى بدوام حفظ القرآن

ومن حديث القرآن عن خلوده وبقائه، حديثه عن الكفالة الدائمة والمستمرة للقرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

هذه الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن بما حملته من صفات كاملة وتامة تبعًا لكمال صفات الله تعالى وصادق وعده، تعطي أعظم نتائج الخلود والحفظ للقرآن الكريم(١).

الفرع الثالث

التحدي الدائم والمستمر
أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بطائفة منه

المحور الثالث من حديث القرآن عن خلوده وبقائه، هو التحدي الدائم والمستمر، أن يأتوا بمثله أو طائفة منه، هذا التحدي باق والقرآن ثابت الإعجاز لا يتغير لفظه ومعناه، ولم ولن يغالبه أو يضاهيه كلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثَقِيلًا؛ أي: ثَابِتًا كَثُبُوتِ الثَّقِيلِ فِي مَحَلِّهِ، ويكون معناه أنَّه ثابت الإعجاز، لا يزول إعجازه أبدًا»(٢).

هذا التحدي مستمر ودائم يقرأ على الدوام، ويخاطب الفصحاء والأدباء وأصحاب اللسان في كل الأزمان، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ

---

(١) [سبق تفصيل الحديث ذلك في: مطلب تكفل الله بحفظ القرآن الكريم، أركان الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن، الصفحات: (١٠٠ ـ ١٠٥) من هذه الرسالة].
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٩/ ٣٨).

ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣][(١)].

الفرع الرابع

توريث الله تعالى القرآن للأمة الإسلامية

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: القرآن الكريم، ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؛ هم: الأمة الإسلامية، أورثت القرآن الكريم[(٢)]، وكانوا مع هذا الميراث ثلاثة أصناف:

الأول: الظالم لنفسه؛ وهو المفرط في الأخذ بأحكام الكتاب المقصر في أداء واجباته، أو المرتكب لشيء من نواهيه.

الثاني: المقتصد؛ وهو الذي أقام مأموراته واجتنب نواهيه، دون أن يسارع في العمل بكامل الفضل الذي جاء فيه؛ أي: لم يحرص على فعل مستحباته.

الثالث: السابق بالخيرات؛ هو الذي عمل بواجباته ومستحباته،

---

(١) [سبق الحديث عن ذلك صفحة (١٩٢) وما بعدها من هذه الرسالة].

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٥٩٧٥)، ومعالم التنزيل (٦/ ٤٢٠).

واجتنب نواهيه ومحرماته[١]، «وقدم الظالم لئلا ييئس مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَأُخِّرَ السَّابِقُ لِئَلَّا يُعْجَبَ بِعَمَلِهِ»[٢]، وقيل غير ذلك.

الشاهد من الآية:

الشاهد من الآية على حفظ القرآن: حديثها عن خلود القرآن الكريم وحفظه الذي حمله لفظ: ﴿أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾، قال في العين: «ورث: الإيراث: الإبقاءُ للشّيء.. يُورِثُ؛ أي: يُبقي ميراثًا»[٣].

«والوارث: صفة من صفات الله ﷻ، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم»[٤].

فلفظ: ﴿أَوْرَثْنَا﴾، وهو في أصل معناه يدل على بقاء الشيء، بحيث يبقى متداولًا ومنتقلًا من جيل إلى جيل، أفاد والحالة هذه خلود القرآن، وأنَّه سيبقى خالدًا بعد موت الرسول ﷺ، ينتقل مصونًا محفوظًا من جيل إلى جيل، وزاد المعنى تتويجًا أن أخبر ﷻ أنَّ الأمة، سيكون فيها من يقوم بحقه، وحفظه، والعمل به، وهذه الإشارة واردة في قول الرسول ﷺ: «**يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ**»[٥].

---

(١) انظر: أضواء البيان (٥/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠)، والتفسير المنير، للزحيلي (٢٢/ ٢٦٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٣٤٩).
(٣) العين، مادة: (ورث) (٨/ ٢٣٤).
(٤) لسان العرب، مادة: (ورث) (٢/ ١٩٩)، وانظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٣٥٨).
(٥) أخرجه البزار في البحر الزخار، مسند: أنس بن مالك (١٦/ ٢٤٧)، رقم: (٩٤٢٣)، والبيهقي مرسلًا في السُّنن الكبرى، كتاب: الشهادات، باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول: كفوا عن حديثه (١٠/ ٣٥٤)، رقم: (٢٠٩١١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٨٢)، رقم: (٢٤٨).

جاءت هذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها ببشارة من أعظم البشارات للرسول ﷺ وأمته، وهي البشارة بحفظ القرآن وخلوده، وأنَّ الله تعالى سيقيض في الأمة من يقوم بحقه، حفظًا وعملًا، وعلمًا وتعليمًا، ودفاعًا وإشهارًا وإظهارًا، وأنَّ ذلك باق فيهم جيلًا بعد جيل.

قال ابن عاشور: «وهذا ارتقاء في التنويه بالقرآن المتضمن التنويه بالرسول ﷺ وعروج في مسرَّته وتبشيره، فبعد أن ذكَّر بفضيلة كتابه، وهو أمر قد تقرر لديه، زيد تبشيرًا بدوام كتابه وإيتائه أمة هم المصطفون من عباد الله تعالى، وتبشيره بأنَّهم يعملون به ولا يتركونه كما ترك أمم من قبله كتبهم ورسلهم؛ لقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ..﴾ الآية، فهذه البشارة أهم عند النبي ﷺ من الإخبار بأنَّ القرآن حق مصدق لما بين يديه؛ لأنَّ هذه البشارة لم تكن معلومة عنده فوقعها أهم»[(١)].

قلت: قد يقول قائل فما وجه الاستدلال بالآية السابقة على حفظ القرآن وخلوده، وقد ذكر الله تعالى توريث الكتاب لليهود والنصارى كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى: ١٤]؟

الجواب: أنَّ في قوله ﷻ في شأن أمة القرآن: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ أظهر الفاعل ليكون السياق سياق مدح، وليدل على وجود الكفالة الذاتية الإلٰهية، وكأنَّه يقول: أنا أورثت الكتاب وأنا حافظه.

وهي فائدة تفهم بالنظر إلى وصف توريث أهل الكتاب، فإنَّما جاء بنسبته إليهم كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، والآية في سياق الحديث عن اليهود، وإمَّا بحذف الفاعل في سياق ذمهم كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣١١).

والمقصود ـ على الصحيح ـ بالذين أورثوا الكتاب: اليهود والنصارى، أورثوا الكتاب بعد أنبيائهم فارتابوا وفرَّطوا وحرَّفوا.

فكانت أمة القرآن ممدوحة؛ لأنَّها موفقة بتوفيق الله تعالى لها بحفظ القرآن، والقيام بحقه؛ فنسب توريث كتابهم إلى ذاته المقدسة بالفاعل الظاهر ﴿أَوْرَثْنَا﴾، وحذف الفاعل في ميراث أهل الكتاب أو نسب الفعل إليهم؛ لتحريفهم لكتبهم وعدم قيامهم بحقها؛ لأن الشر لا ينسب إليه، وهي لطيفة في الفرق بين الآية الواصفة لميراث أمة القرآن، والآيتين الواصفتين لميراث أهل الكتاب، وذلك من أسرار القرآن الكريم.

وبالجملة، فالذي يُضاف إلى الله تعالى كله خير وحكمة ومصلحة وعدل، والشر ليس إليه.

أمَّا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾ [غافر: ٥٣ ـ ٥٤]، أظهر الفاعل؛ لأنَّ السياق سياق مدح للذين عقلوا الكتاب من أتباع موسى عليه السلام وعملوا بما فيه؛ فالعامل بما فيه هو الذي أورثه الله علمه، والآية السابقة قصرًا على هذا الصنف من أمة موسى ﷺ غير مستغرقة لغيرهم.

وفي آية ميراث القرآن أظهر الفاعل بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾، مع وجود جميع أصناف المسلمين في الآية بما فيهم صنف الظالم لنفسه، في إشارة إلى أنَّ الميراث محفوظ، وأنَّ كون بعض مَن يرث القرآن قد ظلم نفسه في التعاطي مع الميراث، فإن ظلمه ذلك على نفسه وليس له تأثير البتة على القرآن؛ لكونه محفوظًا.

ولذلك كانت أمة القرآن في تعاملها مع الميراث لم ولن تخرج عن الخيرية، غير متأثرة في ذلك بمن ظلم نفسه، كل ذلك أنَّ الكتاب ظل

فيها محفوظ من الزيادة والنقصان، خالد فيها خلود الأبد دون تحريف أو نسيان.

كما دل التعقيب على الخبرين دلالة واضحة على الفرق بين الأمتين في التعاطي مع الميراث؛ ففي أمة القرآن أخبر أنَّه يكون فيهم من يقوم بحق القرآن حفظًا وعملًا، وإن كان هناك من قد ظلم نفسه بعدم اتباعه، فقال ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، فهذان الصنفان قائمان بحق القرآن، وأمَّا الظالم لنفسه من أمة القرآن فقد أقام بعض حقه؛ إذ لا يتصور في مسلم أن يخالف كل القرآن، ومع ذلك ففي قيام صنف المسارعين بالخيرات بحق القرآن غنية في حفظه وخلوده؛ وإن كان للأصناف الثلاثة مشاركتهم بين مقل ومستكثر في ذلك.

أمَّا أهل الكتاب من اليهود والنصارى فذكر توريثهم للكتاب في سياق ذمهم لعدم القيام بحق كتبهم من الحفظ والعمل؛ إمَّا بشكهم وريبهم المفضي للكفر والتكذيب، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى: ١٤]، وإمَّا بأخذهم حطام الدنيا وإيثارهم لها، على حساب الدين والكتاب المنزل عليهم، ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وهم مع ذلك في اغترار؛ حيث ظنوا أنَّ الله تعالى يغفر لهم وقد اشتروا بآياته ثمنًا قليلًا؛ ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩] مصرِّين في ذلك على هذا الذنب العظيم، ولذلك قال عنهم: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ [الأعراف: ١٦٩]؛ لإصرارهم وعدم توبتهم؛ ولأجل أخذهم حطام الدنيا حرَّفوا كتبهم طلبًا للذاتها، وسعيًا في طلب الرياسة والزعامة، فكتموا وحرَّفوا اللفظ أو المعنى، مخالفين في ذلك العهد الذي أخذ عليهم، ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ

ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾، وكان أولى لهم لو عقلوا أن يؤاثروا ما عند الله فإنه خير وأبقى ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾. فأي ذم أعظم ممَّا ذُموا به في تعاملهم مع هذا الميراث؟! وهذا وما سبق ظاهر في الفرق بين الميراثين والأمتين فتأمل[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٥١٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٥٧١)، وتفسير القرآن، للسمعاني (٢/ ٢٢٨)، وطريق الهجرتين (ص١٩٥)، وبدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٢١٥).

المبحث الثالث

عظمة القرآن وعلو مكانته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعظيم الآيات للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: علاقة حفظ القرآن بعظمته.

المطلب الثالث: فضل أهل القرآن وعلو مكانتهم.

مدخل

كل آية تحدثت عن القرآن، فيها إشارة إلى عظمة القرآن الكريم، وكل ما سبق بيانه في الفصول والمباحث السابقة فهو دليل على عظمة القرآن وشرفه وعلو مكانته، والمستقرئ للآيات يلاحظ تعظيم الله تعالى لكتابه الكريم بألفاظ متعددة، ومعان متنوعة.

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا عجب في كونه؛ [أي: القرآن] جامعًا لهدى الخلق كلهم، لم يدع لهم في شيء من الأشياء لبسًا، وهي ناظرة إلى قوله في القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦]، الملتفتة إلى ما في المدثر من أنَّ هذه تذكرة، الناظرة إلى ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥]، المشيرة إلى ما في سورة الجن من أمر القرآن، **فالحاصل أنَّ أكثر القرآن في تقرير عظمة القرآن**»[1].

والمستقرئ للآيات الكريمة يجد تقصُّدها تمجيد القرآن لإظهار مقامه الكريم، وجنابه العظيم؛ فكثيرًا من سور القرآن صدرت بذلك التمجيد، وختم الكثير منها بهذا التعظيم، وأكد تعظيم القرآن بأعظم ما يعظم به من أساليب الكلام والمؤكدات، كمثل ذلك القسم الذي تقشعر لعظمته الأبدان، ويخبت له القلب والجنان، والذي يسبق في كثير من المواضع؛ توطئة لتعظيم القرآن.

أمَّا الحفظ الذي عني به القرآن فلا شك أنَّه من أعظم ركائز

---

(١) نظم الدرر (٢١/ ١٥٣).

عظمته؛ إذ لا يزال يضفي عليه ما اختص به من العناية والمنعة والحماية والحصانة والكرامة أعظم المجد وأعلاه، حتى لم يعظم كتاب كما عظم، فلم يعظم الله الخالق ﷻ كتابًا من كتبه كما عظمه، ولم يعظم المخلوقون منذ بدء الخليقة كتابًا كما عظم القرآن؛ ذلك أنه كلام الله وأنه خالد محفوظ.

وكان من أعظم ثمرات حفظ القرآن ما أضفى عليه الحفظ من العظمة البالغة، ويمكن دراسة هذه الثمرة من ثمرات حفظ القرآن في المطالب التالية.

۞ ۞ ۞

المطلب الأول

تعظيم الآيات للقرآن الكريم

أظهرت الآيات الكريمة عظمة القرآن، بأساليب متنوعة تلخيصها فيما **يلي**:

الفرع الأول

ضرب الأمثال لبيان عظمة القرآن

ضرب الله تعالى أمثلة تبيِّن عظمة القرآن الكريم، وهي في مقصودها تصور العظمة تصويرًا حسيًّا، ويسهل للعباد قياس الأحوال[1]؛ بحيث يستعظم العقل بتفكره فيها حقيقة عظمة القرآن التي قد تفوته بسبب الغفلة عن تعظيم ما ينبغي أن يعظم.

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

أخبر الله تعالى عن تعظيم شأن القرآن؛ بأنَّه لو أنزل القرآن على جبل، ثم أعطى الجبل الملكات العقلية والفكرية التي أوتي مثلها البشر، لكان ذلك ـ على قساوته وصلابته ـ خاضعًا مستكينًا لما يعقله من عظمة القرآن، ورهبة موقف الخطاب الإلٰهي، ولما استطاع أن يتحمل موقف خطاب الترهيب والترغيب، والتكليف والتخويف، وحذرًا من أن لا

---

(١) انظر: الأصلان في علوم القرآن (ص٣٤٦).

يكون مؤديًا ما افترض عليه من تعظيم القرآن عند سماعه[١].

وكان «هذا توبيخ لمن لا يحترم القرآن، ولا يؤثِّر في قلبه مع الفهم والعقل، وَيَدُلُّك على هذا المثل قوله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾»[٢].

ولما أكثر المشركون طلبهم لخوارق العادات دليلًا على صدق ما جاء به الرسول ﷺ أبان الله لهم أن ذلك ليس بوسع الرسول ﷺ فهو بشر مثلهم، وبيَّن أنَّ القرآن عظيم ولو كان ثمة خوارق وانقياد للجمادات، لكان لهذا القرآن[٣].

فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، جواب الشرط محذوف، قيل: تقديره: لما آمنوا، وهو اختيار الزجاج، قال: «والذي أَتَوَهَّمُه ـ والله أعلم ـ وقد قاله بعض أهل اللغة، أنَّ المعنى: لو أن قرآنًا سيرت به الأرض أو كلم به الموتى لما آمنوا به»[٤].

ورجح كثير من المفسرين تقدير الكلام: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لكان هذا القرآن.

قال الأخفش: «لو سيرت الجبال بقرآن غير هذا لكان هذا القرآن»[٥]. وقال الماوردي: «وجواب هذا محذوف وتقديره: لكان هذا

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٢٧٨)، ومعالم التنزيل (٨/ ٨٧)، ونظم الدرر (١٩/ ٤٦٣).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٢٦٤).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (ص٤٠٧)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٣٦).

(٤) معاني القرآن، للزجاج (٣/ ١٤٨).

(٥) معاني القرآن، للأخفش (١/ ١٤٢).

القرآن، لكنَّه حذف إيجازًا لما في ظاهر الكلام من الدلالة على المضمر المحذوف»[١].

وقال الطبري: «لم يصنع ذلك بقرآن قط ولا كتاب، فيصنع ذلك بهذا القرآن»[٢]. وقال ابن عطية: «جواب لَوْ محذوف، ولكن ليس في هذا المعنى، بل تقديره: لكان هذا القرآن الذي يصنع هذا به، وتتضمن الآية ـ على هذا ـ تعظيم القرآن، وهذا قول حسن يحرز فصاحة الآية»[٣].

الفرع الثاني

تعظيم القرآن في فواتح السور

افتتحت أربع وثلاثون سورة في القرآن بتعظيم القرآن، والتنويه على شرفه وبركته، ولفت الأنظار إلى أحقيته وحفظه، ولهذه الآيات مقصدها في تعظيم القرآن؛ لذلك ربط بعض العلماء بين الحروف المقطعة في أوائل السور، وبين تمجيده وتعظيمه.

ومن ذلك قولهم: أنَّ هذه الحروف ذكرت لتدل على أنَّ القرآن مؤلف من الحروف التي يتحدث بها العرب ويعقلونها، وأنَّه نزل بلغتهم ولسانهم، ولم ينزل بلسان آخر، ومع ذلك فهم عاجزون أن يأتوا بمثله أو بمثل طائفة منه[٤]. ويرى الباحث أنَّ هذا أحسن ما قيل في الحروف المقطعة في أوائل السور.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١١٢). (٢) جامع البيان (١٦/ ٤٥٠).

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٣١٣).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ١٧٥)، ووجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور، د. فهد الرومي (ص١٢، ١٦ ـ ١٧)، وعظمة القرآن، د. محمود بن أحمد (ص٨٤).

وتنوعت أساليب التمجيد للقرآن في افتتاحية تلك السور، فمنها: ما افتتح بنفي الشك عن القرآن، كفاتحة سورتي البقرة، والأعراف.

ومنها: ما افتتح بتفخيم شأن القرآن بالقسم، كافتتاحيات سور: يس، ق، الزخرف، والدخان.

ومنها: ما افتتح بتعظيم القرآن بكونه منزلًا من عند الله، كافتتاحيات سور: إبراهيم، الزمر، غافر، فصلت، الجاثية، والأحقاف.

ومنها: ما افتتح بالقسم بالقرآن وسيأتي الحديث عن ذلك، ومنها ما افتتح بوصف القرآن بالإحكام كسور يونس، وهود.

ومنها: ما جمع أكثر من أسلوب ومقصد في تعظيم القرآن، وقد سبق الحديث عن تفسير بعضها أثناء البحث[1].

الفرع الثالث

تعظيم القرآن في خواتم السور

ختمت أربع وعشرون سورة بتعظيم القرآن وتمجيده، أو ما يشير إلى ذلك بأساليب ومقاصد متنوعة، فمثلًا ختمت سورة الأعراف بتعظيم شأن القرآن، وذلك بالأمر بالاستماع والإنصات له، وختمت بعضها بما يعظم شأنه بالأمر باتباعه كسورة يونس.

---

(١) السور التي افتتحت بتمجيد القرآن هي: (البقرة: ١ ـ ٢)، (آل عمران: ١ ـ ٣)، (الأعراف: ١ ـ ٢)، (يونس: ١)، (هود: ١)، (يوسف١ ـ ٢)، (الرعد: ١)، (إبراهيم: ١)، (الحجر: ١)، (الكهف: ١)، (طه: ٢،١)، (النور: ١)، (الفرقان: ١)، (الشعراء: ٢)، (النمل: ١ ـ ٢)، (القصص: ١ ـ ٣)، (لقمان: ١ ـ ٢)، (السجدة: ١ ـ ٢)، (يس: ١ ـ ٥)، (ص: ١)، (الزمر: ١ ـ ٢)، (غافر: ١ ـ ٢)، (فصلت: ١ ـ ٣)، (الشورى: ١ ـ ٣)، (الزخرف: ١ ـ ٤)، (الدخان: ١ ـ ٣)، (الجاثية: ١ ـ ٢)، (الأحقاف: ١ ـ ٢)، (ق: ١)، (الرحمٰن: ٢)، (الجن: ١ ـ ٢)، (العلق: ١ ـ ٥)، (القدر: ١)، (البينة: ١ ـ ٣).

وختم بعضها بنفي الريب عنه كسورة يوسف، ومنها ما ختم ببيان أن القرآن فيصل النزاع وطريق الهداية والنجاة، كسورة النمل، ومنها ما ختم ببيان عظيم حفظه وصونه، كخاتمة سور الواقعة، الحاقة، والبروج، ومنها ما ختم ببيان أن مصدره، وتنزيله من الله، كسورة القلم، ومنها: ما جمعت في خاتمتها بين أكثر من معنى وأسلوب يقرر حفظ القرآن الكريم وتعظيمه[(١)].

الفرع الرابع

وصف القرآن بأوصاف العظمة

خاطب الله نبيه ﷺ مؤكدًا له عظمة القرآن الكريم، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧]؛ آتيناك سبعًا من المثاني، قيل: معناه السبع الطوال[(٢)]، وقيل: سورة الفاتحة، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري[(٣)]؛ لأنَّ عدد آياتها سبع آيات، ووصفت بالمثاني؛ لِأَنَّهَا تثنى فِي كل صَلَاة، وقيل: لأنَّها تثنى في

---

(١) السور التي ختمت بحديثها عن القرآن هي: (الأعراف: ٢٠٤)، (يونس: ١٠٩)، (يوسف: ١١١)، (إبراهيم: ٥٢)، (الكهف: ١١٠)، (النمل: ٩١ ـ ٩٣)، (الروم: ٥٨ ـ ٦٠)، (ص: ٨٦ ـ ٨٨)، (فصلت: ٥٢ ـ ٥٤)، (الشورى: ٥٢ ـ ٥٣)، (الدخان: ٥٨ ـ ٥٩)، (النجم: ٥٩ ـ ٦٢)، (الواقعة: ٩٥ ـ ٩٦)، (القلم: ٥١ ـ ٥٢)، (الحاقة: ٤٨ ـ ٥٢)، (المدثر: ٥٤ ـ ٥٦)، (الإنسان: ٢٩ ـ ٣١)، (المرسلات: ٥٠)، (التكوير: ٢٧ ـ ٢٩)، (الأعلى: ١٨ ـ ١٩)، (البلد: ١٩ ـ ٢٠).

(٢) انظر: معاني القرآن، للزجاج (٣/ ١٨٦)، والنكت والعيون (٣/ ١٧٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق: تفسيره: تفسير سورة الحجر (٢/ ٢٥٩)، رقم: (١٤٥٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، وأخرجه الطبري في جامع البيان (١/ ١٠٩)، عن الحسن البصري من قوله.

الصلاة[١]، وقيل: لأنَّها يثنى فيها الرحمٰن الرحيم[٢]، ووصف القرآن بالمثاني في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، قيل: لأن الأنباء والقصص تثنّى فيه[٣]، وقيل: لأنَّ آياته يتلو بعضها بعضًا فثنيت الأخيرة على الأولى[٤].

ثم عطف الله تعالى القرآن واصفًا إياه بالعظمة، بالسبع المثاني، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ﴾، امتنان من الله على نبيه ﷺ وتعظيمًا لما أوتيه من الوحي.

قال ابن عاشور: «وَأُوثِرَ فعل (آتَيْناكَ) دون (أَوْحَيْنَا) أَوْ (أَنْزَلْنَا)؛ لِأَنَّ الإعطاء أظهر في الإكرام والمنة»[٥]. فمع الخبر المقترن بالامتنان والإكرام يقول له: لقد آتيتك أمرًا عظيمًا؛ وللآية مقصدها من تعظيم القرآن، في نفس الرسول ﷺ والمؤمنين.

إنَّها تهيئة نفسية لنفس الرسول ﷺ غرضها إعداده لحمل رسالة القرآن، إلى جانب العديد من التهيئات الأخرى المرادة للغرض ذاته؛ كتهيئة الرسول ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥]، وكقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾ [الطارق: ١٣ ـ ١٤]، وغيرها من التهيئات الاستباقية التي يعلم بها الرسول ﷺ حال الدعوة وحال القرآن، فيقوم على إثر ذلك بحق الرسالة على الوجه الأكمل المناسب لمقام الكتاب العزيز، ومقام الرسالة.

وفيها تنويه له وللمؤمنين أن يستغنوا بعظيم شأن القرآن عن حطام

---

(١) انظر: غريب القرآن، السجستاني (١/ ٢٦٣) والنكت والعيون (٣/ ١٧٠).
(٢) النكت والعيون (٣/ ١٧٠).
(٣) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ٣٦).
(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٥٤).
(٥) التحرير والتنوير (١٤/ ٧٩).

الدنيا وبهرجها؛ لذلك عقبها بقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨]؛ أي: كما آتيناك القرآن العظيم، فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها، واستغن به عن حطامها وزخرفها الفاني[١].

ووصف القرآن بالمبارك في مواضع متعددة من الكتاب العزيز، كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

البركة كثرة الخير والنفع والفضل، قال ابن عاشور: «والقرآن مبارك؛ لأنَّه يدل على الخير العظيم، فالبركة كائنة به، فكأنَّ البركة جعلت في ألفاظه؛ ولأنَّ الله تعالى قد أودع فيه بركة لقارئه المشتغل به، بركة في الدنيا وفي الآخرة؛ ولأنَّه مشتمل على ما في العمل به كمال النفس وطهارتها بالمعارف النظرية ثم العملية، فكانت البركة ملازمة لقراءته وفهمه»[٢].

هذه البركة التي عُني بها القرآن الكريم، لا يدرك بركتها من الناس إلا مَن اتبع القرآن، وعمل به وسعى في تطبيقه، وزكَّى نفسه بما فيه من التوجيهات، ومهَّد لنفسه خيرًا يجده في الآخرة بعبادة ربه بما فيه من القربات.

قال الرازي: «قد جرت سنة الله تعالى بأنَّ الباحث عنه: (أي: القرآن) والمتمسك به يحصل له عز الدنيا وسعادة الآخرة»[٣].

---

(١) انظر: عظمة القرآن د. محمود بن أحمد (ص١٩٦).

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٧٠). (٣) التفسير الكبير (١٣/ ٦٤).

وعظَّم الله نفسه العظيمة، وأضاف ذلك إلى إنزال الكتاب العظيم على رسوله الكريم ﷺ، قال الفيروزآبادي: «.. بيان عظمة القرآن، وشرفه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، واختُلِف في معناه: فقِيل: لم يزل ولا يزال. وقيل: تبارك تقدّس. وقيل: تَعظَّم. وقيل: تعالى.

وكلّ موضع ذُكِر فيه: (تبارك) فهو تنبيه على اختصاصه ـ تعالى ـ بالخيرات المذكورة مع (تبارك). مثل قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾ [الفرقان: ٦١]؛ فإنَّه تنبيه على اختصاصه بما يُفيضه علينا من نِعمِهِ، بوساطة هذه البروج»[١].

ووصف القرآن كذلك بالمجيد؛ لأنَّه بلغ النهاية في الكمال عظمة وحفظًا، وسائر ما اختص به، ووصف بالحكيم والعزيز؛ لأنَّه منيع محمي بحماية الله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، ووصف الله كتابه بما وصف به نفسه بعدد من الصفات تعظيمًا له إعلاء لشأنه[٢].

إنَّ صفات كثيرة هي التي جعلت القرآن عظيمًا، حتى كان أعظم الكتب وأقدسها وأبركها، والمهيمن عليها.

الفرع الخامس

نسبة القرآن إلى الله تعالى

(١) نسبة إنزاله إلى الله تعالى:

أضاف الله إنزال القرآن إليه ﷻ في خمسين آية أو تزيد، والتأكيد

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٩٤).

(٢) [راجع: فصل: دلالة أسماء القرآن وصفاته على حفظ القرآن. صفحة (٢١١)، وما بعدها من هذه الرسالة].

على ذلك في هذا العدد الكثير من الآيات له دلالته على العناية البالغة التي يريدها الله تعالى لكتابه الكريم؛ فهي مع كثرة تكرارها دليل إرادة الله أن ينسب القرآن إليه وحده، وأن لا يجعل له نسبة إلى غيره.

هذا التأكيد بهذه الكثرة من الآيات على نسبة القرآن ـ كلامًا وإنزالًا ـ إلى الله؛ ليقطع التقولات الكثيرة والمتنوعة في نسبة القرآن، عند المشركين وأهل الكتاب، حيث ينسبونه فينة إلى الرسول ﷺ وأنَّه من قوله، وينسبونه فينة أخرى إلى معلم، وأخرى إلى أقاصيص الأولين، وأخرى إلى رجز الشعراء، وأخرى إلى سجع الكهان، وأخرى إلى كيد السحرة، وأخرى إلى المنامات، وأخرى إلى الجنون؛ فجاءت الآيات الكريمة يعضد بعضها بعضًا، لتثبت أن مصدر القرآن واحد، وأنَّه من عند الله تعالى.

وفي إسناد نزول القرآن فوائد تلخيصها فيما يلي:

- تعظيم شأن القرآن الكريم.
- إظهار عناية الله تعالى بكتابه العظيم.
- بيان كونه محفوظًا؛ لأنَّ الله تعالى أنزله بعلمه، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: ١٠١].

(٢) القرآن صفة من صفات الله تعالى[(١)]:

أضيف القرآن إلى الله إضافة صفة إلى موصوف في قوله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

(١) أجمع أهل السُّنَّة على أنَّ القرآن صفة من صفات الله. انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٧٧ ـ ٧٨). والتحبير شرح التحرير، لأبي الحسن الصالحي الحنبلي (٦/ ٣٠٢٨)، وشرح العقيدة السفارينية (ص٢٢٠).

[التوبة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، قال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾، وإنما سمعه من التالي[1]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ـ ١٩٤]، وهو محفوظ في الصدور، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩]»[2].

(٣) القرآن وحي من الله:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]؛ يقول الله تعالى: كما أوحينا إلى سائر رسلنا أوحينا إليك روحًا من أمرنا، وفي هذا تعظيم لشأن القرآن؛ حيث نسب وحيه إليه، ووصفه بالروح؛ لأنَّ القلوب الميتة تحيا به من موت الكفر والجهل[3][4].

---

(١) أي: القارىء الذي يتلوه، وقال ذلك بيانًا أنَّه مع كونه مسموعًا من التالي لا يخرج عن كونه كلام الله؛ لأنَّ الكلام ينسب لمن قاله ابتداء لا لمن نقله أداء. انظر: تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص٢٠١).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد، للمقدسي (ص١٣٣).

(٣) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٣٧٨)، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٧٦).

(٤) [سبق تفصيل الحديث عن دلالة أسماء القرآن وصفاته على حفظ القرآن. الصفحات: (٢٢٩ ـ ٢٣٠) من هذه الرسالة].

الفرع السادس

القَسَم بالقرآن، على عظمة القرآن وحفظه

القَسَم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقوي الثقة به، له فائدته في التأكد والتأكيد على صحة الخبر، وإبطال الشك والجحود الذي يثار حوله. والمخاطبون بالقرآن منهم المؤمن المصدق، أو الكافر الجاحد، ومنهم الشاك المتذبذب بين التصديق والتكذيب، «فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة»[(١)].

ويمكن تنويع القسم المفيد تعظيم القرآن إلى **ثلاثة أنواع**:

الأول: القسم بالقرآن على القرآن بصريح العبارة.

الثاني: القسم بالقرآن على القرآن بطريق الإشارة.

الثالث: القسم بغير القرآن على القرآن.

أولًا: القسم بالقرآن على القرآن بصريح العبارة:

فائدة القسم بالقرآن تعظيمه والتنويه بعلو شأنه وقدره؛ فالله تعالى لا يقسم إلا بعظيم[(٢)].

قال الشوكاني: «الإقسام به تنبيه على شرف قدره»[(٣)]، وقال ابن عاشور: «الْقَسَمُ بالقرآن كناية عن شرف قدره وتعظيمه عند الله تعالى»[(٤)].

---

(١) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص٣٠٢).

(٢) انظر: مختصر في قواعد التفسير (ص١٧).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٦/ ٢٨٨).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ٣٤٥).

وقد أقسم الله تعالى بالقرآن على القرآن في موضعين في القرآن الكريم:

(١) في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤].

(٢) وفي قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ١ ـ ٣].

في كلتا الآيتين أقسم بالقرآن ووصفه فيهما بأنه مبين وأطلق؛ «ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة»[١].

وفي الآية الأولى المقسم عليه هو:

- وضوح القرآن بعربيته الفصحى، وأنَّ الله جعله كذلك ليُعقل ويُفهم.
- أنَّه محفوظ في أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ.

أمَّا الآية الثانية فكان المقسم عليه هو نزول القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر التي من شأنها أن يفرق؛ أي: يفصل فيها كل أمر حكيم محكم، ويكتب فيها مقادير الخلق، وما هو كائن في السنة من خير وشر[٢].

هذا الأمر بإنزال القرآن في الليلة المباركة أمر من الله تعالى، وبإذنه، لأجل هداية العباد وتعريفهم بخالقهم ﷻ ومصالحهم في الدنيا والآخرة، رحمة من ربك؛ فهو يريد لهم النجاة والهداية، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٧٦٢).
(٢) تذكرة الأريب، لابن الجوزي (ص٣٤٩).

ثانيًا: القَسَم بالقرآن على القرآن بطريق الإشارة:

في هذا النوع يكون المقسم عليه أشياء لها علاقتها بالقرآن الكريم؛ كالقسم على صدق الرسول ﷺ وصحة نبوته، ولها علاقتها بصحة القرآن وصدقه وحفظه، وجاء هذا النوع في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم وهي:

(١) قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [يس: ١ ـ ٣].

(٢) قوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص: ١ ـ ٢].

(٣) قوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١].

اقترن القسم بالقرآن في الآيات الثلاث بصفات هي: الحكيم، المجيد، ذي الذكر، ووصف بذلك بيانًا لعظمته، بكونه حكيمًا محكمًا، بالغًا درجة الكمال بما اختص به من الصفات، ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾؛ أي: ذي الشرف التام، المخبر عن المغيبات[١].

أمَّا المقسم عليه **في الآية الأولى**، فصدق الرسول ﷺ وصحة رسالته، ولا يخفى علاقة ذلك بالقرآن؛ حيث تتلازم صحة رسالته مع صحة القرآن، وصدقه مع صدقه؛ فكأنَّه في هذه الآيات أقسم بالقرآن على القرآن نفسه.

وفي الآية الثانية: المقسم عليه محذوف بتقدير: والقرآن ذي الذكر، ما الأمر كما يقول الكفار في القرآن والرسول ﷺ[٢]. وهنا أيضًا

---

(١) انظر: معاني القرآن، للنحاس (٦/ ٧٥)، ومعاني القرآن، للزجاج (٤/ ٣١٩)، وتفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٤/ ٤٢٣).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٥٣٨)، وتفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (٤/ ٤٢٤).

يلاحظ أنَّ المقسم عليه هو حقيقة عظمة القرآن، وحفظه وأحقيته، وصدق الرسول ﷺ.

ومثل ذلك في الآية الثالثة، يقول ابن كثير في جواب قسمها: «الجواب هو مضمون الكلام بعد الْقَسَم، وهو إثبات النبوة، وإثبات المعاد، وتقريره وتحقيقه وإن لم يكن الْقَسَمُ مُتَلَقًّى لَفْظًا»[1]. **قلت:** إثبات النبوة متلازم مع الحديث عن ثبوت صحة القرآن وعظمته وحفظه فتأمل.

إذن، جواب القسم في الآيات الثلاث يفيد بطريق الإشارة عظمة القرآن، وحفظه وصدقه، وهي مناسبة مهمة بين القسم وجوابه.

ثالثًا: القَسَم بغير القرآن على القرآن:

أقسم الله تعالى بغير القرآن، على القرآن، في أربعة مواضع في الكتاب وهي كما **يلي**:

(١) قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠].

(٢) قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٣].

(٣) قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٣٩٥).

وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ١٥ ـ ٢٧].

(٤) قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١١ ـ ١٤][1].

❁ ❁ ❁

(١) [سبق الحديث عن كل هذه الآيات فليراجع في مكانه، الصفحات: (٣٥، ٥٨، ٦٦، ١٥٨)، من هذه الرسالة].

المطلب الثاني

علاقة حفظ القرآن بعظمته

إنَّ القرآن الكريم عظيم؛ لأنَّه متصف بصفات الكمال التي يصعب حصرها، وقد سبق الحديث عن العديد منها، لكن أهم ما جعله عظيمًا ركيزتان أساسيتان:

الأولى: أنَّه كلام الله تعالى: فليس ثمة كلام على وجه الأرض بلفظه ومعناه هو كلام الله إلا القرآن الكريم، وهذا أمر يعظمه ويميزه عن غيره من الكلام، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: ٦٧ ـ ٦٨]، قال مقاتل: «القرآن حديث عظيم؛ لأنَّه كلام الله ﷻ»[(١)].

الثانية: أنَّه محفوظ على الدوام بأنواع الحفظ التي أضفاها الله تعالى على كتابه الكريم، وتكفل بأن يحفظه بنفسه وقد سبق تفصيل الحديث عن ذلك.

ومن هنا تظهر العلاقة بين حفظ القرآن وعظمته، باعتباره ركيزة أساسية في عظمته، وأظهرت الآيات الكريمة هذه العلاقة؛ فقد قرن الله تعالى بين عظمة القرآن وبين حفظه، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢]، **وقرن بين عظمة القسم وعظمة القرآن وبين حفظه وهو المقسم عليه كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾** [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٥٢)، والتفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٥٦٦).

المطلب الثالث

فضل أهل القرآن وعلو مكانتهم

حامل القرآن عالي القدر والفضل والثواب في الدنيا والآخرة، والآيات الكريمة لم تغفل إثبات هذا الفضل لحامل القرآن، بل رغبت في ذلك بما يحفز طلاب الآخرة، ومريدي شرف الدنيا والآخرة على طلب علمه حفظًا وفهمًا، ودعت الباحثين عن الثواب على أعلاه، والخير على أتمه، والفوز والفلاح على أكمله أن يكونوا من أهله العاملين به، واعدة لهم في الوقت ذاته بعظيم الأجر وأعظم الدرجات، فضلًا عن مغفرة الذنوب والسيئات.

ولنتأمل الآن في تلك الآيات مفسرة بالسُّنَّة المطهرة وهي تحمل وراء حروفها من المعاني العظيمة والجليلة في علو قدر وأجر أهل القرآن في الدنيا والآخرة وبيان ذلك من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول

من هم أهل القرآن؟

في لسان العرب: «أهل القرآن هم: أهل الله وخاصته؛ أي: حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به. وفي حديث أبي بكر في استخلافه عمر [رضي الله عنهما]: «**أَقول لَهُ إِذا لَقِيتُه، اسْتعملتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ**»[(١)(٢)].

---

(١) لسان العرب، مادة: (أهل) (١١/ ٢٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق، مصنفه في كِتَاب الْمَغَازِي، اسْتِخْلَافُ أَبِي بَكْرٍ عُمَرَ رَحِمَهُمَا اللهُ (٥/ ٤٤٩)، رقم: (٩٧٦٤)، عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها.

وثبت وصف أهل القرآن بأهل الله عن الرسول ﷺ، فقد روى ابن ماجه وغيره بسند صحيح عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»(١).

قال عبد الرؤوف المناوي رَحِمَهُ اللهُ(٢): «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته؛ أي: حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله المختصون به اختصاص أهل الإنسان به، سموا بذلك تعظيمًا لهم كما يقال: بيت الله»(٣).

الفرع الثاني

سمات أهل القرآن

ليس كل حافظ للقرآن من أهل الله، بل يتصف أهل القرآن بصفات ملازمة لتلك الأهلية نوجزها فيما **يلي**:

(١) العمل بالقرآن الكريم:

وهي سمة أهم من حِفظه بمعنى استظهاره.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: [افتتاح الكتاب]، باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه (١/ ٧٨)، رقم: (٢١٥)، ورواه النسائي والحاكم كلهم عن ابن مهدي قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن بديل عن أبيه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٠)، رقم: (١٤٣٢).

(٢) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي، المناوي، القاهري، أخذ التفسير والحديث، وله نحو ثمانين مصنفًا، منها: الكبير والصغير والتام والناقص، توفي سنة: ١٠٣١هـ. انظر: فهرس الفهارس (٢/ ٥٦٠)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ١٦٦)، والأعلام، للزركلي (٦/ ٢٠٤).

(٣) فيض القدير (٣/ ٦٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأمَّا مَن حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم»[1].

(٢) صدق الإيمان بالله وكتابه، ودينه:

قال تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة: ١٢١]؛ فأخبر جل شأنه أنَّهم مؤمنين به لا يشكون في أخباره، وأحكامه، وأقاصيصه، وسائر ما جاء به، ويؤمنون أنه كلام الله بلفظه ومعناه، كما يؤمنون بحفظه، وأنه ممنوع أن يطال فيبدل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والناس في (الإيمان والقرآن) **أربع طبقات**:

- **الأولى**: أهل القرآن والإيمان، وهم أفضل الناس.
- **الثانية**: مَن عدم القرآن والإيمان.
- **الثالثة**: مَن أُوتي قرآنًا، ولم يؤت إيمانًا.
- **الرابعة**: مَن أُوتي إيمانًا ولم يؤت قرآنًا»[2].

(٣) الإخلاص لله تعالى؛ فهم يحفظون القرآن لوجه الله تعالى، يريدون ما عنده من الخير والثواب، ولا يريدون غيره.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حفظه لوجه الله تبارك وتعالى، وليس للدنيا والدرهم

---

(١) زاد المعاد (١/ ٣٢٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٢٧).

والدينار، وإلا فقد قال ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قرَّاؤها**»[(١)(٢)].

قال المناوي: «أَرَادَ نفاق الْعَمَل وَهُوَ الرِّيَاء لَا الِاعْتِقَاد»[(٣)]. **قلت**: في الحديث تحذير شديد للقراء من الرياء، حيث ينبغي أن يحرص قارىء القرآن على إصلاح نيته ومراقبتها أن تكون لله ﷻ وأن لا يكون لغيره فيها حظ وإن قل.

(٤) لزوم التقوى والورع: قال الآجري[(٤)] رحمه الله: «فأول ما ينبغي له (أي: حامل القرآن) أن يستعمل تقوى الله في السر والعلانية؛ باستعمال الورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه، بصيرًا بزمانه وفساد أهله، فهو يَحْذَرهم على دينه، مقبلًا على شأنه، مهمومًا بإصلاح ما فسد من أمره، حافظًا للسانه، مميزًا لكلامه، إن تكلم تكلم بعلم إذا رأى الكلام صوابًا، وإن سكت سكت بعلم إذا كان السكوت صوابًا، قليل الخوض فيما لا يعنيه»[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (١١/ ٢١١)، رقم: (٦٦٣٤). وابن أبي شيبة في المصنف: كتاب: الزهد، باب: مَا ذُكِرَ عَنْ نَبِيِّنَا فِي الزُّهْدِ (٧/ ٧٩)، رقم: (٣٤٣٣٥)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسَّنه الألباني بمجموع طرقه، في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧٥) رقم: (٧٥٠).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٢٨٤).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (١/ ٢٠٠).

(٤) أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، البغدادي، فقيه، محدث، حافظ، إخباري، له تصانيف كثيرة، منها: «أخبار عمر بن عبد العزيز»، و«أخلاق حملة القرآن»، و«أخلاق العلماء»، و«التفرد والعزلة»، و«حسن الخلق»، و«الشبهات»، و«تغير الأزمنة»، و«النصيحة» وغيرها، قال السيوطي: «كَانَ عَالمًا عَاملًا صَاحب سنة، ديِّنًا ثِقَة، توفّي ٣٦٠هـ». انظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي (ص٣٧٩)، ومعجم المؤلفين (٩/ ٢٤٣).

(٥) أخلاق أهل القرآن (ص٧٧ ـ ٧٨).

(٥) الاجتهاد في العبادة، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «ينبغي لحامل القرآن أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذِ الناس نائمون، وَنَهَارِهِ إِذِ الناس مفطرون، وبورعه إذ الناس يَخْلِطُونَ، وبتواضعه إِذِ الناس يختالون، وبحزنه إِذِ الناس يفرحون، وببكائه إِذِ الناس يضحكون، وبصمته إِذِ الناس يخوضون»(١).

(٦) أخلاقهم أخلاق القرآن: يقتدون في ذلك بالرسول ﷺ؛ فعن عائشة رضي الله عنها وقد سُئلت عن خُلق الرسول ﷺ فقالت: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللهِ** عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]»(٢).

(٧) الترفع عن اللغو واللهو وما لا فائدة فيه: قال الفضيل بن عياض: «حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو»(٣).

(٨) الوسطية والاعتدال: فهم متمسِّكون بالكتاب، دون إفراط أو تفريط(٤)، وهو مقصد مراد في قول الرسول ﷺ: «**وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ**»(٥).

غير الغالي فيه؛ أي: غير المتجاوز الحد في العمل به وتتبع ما

---

(١) أخرجه أبو إسحاق الفزاري في السير (١/ ٢٧١)، رقم: (٤٩٠)، والآجري في أخلاق أهل القرآن (ص١٠١ ـ ١٠٢)، رقم: (٣٦)، والإمام أحمد في الزهد، لأحمد بن حنبل (١/ ١٣٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند عائشة رضي الله عنها (٤١/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، رقم: (٢٤٦٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٧٢)، رقم: (٤٨١١).

(٣) أخلاق أهل القرآن (ص١٠٣).

(٤) انظر: أثر القرآن في تحقيق الوسطية (٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨).

(٥) [الحديث: سبق تخريجه صفحة (٣٠٨) من هذه الرسالة].

تشابه منه، ويدخل في الغلو فيه فعل المتبدعة في تأويلهم لآيه بالباطل[١].

والمتجافي عنه: المعرض عن تلاوته، وأحكام قراءته، وتفهُّم معانيه، والعمل بما فيه[٢]، قال المناوي: «فالغلو فيه: التعمق، والجفاء عنه: التقصير، وكلاهما سيئة»[٣].

(٩) عفة النفس والاستغناء بالقرآن: وعدم الاستشراف لما في أيدي الناس، قال الفضيل بن عياض: «ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الخلق؛ إلى الخليفة فمن دون، وأن تكون حوائج الخلق إليه»[٤].

الفرع الثالث

علو مكانة أهل القرآن

(١) يرجون تجارة لن تبور:

يقول تعالى في فضل القراء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

قال مطرف بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ آيَةُ الْقُرَّاءِ»[٥]. وقال الجصَّاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَمَّى الإيمان تجارة على وجه المجاز تشبيهًا بالتجارات المقصود بها الأرباح، كما سمى بذل النفوس لجهاد أعداء الله تعالى شِرًى.

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣١١٤).
(٢) المرجع السابق (٨/ ٣١١٤).
(٣) فيض القدير (٢/ ٥٢٩).
(٤) أخلاق أهل القرآن (ص١٠٣).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٧٨)، والزهد والرقائق، لابن المبارك (ص٢٧٤)، وحلية الأولياء (٢/ ٢٠٣).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]»[(١)].

هذه التجارة مضمونة الربح، مأمونة الخسارة والكساد؛ لأنَّها معاملة مع الله تعالى، الذي بيده الملك؛ يجازي تفضلًا ويزيد، ويرحم ويتجاوز عن تقصير العبيد.

قال البقاعي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ [فاطر: ٢٩]؛ أي: تكسد وتهلك؛ بل هي باقية؛ لأنها دفعت إلى من لا تضيع لديه الودائع، وهي رائجة رابحة؛ لكونه تام القدرة، شامل العلم، له الغنى المطلق»[(٢)].

إذن، الوعد في آية القراء وعد بربح ليس فيه خسارة، لذلك قال تعالى عقبها: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٣٠]، فكانوا بذلك وقد زادهم الله أجورًا إلى أجورهم تفضلًا منه وهو الكريم الشكور، كانوا بذلك أعظم الناس أجرًا، وخير الناس في الدنيا والآخرة، كما قال الرسول ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[(٣)].

وأوضحت السُّنَّة النبوية هذا الوعد العظيم، التجارة الرابحة، والربح الذي لا يكسد، وزيادة الأجور التي نصَّت عليها آية القراء، تتبين إن شاء الله فيما بقي من الفقرات.

(٢) منزلة الحافظ للقرآن عند آخر آية يقرؤها:

روى عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ**

---

(١) أحكام القرآن، للجصَّاص (٢/ ٢١٧).

(٢) نظم الدرر (١٦/ ٥١).

(٣) [سبق تخريجه صفحة (٣٠٨)، من هذه الرسالة].

عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»[١].

في الحديث ترغيب عظيم في حفظ القرآن الكريم، وهو في فضل حافظ القرآن خاصة دون من يتلوه من المصاحف.

قال ابن حجر الهيتمي[٢]: «الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب لا بمن يقرأ في المصحف؛ لأنَّ مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها، ولا يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب..»[٣].

وقال الشيخ الألباني: «حافظه عن ظهر قلب على حد قوله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله..**»[٤]؛ أي: أحفظهم؛ فالتفاضل في درجات الجنة إنَّما هو على حسب الحفظ في الدنيا، وليس على حسب قراءته يومئذ واستكثاره منها كما توهم بعضهم»[٥].

(٣) حافظ القرآن مع السفرة الكرام البررة:

روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة (٢/ ٧٣)، رقم: (١٤٦٤)، قال الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٠٥)، رقم: (١٣١٧): «حسن صحيح».

(٢) أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي، فقيه باحث مصري، تلقى العلم في الأزهر، وله مؤلفات عدة منها: «تحفة المحتاج لشرح المنهاج» في فقه الشافعية، و«الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان»، و«الفتاوى الهيتمية» أربع مجلدات، وغيرها. توفي بمكة سنة ٩٧٤هـ. انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ٢٣٤).

(٣) الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي (ص١١٣).

(٤) [يأتي تخريجه صفحة (٤٧٢)، من هذه الرسالة].

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٢٨٤).

الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»(١).

بيَّن الحديث الشريف منزلة الماهر بالقرآن، وأنَّه في الآخرة يكون رفيقًا للملائكة، فكان الجزاء من جنس العمل؛ فلما اتصف حفّاظ القرآن بما اتصف به الملائكة السفرة الكرام البررة من تعظيم القرآن وحفظه، استحقوا بذلك أن يكونوا رفقاءهم في الآخرة(٢).

(٤) حملة القرآن هم أهل الله وخاصته:

روى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: **«هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»**(٣).

(٥) حافظ القرآن يلبس حلة وتاج الكرامة، ويفوز برضاء الله تعالى:

روى أبو هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»**(٤).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ: ١٨]، (٦/ ١٦٦)، رقم: (٤٩٣٧)، وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الماهر في القرآن، والذي يتتعتع فيه (١/ ٥٤٩) رقم: (٧٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ، للبخاري.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (٦/ ٨٤ ـ ٨٥).

(٣) [سبق تخريجه والحديث عنه، صفحة (٤٦١)، من هذه الرسالة].

(٤) أخرجه الترمذي: كتاب: فضائل القرآن، باب: (بدون عنوان) (٥/ ١٧٨)، =

فبيّن الحديث فوز حافظ القرآن بعدة كرامات يوم القيامة، حيث ألبس حلة الكرامة، ثم تاج الكرامة تمييزاً وبياناً لفضله، وأعظم من ذلك كله رضا الله تعالى.

(٦) مغفرة الذنوب والنجاة من عذاب الله:

أشارت آية القراء إلى ما يحظى به أهل القرآن من مغفرة الذنوب؛ ويدرك ذلك بالنظر إلى ما ختمت به الآية التالية لها من الأسماء والصفات، يقول الله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ [فاطر: ٣٠]، ختمت الآية الكريمة بصفتين عظيمتين لله تعالى.

الأولى: غفور للزلات والتقصير.

الثانية: شكور يقبل الأعمال ويجازي عليها.

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علل توفيتهم لها بقوله مؤكدًا إعلامًا بأنه لا يسع الناس إلا عفوه؛ لأنه لن يقدر الله أحد حق قدره وإن اجتهد، ولو واخذ أعبد العباد بما يقع من تقصيره أهلكه، ﴿غَفُورٌ﴾؛ أي: بمحو النقص عن العمل، ﴿شَكُورٌ ۝٣٠﴾؛ أي: يقبله ويزيد عليه»[1].

إنَّ أعظم فوز هو الفوز بالجنة والنجاة من النار، كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

هذا الفوز والفلاح يناله أهل القرآن يوم القيامة، روى عقبة بن

= رقم: (٢٩١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٧٩)، رقم: (١٤٢٥).

(١) نظم الدرر (١٦/ ٥١ ـ ٥٢).

عامر، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ، مَا مَسَّتْهُ النَّارُ**»(١).

وهذا من بركة القرآن الكريم، حتى لو كتب أو جعل في إهاب لم تمسه النار، لكن العلماء جعلوا هذا الحديث من باب أولى في جسد حامل القرآن؛ أي: إذا كانت النار لا تمس الإهاب لأن القرآن جعل فيه، فمن باب أولى حامل القرآن لا تمس جسده النار، وقد بوب أبو الفضل الرازي(٢) للحديث المتقدم بقوله: «باب فِي أن أهل القرآن لا تحرقهم النار»(٣).

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُكِيَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قوله: يُرْجَى لِمَنِ الْقُرْآنُ مَحْفُوظٌ فِي قَلْبِهِ أَنْ لَا تَمَسَّهُ النَّارُ»(٤).

وقال أبو عبد الله الحليمي(٥): «يعني: أنَّ من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار»(٦).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند عقبة بن عامر الجهني (٢٨/ ٦٣٦)، رقم: (١٧٤٢٠). وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال، باب: فضل من قرأه أو حرفًا منه (ص٦٦)، رقم: (١٩٧).

(٢) عبد الرحمٰن بن أحمد بن الحسن بن بندار العجلي الرازي، المكي مولدًا، المقرئ، تنقل في كثير من البلدان ثم نزل كرمان فحدث بها وقرأ عليه القرآن جماعة ومات بها في بلد أوشير سنة ٤٥٤هـ. انظر: التقييد لمعرفة رواة السُّنن والمسانيد (١/ ٣٣٤)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (١٨/ ١٣٥).

(٣) فضائل القرآن وتلاوته، للرازي (ص١٥٤).

(٤) شرح السُّنَّة، للبغوي (٤/ ٤٣٧).

(٥) الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي، أحد أئمة الدهر، وشيخ الشافعيين بما وراء النهر، توفي سنة: ٤٠٣هـ. انظر: طبقات الشافعية، للسبكي (٤/ ٣٣٣)، وطبقات الشافعيين، لابن كثير (ص٣٥٠).

(٦) شعب الإيمان (٤/ ٢٣٢).

فكان القرآن بذلك حافظًا لمن حفظه، وسببًا في نجاة صاحبه من عذاب الله ولو لم يكن لحامل القرآن فضل إلا ذلك لكفاه.

(٧) إجلال حامل القرآن من إجلال الله:

روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»(١).

سمي حامل القرآن بذلك لما يحمله من مشاق كثيرة؛ فيجب عليه القيام بحق القرآن وأن يحمل رسالته(٢)، وقد قال تعالى لرسوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥].

فكان إجلال حامل القرآن أمرًا أمَرَ به الشارع لإكرامه وتوقيره، وجزاء تحمُّله أمرًا عظيمًا وحملًا ثقيلًا، كما أن إجلاله إجلالٌ للقرآن ذاته؛ وذلك أنَّه إنَّما أكرم لأجل القرآن الذي يحمله، وليس لشيء آخر من حطام الدنيا الفاني، وكان لذلك إجلاله من إجلال الله، وعبادة يتقرب بها إلى الله تعالى.

(٨) حافظ القرآن من الذين أوتوا العلم:

قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٩﴾ [العنكبوت: ٤٩].

حفظ القرآن في الصدور من خصائص القرآن التي تميز بها عن غيره من الكتب، فإن ما مضى من الكتب لم تقرأ إلا من المصاحف(٣).

---

(١) [سبق تخريجه صفحة (٣٠٨)، من هذه الرسالة].

(٢) انظر: عون المعبود (١٣/ ١٣٢).

(٣) انظر: مدارك التنزيل (٢/ ٦٨١)، والتفسير المظهري (٧/ ٢٠٩).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْحِفْظَ، وَكَانَ مَنْ قبلها لا يقرؤون كتابهم إلا نَظَرًا، فإذا أَطْبَقُوهُ لم يحفظوا ما فيه، إلا النبيون»(١).

وبيَّنت الآية السابقة أنَّ حافظ القرآن من العلماء، لأنَّ قلبه قد وعى أعظم العلم وأشرفه، قال ابن عاشور في حديثه عن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩]: «فكان حملة القرآن بذلك أحقاء بأن يوصفوا بالعلم.. وبذلك انقطعت صفة الأمية عن المسلمين في نظر اليهود، وانقطعت ألسنة المعرضين بهم بأنَّهم أمة جاهلية»(٢).

ولا يخفى، والحالة هذه، فضل حفاظ القرآن ورفعة قدرهم، وصدارتهم وسيادتهم في الناس، كيف لا، وقد حوت صدورهم القرآن العظيم، وهم حراسه وحملته.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «[الحفاظ] هم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكُمَّل منهم، فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم»(٣).

(٩) حافظ القرآن مقدم على غيره:

أوصى الرسول ﷺ بتقديم حامل القرآن، تشريفًا وإكرامًا له، وعرفانًا بفضله، ومن ذلك أمره ﷺ بتقديمه في الإمامة، كما قال الرسول ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله..**»(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ٣٥٤).
(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٥).
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٦٣٣).
(٤) أخرجه مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: مَن أحق بالإمامة؟ =

وكما أعلى الله شأن حامله في الدنيا أعلى شأنه في الآخرة، فهو أولى الناس بالتقديم حتى بعد موته، فقد كان الرسول يقدم الأكثر حفظًا للقرآن في الدفن إكرامًا لهم.

روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ»[(١)].

وتأسى الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ في تقديم حامل القرآن؛ في الإمارة والمشورة وغيرهما، وكان القراء أصحاب مجلس عمر كهولًا كانوا أو شبابًا»[(٢)].

حقًّا إنَّ ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من الفضل والمكرمات شيءٌ عظيمٌ، وأمرٌ يدعو إلى غبطة[(٣)] مَنْ مَنَّ الله عليه بحفظ القرآن، ومَنَّ عليه بالعمل به والقيام بحقه، لذلك قال رسول ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ؛ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ**

= (١/ ٤٦٥)، رقم: (٦٧٣)، عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري: كتاب: الجنائز، باب: الصلاة على الشهيد (٢/ ٩١)، رقم: (١٣٤٣).

(٢) انظر: فضائل القرآن، لمحمد بن عبد الوهاب (ص٨ ـ ٩).

(٣) الْغِبْطَة: هي تمني الإنسان أن يكون له مثل الذي لغيره من غير إرادة إذهاب ما لغيره، وإن تمنى زواله كان ذلك حسدًا. انظر: مشارق الأنوار (١/ ٢١١)، والكليات (ص٦٧٢)، والقاموس الفقهي (ص٨٨).

مَالًا؛ فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَل»[(١)].

ما سبق كان سَوقًا لأبرز ما ورد في فضل حملة القرآن وعلو قدرهم، وإلا فقد كثر إهتمام أهل العلم بالتأليف فيه، بما لا يسع المقام في بسطه وعرضه وفيما دُوِّنَ كفاية إن شاء الله.

الفرع الرابع

المؤلفات في فضل القرآن وحملته

ألفت كثير من المؤلفات في فضائل القرآن وحملته، وهي غزيرة ببيان فضل القرآن وأهله، ومن العلماء من أفرده بالتأليف، ومنهم من ضمَّنه بعض كتابه، فيما يلي ذكر **أمثلة على ذلك**:

أولًا: من أفرده بالتأليف:

ومن أمثلة ذلك:

(١) فضائل القرآن للقاسم بن سلام[(٢)].

(٢) فضائل القرآن لابن الضريس[(٣)].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: اغتباط صاحب القرآن (٦/ ١٩١ ـ ١٩٢)، رقم: (٥٠٢٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل مَن يقوم بالقرآن، ويعلِّمه (١/ ٥٥٩)، رقم: (٨١٦)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) أبو عبيد، القاسم بن سلام من أبناء أهل خراسان، صاحب نحو وعربية، وطلب الحديث والفقه، وولي قضاء طرسوس (من بلاد الشام قرب عكا)، تُوفي سنة: ٢٢٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٥٥)، وإنباه الرواة (٣/ ١٢ ـ ١٤)، وبغية الطلب (١٠/ ٤٥٢٢).

(٣) أبو عبد الله، محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي، الرازي، محدث، =

(٣) فضائل القرآن للفريابي[١].

(٤) فضائل القرآن للنسائي.

(٥) فضائل القرآن للمستغفري[٢].

(٦) فضائل القرآن وتلاوته لأبي الفضل الرازي[٣].

(٧) فضائل القرآن للضياء المقدسي[٤].

(٨) فضائل القرآن لابن كثير.

(٩) فضائل القرآن للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب.

وغيرها من الكتب الكثيرة المؤلفة في هذا الشأن.

ثانيًا: من ضمَّنه بعض كتبه:

من العلماء من ضمَّن له جزءًا في كتابه كأصحاب كتب الحديث

= حافظ، من آثاره: «فضائل القرآن»، و«تفسير القرآن»، توفي بالري سنة: ٢٩٤هـ. انظر: السير، للذهبي (١٣/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠)، ومعجم المؤلفين (٩/ ٨٣).

(١) أبو بكر، جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، الفريابي. قاضي الدينور، ثقة حجة، من أوعية العلم، توفي في المحرم سنة: ٣١هـ. انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠١)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي (ص٣٠٥)، والوافي بالوفيات (١١/ ١١٢ ـ ١١٣).

(٢) أبو العباس، جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري، النسفي، له من الكتب: «معرفة الصحابة»، «الدعوات»، و«دلائل النبوة»، و«فضائل القرآن»، و«الشمائل»، وغيرها، كان خطيب نسف (من بلاد ما وراء النهر) وتوفي بها سنة ٤٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ٥٦٥)، والأعلام، للزركلي (٢/ ١٢٨).

(٣) عبد الرحمٰن بن أحمد بن الحسن. [تقدمت ترجمته صفحة (٤٧٠) من هذه الرسالة].

(٤) محمد بن عبد الواحد السعدي، المقدسي. [تقدمت ترجمته صفحة (١٦١)، من هذه الرسالة].

مثل: البخاري[١]، ومسلم[٢]، والترمذي[٣]، ومالك في «الموطأ»[٤]، وابن أبي شيبة في «المصنف»[٥]، والحاكم في «المستدرك»[٦] وغيرهم.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٨١).
(٢) انظر: صحيح مسلم (١/ ٥٤٣).
(٣) انظر: سنن الترمذي (٥/ ١٥٥).
(٤) انظر: موطأ مالك (٢/ ٢٨١).
(٥) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١١٦).
(٦) انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم (١/ ٧٣٦).

الخاتمة

وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبمحض إحسانه وتيسيره تَكُمُل الحسنات، له الحمد على ما مَنَّ به من الإعانة والتيسير، والتوفيق لإتمام كتابة رسالتي، وطي أبوابها وفصولها، وبعد: فقد حاولت من خلال هذا البحث استقراء الآيات القرآنية التي اشتملت على معاني حفظ القرآن كونًا وشرعًا، بالرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة وغيرها من الكتب ذات الصلة والعلاقة، وقد خرجت من هذا البحث بجملة من النتائج أهمها ما **يلي**:

١ ـ أنَّه تحقق للقرآن الكريم من الحفظ ما لم يحصل لكتاب قط؛ وذلك لما انفرد به من العناية الإلٰهية والكلاءة الربانية.

٢ ـ أنَّ حفظ القرآن له عنايته البالغة في الإرادة الإلٰهية، وليس أدل على هذه العناية من وعيد الله ﷻ لأحب الخلق إليه محمد ﷺ أن يهلكه لو تقوَّل غير المنزل في القرآن، وأن يذيقه ضعف العذاب في الدنيا والآخرة، وأن ينسيه القرآن إن هو فعل ذلك، وهذا ينبئ عن الغيرة الإلٰهية التي عُني بها القرآن.

٣ ـ أنَّه يوجد الكثير من الآيات التي تحدثت عن حفظ القرآن وأبرزت العناية الإلٰهية بحفظه؛ بل لا يكاد يذكر القرآن في موضع من المواضع إلا وفيه حديث بصريح العبارة أو بطريق الإشارة عن حفظ القرآن أو تعظيمه.

٤ ـ أنَّ القرآن الكريم قد حظي بأنواع من الكفالة الإلٰهية لها صلة بحفظه وخلوده، وهي:

أ ـ تكفُّله ﷻ أن يتولى حفظ القرآن بنفسه.

ب ـ تكفُّله ﷻ بتوريثه الأمة بأن يجعل فيها من يقومون به علمًا وعملًا وحفظًا.

ج ـ تكفُّله ﷻ بتيسير حفظه وتسهيله لعبادة.

د ـ تكفُّله ﷻ بإتمام أمر القرآن وإظهاره، وفي ذلك والذي قبله وعده بخلود القرآن وبقائه.

هـ ـ تكفُّله ﷻ بإظهار أحقيته وصدقه ونشره وبثه في كل نواحي الأرض، وهذه الوعود تشكل مجتمعة غاية الحفظ وكماله الذي انفرد به القرآن.

٥ ـ أنَّ الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن بُنيت على صفات الكمال والقوة التي اتصف بها الله ﷻ ملتقية في ذلك مع صادق الوعد بحفظه وصونه.

٦ ـ أنَّ الله تعالى شرع في القرآن الكريم الكثير من التشريعات القرآنية العظيمة والمقصودة لحفظ القرآن وصونه.

٧ ـ أنَّ حفظ القرآن أعظم التشريعات القرآنية بعد توحيد الله تعالى؛ يدل على ذلك من كونه أول تشريع قرآني، وبدأت به في أول آية نزلت في القرآن، وأمرت به أول كلمة في القرآن وذلك قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]؛ فلأنَّ الرسول ﷺ لا يقرأ ولا يكتب كان معنى الفعل: (اقرأ)؛ أي: احفظ القرآن واجتهد في تلقيه، وهذه الأولوية في هذا التشريع تعطي نتيجة أنَّ حفظ القرآن أس التشريعات والأصل الذي يضمن لها بقاءها والعمل بها.

٨ ـ أنَّ من حفظ القرآن حفظ مقاصده: ومقاصده معرفة الله وتوحيده بالعبادة، وهداية العالمين، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وقد جاءت التشريعات القرآنية حافظة للقرآن بحفظها لمقاصده، كتلك التشريعات التي حرمت الجدال في القرآن، وجلوس مجالس الاستهزاء به، أو تلك التشريعات التي أوجبت الإنصات له والعمل به، وغيرها من التشريعات التي من مقاصدها حفظ مقاصد القرآن الكريم.

٩ ـ أنَّ حفظ القرآن عن ظهر قلب الأصل فيه أنَّه صعب وشاق، لولا أنَّ الله تعالى يسره وسهله لحفاظه؛ وذلك معنى متأت من الجمع بين آيتين؛ **الأولى**: قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥]، **والثانية**: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧]، وهذا أمر يعظم فيه نعمة من أُكرم بحفظ القرآن الكريم، ويوجب عليه أن يؤدي حقه ويعمل به ويتخلق بخلقه.

١٠ ـ ليس للباطل وأهله تأثير الْبَتَّة على القرآن، بل الأمر على عكس ذلك؛ فإنَّ للقرآن التأثير الدامغ على الباطل فيكسره ويكشف زيفه ويعري زخارفه.

١١ ـ هيأ الله تعالى للقرآن أسباب الحفظ الكونية والشرعية؛ فالكونية: ما قدره ﷻ من أقدار كونية لحفظه؛ كعصمة الرسول الملكي والرسول البشري، والتشريعات: ما أمر به من أوامر حفظه وما نهى عنه مما يصون حرمته، وتلتقي الأسباب الكونية والشرعية في توفيق الله تعالى للرسول ﷺ والأمة بحفظ القرآن الكريم تلقيًا وتبليغًا وتفسيرًا، وهو وعد إلٰهي متحقق في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ الآية [فاطر: ٣٢]؛ حيث ذكر ﷻ أنَّه سيبقي في الأمة من يقوم بحق القرآن حفظًا وعملًا.

١٢ ـ أنَّ الله تعالى حفظ القرآن حفظًا شاملًا شمل اللفظ والمعنى، وحفظ كل ما يتعلق بحفظه مثل حفظ محله؛ كحفظ اللوح المحفوظ، كما وصفه بذلك في قوله: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢٢]، والصدور التي هي محلٌّ له بالنسبة لحفظة القرآن أمر كذلك بتطهيرها من الشك في القرآن، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]؛ فأمر بتطهير المحل الذي يحفظ فيه القرآن، وهذا وغيره يدل على كمال عناية الحفظ التي عُني بها القرآن.

١٣ ـ أنَّ رد الافتراءات على القرآن وبيان باطلها منهج قرآني كما هو واضح في اهتمام الآيات الكريمة بذلك، وأنَّ تلك الشبه والافتراءات منذ نزول القرآن وحتى زماننا الحاضر بعضها من بعض؛ إلا أنَّ شبه الزمان المتأخر كشبه المستشرقين والزنادقة المعاصرين لبست ثياب العبارة الفلسفية؛ حيث تدعي محاكاة العقل، والتأصيل العلمي، وما هي إلا جهالات لو سبرها الحاذق وجدها قد خرجت من أكمام تلك الشبه والافتراءات القديمة.

١٤ ـ أنَّ طعن أعداء القرآن في القرآن لا يخلو من **صورتين**:

الصورة الأولى: أنَّ ما يطعنون به على القرآن هو بعينه أحد الأسباب التي قدرها الله لحفظ القرآن كقولهم طاعنين في نزوله مفرقًا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ فبيَّن ﷻ أن ما يطعنون به هو عين ما حفظ به القرآن فقال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]، فكان طعنهم عائد إلى جهلهم بالحال، أو أنَّه ناشىء عن عميق العناد والكفر.

الصورة الثانية: أنَّ ما يطعنون به على القرآن هو عين الكذب والافتراء؛ حيث يصفون القرآن أو رسوليه الملكي والبشري، بخلاف ما

عليه القرآن أو عليه الرسول الملكي والبشري وأمثلة ذلك كثيرة منها على سبيل المثال:

أ ـ طعنهم أن الرسول ﷺ اتصل بالشياطين في أخذه للقرآن، أو وصفهم له بالسحر والكهانة والشعر، والساحر والكاهن لهما اتصال بالشياطين، وكانت العرب تعتقد أن كل شاعر له شيطان، والاتصال بالشياطين هي عكس حال الرسول ﷺ الذي كان يستعيذ بالله من الشيطان عند كل قراءة للقرآن الكريم مؤتمرًا في ذلك بأمر ربه كما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]، بل كان ﷺ يستعيذ بالله منه في أحوال كثيرة؛ كبداية الصلاة، ودخوله منزله وفي بعض أدعية دخول المسجد وغير ذلك.

ب ـ وصفهم الرسول ﷺ بالشاعر والقرآن بالشعر وهذا خلاف حاله ﷺ؛ فإنه لم يقل الشعر، ولا يستطيعه، وكان أبغض الحديث إليه، ونهى غيره من الاستكثار منه، وهي أيضًا حال ظاهرة يشهد لها الواقع.

ج ـ وصف اليهود للرسول الملكي جبريل عليه السلام بالعداوة لله تعالى بينما جبريل أقرب الملائكة منزلة إلى الله تعالى ومن صفته أنه ذو قوة عند ذي العرش مكين، وغيرها من الافتراءات التي لا يخفى مخالفتها لحال القرآن ورسوله.

١٥ ـ أنَّ الله تعالى حفظ القرآن الكريم في جميع مراحله ونزوله من السماء إلى الأرض بأكمل كيفيات الحفظ؛ فكل كيفية حفظ بها في مرحلة معينة هي الأكمل لحفظه؛ فنزوله جملة إلى السماء الدنيا هو أكمل كيفية لحفظه، وكذلك نزوله منجمًا على قلب الرسول ﷺ هي أكمل كيفيات حفظه، وأتقنها.

١٦ ـ أنَّ من حِفْظِ القرآن حِفْظ تفسيره، وأنَّ الله تعالى حفظ له

ذلك بما قيض له من أهل العلم والإيمان العالمين العاملين به يكشفون زيف من أراد تحريف معانيه، بالإضافة إلى الحفظ الشرعي في ذلك، وهو النهي عن اتباع ما تشابه منه، كما في الخبر المفيد للنهي في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، وفيه نهي عن اتباع المتشابه، واتباع متبعي المتشابه.

١٧ ـ أنَّ من حفظ القرآن حفظ كرامة الصحابة وأعراضهم؛ لأنَّ الطعن فيهم طعن في القرآن، وهي نتيجة حتمية أوضحها سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦]؛ حيث نزلت في قوم من المنافقين سبُّوا أصحاب الرسول ﷺ، وذكرت أنَّ طعنهم واستهزاءهم كان بالله وآياته، وفي هذا تلازم مفاده أن الصحابة ﷺ نقلة القرآن وشهوده، والطعن في الشهود طعن في المشهود.

١٨ ـ أنَّ عناية الحفظ التي أرادها الله بكتابه الكريم ظاهرة ظهورًا جليًّا وواضحًا في آيات القرآن الكريم، ويظهر ذلك فيما تضمنته الآيات من حديث عن تلك العناية، وإسناد أفعال حفظ القرآن إلى الله تعالى دليل على ما اختص به القرآن من الإرادة الإلٰهية بكامل حفظه والعناية به.

١٩ ـ أنَّ حديث القرآن عن حفظه وصونه حديث شامل لكل أنواع الحفظ التي حفظ بها القرآن، واضح في الدلالة عليها؛ حيث أوضح بجلاء شمولية الحفظ وديمومته، وفي كل مراحل نزول القرآن من السماء إلى الأرض، وحفظه لفظًا ومعنًى، وخلوده بعد ذلك محفوظًا، وهذا الحديث بهذه الشمولية أعطى أعظم معاني الحفظ التي يُعنى بها محفوظ.

٢٠ ـ أنَّ الأصل في معارضة القرآن أنَّه ممنوع كونًا ومحرم وممنوع شرعًا؛ حيث توعد الله صاحبه بالعذاب، وذم معارضة القرآن فعلًا وفاعلًا، فمن ادعى ذلك ليس أحد أظلم منه؛ لعظم كذبه وافترائه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، أما فتح باب التحدي للإتيان بمثل القرآن أو طائفة منه؛ فإنما ذلك لتأكيد حفظ القرآن عن المعارضة، ولإيقاف المكذبين على حقيقة عجزهم عن الإتيان بمثله، وفيه فتح لباب التعرف على الحقيقة بالاستدلال عليها، وجرًّا لهم للوقوف على حقيقة عجزهم عن ذلك وأن القرآن كلام الله تعالى لا يشبهه كلام.

٢١ ـ أنَّ الكثير من أسماء القرآن وصفاته لها دلالتها اللغوية والتفسيرية على حفظ القرآن الكريم.

٢٢ ـ أنَّ التشريعات القرآنية لحفظ القرآن الكريم لم تترك سبيلًا من السبل يفضي إلى انتهاك حرمة القرآن أو تنقصه إلا وشرعت ما يمنع ذلك ويحقق له كمال الحفظ والتعظيم.

٢٣ ـ أنَّ القرآن قد أشار إشارة إلى رفعه قبيل الساعة إلى السماء في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء: ٨٦]، وأنَّ ذلك الرفع جزء من منظومة حفظ القرآن الكريم؛ لاستدلالات ذكرتها عند الحديث عن ذلك.

٢٤ ـ أنَّ أعظم ما جعل القرآن عظيمًا هو كونه كلام الله وكونه محفوظًا.

أمَّا التوصيات فهي:

١ ـ حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب من أعظم الأعمال التي يتقرب بها إلى الله ﷻ، ولذلك أوصي المسلمين سيما الشباب والناشئة

منهم، أن يبتدروا هذه الفضيلة العظيمة ليكونوا من أهل القرآن ويكون لهم شرف الدنيا والآخرة.

٢ ـ أوصي حفظة القرآن الكريم، أن يكونوا على قدر المسؤولية وأن يعلموا أنَّ حافظ القرآن إنَّما سمي حاملًا للقرآن؛ لأنه يحمل رسالة ومسؤولية عظيمة، لذلك يجب عليهم أن يصدقوا الحفظ بالعمل، وأن يكونوا قدوة في أخلاقهم وسلوكياتهم، وأن يعلموا أن من أهم ما ينبغي عليهم تحقيقه بهذا الصدد، هو الإخلاص لله ﷻ؛ فكم من النصوص الدالة على انقلاب النفع والفلاح المتأتي من الحفظ، إلى عذاب ونقمة؛ بسبب عدم الإخلاص، وصرف مثل هذا العمل العظيم إلى مصارف حظوظ النفس والرياء والسمعة، ولا يسلم من ذلك إلا بمجاهدة وحسن فهم وقصد.

٣ ـ أوصي المسؤولين ومن لهم سلطة من المسلمين أن يكون لهم دور فاعل في الدفاع عن القرآن وحفظ حرمته، وأن يستعملوا سلطتهم فيما يحقق حفظ القرآن؛ كطباعة المصاحف والكتب المتعلقة بذلك، وتبني حلقات تحفيظ القرآن وغير ذلك، ومن كان له منهم سلطة قضائية أو تنفيذية أن يحققوا حفظ القرآن بردع من ينتهك حرمته، أو يمتهنه، أو يقلل من شأنه.

٤ ـ كما أوصي جميع المسلمين أن يستشعروا حقيقة حفظ القرآن وتعظيمه، وأنَّ ذلك ليس كما يظن البعض بتعليق آياته على الجدران، أو تزيين الغرف والحيطان بآياته، ولكن بالعمل به وقراءته وتعلمه وتعليمه وتدبره.

٥ ـ أوصي الآباء بتشجيع أبنائهم على حفظ القرآن وتعظيمه في قلوب النشىء، وترتيب الحوافز المشجعة لذلك.

٦ ـ أوصي المشتغلين بمجال الدعوة أن يجعلوا القرآن أهم ما يدعون به المدعوين؛ فإن فيه من التأثير ما ليس في غيره؛ لذلك كان رسول الله ﷺ يتلو القرآن على من يدعوه إلى الإسلام، ويأمر أصحابه أن يعلموه من هو حديث عهد بإسلام. كما أوصيهم بأن يبرزوا حقيقة أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظ من التبديل والتغيير؛ لأن في بيانهم لهذه الخصوصية التي عني بها القرآن الكريم بيانًا للمدعوين أنَّه لا سبيل لمعرفة الرب ﷻ إلا من خلاله، حيث لا يمكن معرفته عن طريق ما بُدِّل وحرِّف؛ بل بما حفظ وخلد وهو القرآن الكريم، وإذا تبين ذلك للمدعوين ـ وتبيينه لهم واجب على الدعاة ـ علموا بما يوجب عليهم من اتباع القرآن، والإيمان به.

٧ ـ أوصي المسلمين بالاهتمام باللغة العربية؛ لأنَّها لغة القرآن وبها حُفظ، وأوصي المسلمين العجم بتعلم اللغة العربية لأجل فهم القرآن، وذلك أن أي ترجمة للقرآن مهما كانت متقنة لا تستطيع أن تضاهي لفظه العربي الذي به نزل، فبناء على ذلك، لا يفهم القرآن فهمًا كاملًا إلا بمعرفة اللغة العربية.

وفي الختام أسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ليس لحظوظ النفس والدنيا منه نصيب، كما أسأله وهو أهل الفضل والمغفرة، أن يغفر لي زلتي، وأن يرحم غربتي ويلقنِّي حجتي، ويغفر لي كل خطأ أو سهو أو تقصير، وأن يجعل القرآن حجة لي لا حجة عليّ، وأن يجعلني من أهله وخاصته أهل القرآن، وأن يجلعني ما حييت خادمًا لكتابه الكريم، وأن يجعله شفيعًا لي يوم لقاه، وأن يَجْعَلنِي فِي قصدي مصحوبًا لَا محجوبًا، مقبولًا لا مردودًا، مخلصًا لا مرائيًا ولا معجبًا، مأجورًا لا مأزورًا، معانًا لا مخذولًا، مسددًا لا معابًا، مقربًا لا

مبعدًا، مكرمًا لا مهانًا، محبوبًا لا مبغوضًا، وأن يجعلني ممن يصول به عند الضرورة، ويسأله وحده عند الحاجة، ويتضرع إليه وحده عند المسكنة. لا يرجو سواه، ولا يلجأ لأحد عداه، ولا يخاف من أحد سواه، ولا يفتن بالاستعانة بغيره عند الضرر، ولا بالخضوع لسؤال غيره إذا افتقر، ولا بالتضرع إلى من هو دونه إذا رهب، كما أسأله ﷻ أن يجعل هذا العمل سببًا للفوز بِأَعْلَى دَرَجَات الْجنَّة وَأَن ينفع بِهِ الْمُسلمين، وَأَن يَجعله فِي ميزَان حسناتي يَوْم الدّين، وأن يغفر لي ولوالديَّ ولجميع المسلمين.

كما أرجوه وهو أهل الرجاء أن يكتب الأجر والثواب لكل من أفادني من المشايخ والعلماء، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتهم يوم القيامة، اللَّهُمَّ آمين يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

۞ ۞ ۞

قائمة المصادر والمراجع

(أ)

١ ـ **إبراز المعاني من حرز الأماني**: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

٢ ـ **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**: أحمد بن محمد الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت١١١٧هـ)، المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣ ـ **اتفاق المباني وافتراق المعاني**: سليمان بن بنين تقيّ الدين، الدقيقي المصري (ت٦١٣هـ)، المحقق: يحيى عبد الرؤوف جبر، الناشر: دار عمار، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤ ـ **الإتقان في علوم القرآن**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٥ ـ **آثار البلاد وأخبار العباد**: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت.

٦ ـ **الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما**: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٧ ـ **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: محمد بن حبان البُستي (ت٣٥٤هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٨ ـ **أحكام القرآن**: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصَّاص الحنفي (ت٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٩ ـ **أحكام القرآن**: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٠ ـ **أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل**: أبو بكر أحمد بن محمد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (ت٣١١هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١١ ـ **أخلاق أهل القرآن**: أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ البغدادي (ت٣٦٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٢ ـ **الأدب المفرد**: محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٣ ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)**: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥ ـ **أساس البلاغة**: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٦ ـ **أسباب نزول القرآن**: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح، الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٧ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٨ ـ **أسد الغابة**: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٩ ـ **أسرار الكون في القرآن الكريم**: د. داود سلمان السعدي، الناشر: دار الحرف العربي للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٠ ـ **أسماء المدلسين**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، المحقق: محمود محمد محمود حسن نصار، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى.

٢١ ـ **الأسماء والصفات للبيهقي**: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٢ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٣ ـ **الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع**: حسن بن عمر بن عبد الله السيناوني المالكي (ت بعد ١٣٤٧هـ)، مطبعة النهضة، تونس، الطبعة: الأولى، ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م.

٢٤ ـ **الأصلان في علوم القرآن**: أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٥ ـ **أصول السُّنَّة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السُّنَّة**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت٣٩٩هـ)، المحقق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٦ ـ **أصول في التفسير**: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٧ ـ **أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية ـ عرض ونقد ـ**: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، رسالة دكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية دار النشر: بدون، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٨ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥مـ.

٢٩ ـ **إظهار الحق**: محمد رحمة الله الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (ت١٣٠٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٣٠ ـ **الاعتصام**: إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠هـ)، المحقق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣١ ـ **اعتقاد أئمة الحديث**: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني (ت٣٧١هـ)، المحقق: محمد بن عبد الرحمٰن الخميس، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٢ ـ **الاعتقاد**: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت٥٢٦هـ)، المحقق: محمد بن عبد الرحمٰن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٣ ـ **الإعجاز البلاغي للقرآن**: د. حسن طبل، مكتبة الإيمان، الطبعة: الأولى، مصر، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٤ ـ **إعجاز القرآن للباقلاني**: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

٣٥ ـ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**: مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٦ ـ **إعراب القرآن**: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٧ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، المحقق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٨ ـ **الأعلام**: خير الدين الزركلي الدمشقي (ت١٣٩هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م.

٣٩ ـ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٠ ـ **إقامة الدليل على إبطال التحليل**: تقي الدين ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، المحقق: حسنين محمد مخلوف، الناشر: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٤١ ـ **الاقتصاد في الاعتقاد**: عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (ت٦٠٠هـ)، المحقق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٢ ـ **اقتضاء العلم العمل**: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٤٣ ـ **الإكليل في استنباط التنزيل**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، المحقق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٤٤ ـ **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسمَّاه من الأمكنة**: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (ت٥٨٤هـ)، المحقق: حمد بن محمد الجاسر، الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ.

٤٥ ـ **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني، تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٦ ـ **الأمثال في القرآن الكريم**: د. محمد جابر الفياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٤٧ ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٤٨ ـ **الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال**: إبراهيم بن عامر بن عليّ الرّحيلي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٩ ـ **الانتصار للقرآن**: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت٤٠٣هـ)، المحقق: د. محمد عصام القضاة، الناشر: دار الفتح ـ عَمَّان، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٥٠ ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمٰن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٨٥ ـ **أنوار البروق في أنواء الفروق**: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمٰن المالكي الشهير بالقرافي (ت٦٨٤هـ)، الناشر: عالم الكتب.

٥١ ـ **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (ت٨٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

٥٢ ـ **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**: جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥٣ ـ **المنهج النبوي في التعليم القرآني**: د. عبد السلام مقبل المجيدي، الناشر: دار الإيمان، القاهرة.

(ب)

٥٤ ـ **بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم**: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي (ت٩٠٩هـ)، تحقيق وتعليق: د. روحية عبد الرحمٰن السويفي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٥٥ ـ **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت٩٧٠هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية.

٥٦ ـ **بحر العلوم**: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، المحقق: علي محمد وعادل أحمد وزكريا عبد المجيد، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٧ ـ **البحر المحيط في التفسير**: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٥٨ ـ **بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو**: مجموعة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ.

٥٩ ـ **بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة**: علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (ت٥٩٣هـ)، الناشر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبح، القاهرة.

٦٠ ـ **البداية والنهاية**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦١ ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٢ ـ **بدائع الفوائد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

٦٣ ـ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٦٤ ـ **البرهان في تناسب سور القرآن**: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت٧٠٨هـ)، المحقق: محمد شعباني، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٦٥ ـ **البرهان في علوم القرآن**: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

٦٦ ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، جـ ٦: ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٦٧ ـ **بغية الطلب في تاريخ حلب**: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت٦٦٠هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر.

٦٨ ـ **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**: أحمد بن يحيى أبو جعفر الضبي (ت٥٩٩هـ)، الناشر: دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٦٩ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، لبنان ـ صيدا.

٧٠ ـ **بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل**: يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (ت٨٩٣هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت.

٧١ ـ **بيان المعاني**: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٥م.

(ت)

٧٢ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمّد بن محمّد الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٧٣ ـ **تاريخ آداب العرب**: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي.

٧٤ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٥ ـ **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**: محمد إبراهيم الفيومي (ت١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٧٦ ـ **تاريخ القرآن الكريم**: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشافعي الخطاط (ت١٤٠٠هـ)، ملتزم طبعه ونشره: مصطفى محمد يغمور بمكة، طبع للمرة الأولى: بمطبعة الفتح بجدة ـ الحجاز، ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م.

٧٧ ـ **التاريخ الكبير**: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الدكن.

٧٨ ـ **تاريخ المدينة لابن شبة**: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت٢٦٢هـ)، المحقق: فهيم محمد شلتوت. طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد ـ جدة، ١٣٩٩هـ.

٧٩ ـ **تاريخ بغداد**: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨٠ ـ **تاريخ دمشق**: أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٨١ ـ **تاريخ مولد العلماء ووفياتهم**: أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمٰن بن زبر الربعي (ت٣٧٩هـ)، المحقق: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

٨٢ ـ **تأويل مشكل القرآن**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٨٣ ـ **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت٧٩٩هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٨٤ ـ **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**: طاهر بن محمد الإسفراييني، أبو المظفر (ت٤٧١هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٥ ـ **التبيان في أقسام القرآن**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٨٦ ـ **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ**: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت٧٤٣هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (ت١٠٢١هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية ـ بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ.

٨٧ ـ **التبيين لأسماء المدلسين**: برهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي (ت٨٤١هـ)، المحقق: يحيى شفيق حسن، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٨٨ ـ **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت٨٨٥هـ)، المحقق: د. عبد الرحمٰن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد، السعودية ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٨٩ ـ **تحت راية القرآن**: مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٩٠ ـ **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٩١ ـ **تحريم كتابة القرآن الكريم بحروف غير عربية**: أبو سهل صالح علي العَوْد، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٩٢ ـ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: أبو العلا محمد عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٣ ـ **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٩٤ ـ **تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج (على ترتيب المنهاج للنووي)**: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص، عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت٨٠٤هـ)، المحقق: عبد الله بن سعاف اللحياني، الناشر: دار حراء، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٩٥ ـ **تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل**: صالح بن الحسين الجعفري، أبو البقاء الهاشمي (ت٦٦٨هـ)، المحقق: محمود عبد الرحمٰن قدح، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٩٦ ـ **التدمرية**: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٩٧ ـ **تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المحقق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.

٩٨ ـ **تذكرة الحفاظ**: شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٩٩ ـ **تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي**: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: غراس للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٠٠ ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ) حققه ابن تاويت الطنجي، ١٩٦٥م، جزء ٢، ٣، ٤: عبد القادر الصحراوي، ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠م، جزء ٥: محمد بن شريفة، جزء ٦، ٧، ٨: سعيد أحمد أعراب ١٩٨١ ـ ١٩٨٣م، الناشر: مطبعة فضالة ـ المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى.

١٠١ ـ **الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك**: أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بـ (ابن شاهين) (ت٣٨٥هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٠٢ ـ **التسهيل لعلوم التنزيل**: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ)، المحقق: د. عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٦هـ.

١٠٣ ـ **تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها**: إبراهيم عبد الحميد سلامة، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية عشرة ـ العدد السادس والأربعون ـ ربيع الآخر ـ جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٠٤ ـ **تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المحقق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، الناشر: مكتبة المنار ـ عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠٥ ـ **التعريفات**: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠٦ ـ **تعظيم قدر الصلاة**: محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت٢٩٤هـ)، المحقق: د. عبد الرحمٰن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٠٧ ـ **تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**: محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠٨ ـ **التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية**: د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع.

١٠٩ ـ **تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)**: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت١٣٥٩هـ)، أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١١٠ ـ **تفسير الجلالين**: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى.

١١١ ـ **تفسير الراغب الأصفهاني**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة كل من: د. محمد عبد العزيز بسيوني، ود. عادل بن علي الشِّدِي، ود. هند بنت محمد بن زاهد، الناشر: المقدمة، ج١: كلية الآداب ـ جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ، ج٣،٢: دار النشر: دار الوطن ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ، ج ٤، ٥: جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١١٢ ـ **تفسير الشعراوي (الخواطر)**: محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧م.

١١٣ ـ **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**: محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١١٤ ـ **تفسير القرآن العزيز**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ـ محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة، مصر ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١١٥ ـ **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**: عبد الرحمٰن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.

١١٦ ـ **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠.

١١٧ ـ **تفسير القرآن**: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض ـ السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٨ ـ **تفسير القرآن**: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ)، المحقق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١١٩ ـ **التفسير الكبير مفاتيح الغيب**: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١٢٠ ـ **تفسير جزء عم**: محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٢١ ـ **تفسير سورة الكهف**: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٢٢ ـ **تفسير المراغي**: أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م.

١٢٣ ـ **التفسير المظهري**: محمد ثناء الله المظهري، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية، الباكستان، الطبعة: ١٤١٢هـ.

١٢٤ ـ **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

١٢٥ ـ **التفسير الوسيط للزحيلي**: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢٦ ـ **تفسير عبد الرزاق**: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

١٢٧ ـ **تفسير مجاهد**: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت١٠٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٢٨ ـ **تفسير مقاتل بن سليمان**: أبو الحسن مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٢٩ ـ **التفسير من سنن سعيد بن منصور**: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت٢٢٧هـ)، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٣٠ ـ **تقريب التهذيب**: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٣١ ـ **التقييد لمعرفة رواة السُّنن والمسانيد**: محمد بن عبد الغني، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (ت٦٢٩هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٣٢ ـ **تهذيب التهذيب**: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١٣٣ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: يوسف بن عبد الرحمٰن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٣٤ ـ **تهذيب اللغة**: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٣٥ ـ **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٣٣هـ)، الناشر: دار طيبة، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٣٦ ـ **التوقيف على مهمات التعاريف**: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٣٧ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٣٨ ـ **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**: أبو عبد الله، عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت١٣٧٦هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣٩ ـ **التيسير بشرح الجامع الصغير**: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٠ ـ **تيسيرُ علم أصول الفقه**: عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(ث)

١٤١ ـ **الثقات**: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت٣٥٤هـ)، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م.

(ج)

١٤٢ ـ **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٤٣ ـ **جامع الرسائل**: تقي الدين ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٤٤ ـ **جامع بيان العلم وفضله**: ابن عبد البر النمري (ت٤٦٣هـ)، المحقق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٤٥ ـ **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١٤٦ ـ **الجدول في إعراب القرآن الكريم**: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق ـ مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.

١٤٧ ـ **الجرح والتعديل**: أبو محمد عبد الرحمٰن بن محمد، الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد الدكن ـ الهند، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

١٤٨ ـ **الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي**: أَبُو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ نَصْرٍ الشافعي التِّرْمِذِيّ الرملي الفقيه (ت٢٩٥هـ)، المحقق: حكمت بشير ياسين، الناشر: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٩ ـ **جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات**: أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، المحقق: أحمد الدمياطي، الناشر: مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

١٥٠ ـ **جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين**: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٥١ ـ **جمهرة اللغة**: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

١٥٢ ـ **جمهرة أنساب العرب**: أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (ت٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٥٣ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت٧٢٨هـ)، المحقق: علي بن حسن ـ عبد العزيز بن إبراهيم ـ حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٥٤ ـ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: أبو زيد عبد الرحمٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٥٥ ـ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

(ح)

١٥٦ ـ **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت١٢٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر.

١٥٧ ـ **حجة القراءات**: عبد الرحمٰن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني. الناشر: دار الرسالة.

١٥٨ ـ **حركة التجديد والإصلاح في نجد**: عبد الله العجلان، الناشر: عبد الله العجلان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٥٩ ـ **حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول**: عبد الله بن صالح الفوزان، الناشر: مكتبة الرشد.

١٦٠ ـ **حفظ القرآن الكريم**: محمد بن عبد الله الدويش، (كتيب صغير، ضمن رسائل للشباب رقم: ٤) الناشر: دار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦١ ـ **الحكم والتحاكم في خطاب الوحي**: عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

١٦٢ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(خ)

١٦٣ ـ **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه)**: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت١٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٦٤ ـ **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت١١١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت.

(د)

١٦٥ ـ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: أبو العباس، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، المحقق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

١٦٦ ـ **الدر المنثور**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.

١٦٧ ـ **درء تعارض العقل والنقل**: تقي الدين ابن تيمية الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٦٨ ـ **دراسات في علوم القرآن الكريم**: أ. د. فهد بن عبد الرحمٰن بن سليمان الرومي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٦٩ ـ **دراسات في علوم القرآن**: محمد بكر إسماعيل (ت١٤٢٦هـ)، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٧٠ ـ **درة الغواص في أوهام الخواص**: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت٥١٦هـ)، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ ـ ١٩٩٨هـ.

١٧١ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٧٢ ـ **دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها**: د. عبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٧٣ ـ **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٧٤ ـ **دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، المحقق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م.

١٧٥ ـ **دلائل النبوة**: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٧٦ ـ **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٧٧ ـ **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، حقق أصله، وعلق عليه: أبو إسحق الحويني الأثري، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ـ الخبر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٧٨ ـ **ديوان حسان بن ثابت** رضي الله عنه: مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨١هـ.

١٧٩ ـ **ديوان ابن الرومي**: أبو الحسن علي بن العباس، المحقق: د. حسين نصار، الناشر: دار الكتب ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١٨٠ ـ **ديوان الإسلام**: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمٰن بن الغزي (ت١١٦٧هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٨١ ـ **ديوان الخنساء**: تماضر بنت عمرو بن الحارث، المشهورة بالخنساء، الناشر: دار صادر، بيروت.

١٨٢ ـ **ديوان المتنبي**: أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي (ت٣٥٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٨٣ ـ **ديوان جرير، بشرح محمّد بن حبيب**: المحقق: الدكتور نعمان محمّد أمين طه، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.

(ذ)

١٨٤ ـ **ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، المحقق: محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير الميادينيي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(ر)

١٨٥ ـ **رجال صحيح مسلم**: أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه (ت٤٢٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٨٦ ـ **رد المحتار على الدر المختار**: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٨٧ ـ **رسالة مفتوحة لعشائر العراق الغيارى**: عبد الرحمٰن الدولة العراق، ٢٨ جمادى الآخر ١٤٢٨هـ، الطبعة: الأولى.

١٨٨ ـ **الرد على المنطقيين**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

١٨٩ ـ **الرسل والرسالات**: عمر بن سليمان الأشقر العتيبي، الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠هـ.

١٩٠ ـ **الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة**: حسين حسيني معدي (المتوفى: معاصر)، الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٩١ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

١٩٢ ـ **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**: أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٩٣ ـ **الروض المربع شرح زاد المستقنع**: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (ت١٠٥١هـ)، الناشر: دار المؤيد ـ مؤسسة الرسالة.

١٩٤ ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري (ت٩٠٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠م.

(ز)

١٩٥ ـ **زاد المسير في علم التفسير**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤٢٢هـ.

١٩٦ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٩٧ ـ **الزاهر في معاني كلمات الناس**: محمد بن القاسم، أبو بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٩٨ ـ **الزهد لأبي داود السجستاني**: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٩٩ ـ **الزهد للمعافى بن عمران الموصلي**: أبو مسعود المعافى بن عمران بن نفيل بن جابر الأزدي الموصلي (ت١٨٥هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، المحقق: د. عامر حسن صبري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٠٠ ـ **الزهد والرقائق لابن المبارك**: أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(س)

٢٠١ ـ **السبعة في القراءات**: أحمد بن موسى، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

٢٠٢ ـ **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

٢٠٣ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (مكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ ـ ٤: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٠٤ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٠٥ ـ **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت١١١١هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٠٦ ـ **سنن ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (ت٢٧٣هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٠٧ ـ **سنن أبي داود**: أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.

٢٠٨ ـ **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٢٠٩ ـ **السُّنن الكبرى**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢١٠ ـ **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢١١ ـ **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت١٥١هـ)، المحقق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢١٢ ـ **السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، المحقق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٦م.

٢١٣ ـ **السيرة النبوية لابن هشام**: عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٣هـ)، المحقق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

(ش)

٢١٤ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢١٥ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة**: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت٤١٨هـ)، المحقق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢١٦ ـ **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**: محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري الأزهري (ت١١٢٢)، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢١٧ ـ **شرح السُّنَّة**: محيي السُّنَّة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط ـ محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢١٨ ـ **شرح العقيدة السفارينية ـ الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية**: محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢١٩ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت٧٩٢هـ)، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٢٠ ـ **الشرح الكبير على متن المقنع**: عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (ت٦٨٢هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.

٢٢١ ـ **شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث**: محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، المحقق: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٢٢ ـ **شرح سنن ابن ماجه «مصباح الزجاجة»**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ): الناشر: قديمي كتب خانة، كراتشي.

٢٢٣ ـ **شرح سنن أبي داود**: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩م.

٢٢٤ ـ **شرح صحيح البخاري لابن بطال**: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد، السعودية ـ الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٢٥ ـ **شرف المصطفى**: عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (ت٤٠٧هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية، مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٢٦ ـ **شريعة القرآن من دلائل إعجازه**: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، الناشر: دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

٢٢٧ ـ **شعب الإيمان**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي ـ الهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٢٨ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني (ت٨٧٣هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٢٩ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(ص)

٢٣٠ ـ **الصارم المسلول على شاتم الرسول**: تقي الدين ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

٢٣١ ـ **صب العذاب على من سب الأصحاب**: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الله البخاري، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٣٢ ـ **صحيح أبي داود**: أبو عبد الرحمٰن محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٣٣ ـ **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٣٤ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الخامسة.

٢٣٥ ـ **صحيح الجامع الصغير وزياداته**: أبو عبد الرحمٰن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

٢٣٦ ـ **الصحيح المسند من أسباب النزول**: مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ اليمني (ت١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٣٧ ـ **صفة الفتوى والمفتي والمستفتي**: أبو عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحرّاني الحنبلي (ت٦٩٥هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤هـ.

(ض)

٢٣٨ ـ **الضعفاء الكبير**: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (ت٣٢٢هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٣٩ ـ **الضعفاء والمتروكون**: أبو الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، المحقق: د. عبد الرحيم محمد القشقري، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الأعداد: ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٤، سنة ١٤٠٣هـ، ١٤٠٤هـ.

٢٤٠ ـ **الضعفاء والمتروكون**: أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٤١ ـ **الضعفاء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، المحقق: فاروق حمادة، الناشر: دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٤٢ ـ **ضعيف سنن الترمذي**: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض، توزيع: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(ط)

٢٤٣ ـ **طبقات الحفاظ**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

٢٤٤ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٤٥ ـ **طبقات الشافعية**: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٤٦ ـ **طبقات الشافعيين**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، المحقق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٤٧ ـ **الطبقات الكبرى**: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

٢٤٨ ـ **طبقات المفسرين**: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت القرن١١هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ـ السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٤٩ ـ **طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)**: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ)، الناشر: الطبعة المصرية القديمة ـ وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

٢٥٠ ـ **طريق الهجرتين وباب السعادتين**: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة ـ مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

(ع)

٢٥١ ـ **عالم الملائكة الأبرار**: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٥٢ ـ **عالمية القرآن**: د. محمد خليل جيجك، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٥٣ ـ **العجاب في بيان الأسباب**: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي.

٢٥٤ ـ **عظمة القرآن والسُّنَّة**: محمد سلام، الناشر: مركز الإسكندرية للكتاب، الصف والإخراج الفني: الفجر لخدمات الكمبيوتر، ٢٠٠٥م.

٢٥٥ ـ **عظمة القرآن**: د. محمود بن أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٥٦ ـ **العقيدة الطحاوية**: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري المعروف بالطحاوي (ت٣٢١هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٥٧ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥٨ ـ **عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي)**: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ)، الناشر: دار صادر ـ بيروت.

٢٥٩ ـ **العناية شرح الهداية**: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (ت٧٨٦هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة.

٢٦٠ ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر**: أبو عبد الرحمٰن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٦١ ـ **العين**: أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(غ)

٢٦٢ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء**: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ.

٢٦٣ ـ **الغاية في شرح الهداية في علم الرواية**: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ)، المحقق: أبو عائش عبد المنعم إبراهيم، الناشر: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٦٤ ـ **غرائب التفسير وعجائب التأويل**: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة، مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت.

٢٦٥ ـ **غرائب التفسير وعجائب التأويل**: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة، مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت.

٢٦٦ ـ **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٦٧ ـ **غريب الحديث**: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٦٨ ـ **غريب الحديث**: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت٣٨٨هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٦٩ ـ **غريب الحديث**: أبو عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

٢٧٠ ـ **غريب الحديث**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني، بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٢٧١ ـ **غريب الحديث**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) المحقق: د. عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٧٢ ـ **غريب القرآن المسمَّى بنزهة القلوب**: محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (ت٣٣٠هـ)، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٧٣ ـ **غريب القرآن**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(ف)

٢٧٤ ـ **الفائق في غريب الحديث والأثر**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة، لبنان، الطبعة: الثانية.

٢٧٥ ـ **الفتاوى الحديثية**: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت٩٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر.

٢٧٦ ـ **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٧٧ ـ **فتاوى اللجنة الدائمة ـ المجموعة الأولى**: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ـ الإدارة العامة للطبع، الرياض.

٢٧٨ ـ **الفتاوى الهندية**: لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٣١٠هـ.

٢٧٩ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٨٠ ـ **فتح القدير**: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (ت٨٦١هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٨١ ـ **فتح القدير**: محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٨٢ ـ **الفتن**: أبو عبد الله نعيم بن حماد الخزاعي المروزي (ت٢٢٨هـ)، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٨٣ ـ **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (ت٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.

٢٨٤ ـ **الفروق اللغوية**: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر.

٢٨٦ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٨٧ ـ **فضائل الصحابة**: أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٨٨ ـ **فضائل القرآن (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)**: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت١٢٠٦هـ)، المحقق: عبد العزيز الرومي، وصالح بن محمد الحسين، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٢٨٩ ـ **فضائل القرآن للقاسم بن سلام**: أبو عُبيد القاسم بن سلّام البغدادي (ت٢٢٤هـ)، المحقق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير (دمشق ـ بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٩٠ ـ **فضائل القرآن وتلاوته للرازي**: أبو الفضل، عبد الرحمٰن بن أحمد الرازي (ت٤٥٤هـ)، تحقيق وتخريج: د. عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٩١ ـ **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة**: أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس (ت٢٩٤هـ)، المحقق: غزوة بدير، الناشر: دار الفكر، دمشق ـ سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٩٢ ـ **فضائل القرآن**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٩٣ ـ **فقه اللغة وسر العربية**: عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٩٤ ـ **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت١٣٨٢هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي ـ بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٨٢م.

٢٩٥ ـ **فهم القرآن ومعانيه**: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت٢٤٣هـ)، المحقق: حسين القوتلي، الناشر: دار الكندي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨هـ.

٢٩٦ ـ **الفواتح الإلٰهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر ـ الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٩٧ ـ **الفوائد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٩٨ ـ **في رحاب التفسير**: عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث، مصر ـ القاهرة.

٢٩٩ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

(ق)

٣٠٠ ـ **قالوا عن الإسلام**: د. عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٠١ ـ **القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا**: د. سعدي أبو جبيب، الناشر: دار الفكر، دمشق ـ سورية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٠٢ ـ **القاموس المحيط**: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، المحقق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٠٣ ـ **القراءة خلف الإمام**: أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٠٤ ـ **القرآن شريعة المجتمع**: د. عارف خليل محمد أبو عيد، دار الأرقم، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٠٥ ـ **القرآن وعلوم الأرض**: محمد سميح عافية، الناشر: الزهراء للإعلام العربي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤مـ.

٣٠٦ ـ **القصص القرآني**: د. صلاح الخالدي، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٠٧ ـ **القصص القرآني**: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للطباعة والنشر، عمان ـ الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٠٨ ـ **قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة**: عبد العزيز بن فيصل الراجحي، الناشر: مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٠٩ ـ **القواعد الحسان لتفسير القرآن**: أبو عبد الله، عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت١٣٧٦هـ)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣١٠ ـ **قواعد الفقه**: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: الصدف ببلشرز، كراتشي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦م.

(ك)

٣١١ ـ **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣١٢ ـ **الكافي في فقه الإمام أحمد**: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي (ت٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٣١٣ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣١٤ ـ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، جار الله (ت٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٣١٥ ـ **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: أحمد بن محمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، المحقق: أبو محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣١٦ ـ **كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**: أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي (ت٨٢٩هـ)، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، الناشر: دار الخير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.

٣١٧ ـ **كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (حاشية السندي على سنن ابن ماجه)**: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت١١٣٨هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، بدون طبعة.

٣١٨ ـ **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش ـ محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣١٩ ـ **الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات**: بركات بن أحمد بن محمد الخطيب، أبو البركات، زين الدين ابن الكيال (ت٩٢٩هـ)، المحقق: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار المأمون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨١م.

٣٢٠ ـ **اللامات**: عبد الرحمٰن بن الزجاجي، أبو القاسم (ت٣٣٧هـ)، المحقق: مازن المبارك، الناشر: دار الفكر ـ دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(ل)

٣٢١ ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل**: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٢٢ ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل**: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٢٣ ـ **لباب النقول في أسباب النزول**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢٤ ـ **اللباب في علوم الكتاب**: سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٢٥ ـ **لسان الميزان**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المحقق: دائرة المعرف النظامية ـ الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

٣٢٦ ـ **لمعة الاعتقاد**: أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(م)

٣٢٧ ـ **ماذا يريد الغرب من القرآن**: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، الناشر: مجلة البيان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٢٨ ـ **مباحث في علوم القرآن**: مناع بن خليل القطان (ت١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٢٩ ـ **المبسوط**: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السَّرَخْسِي (ت٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٣٠ ـ **مجاز القرآن**: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فؤاد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

٣٣١ ـ **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**: محمد بن حبان البُستي (ت٣٥٤هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.

٣٣٢ ـ **مجلة البيان**: تصدر عن المنتدى الإسلامي (رقم الجزء، هو رقم العدد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد المطبوع) العدد (٥٩، ٢٣٨).

٣٣٣ ـ **مجلة المنار**: مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ) وغيره من كتاب المجلة، العدد ١٧، مقال رقم: ٧٩٣.

٣٣٤ ـ **مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، عدد ١١، محرم ١٣٩١هـ، مقال لمحمود عبد الوهاب فايد المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة.

٣٣٥ ـ **مجلة الأهرام**: ١٤ من شهر رمضان ١٤٢٧هـ، ٧ أكتوبر ٢٠٠٦م، العدد: ٤٣٧٦٩.

٣٣٦ ـ **مجموع الفتاوى**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية ـ المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٣٧ ـ **المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

٣٣٨ ـ **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن ـ دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، ١٤١٣هـ.

٣٣٩ ـ **محاسن التأويل**: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٤٠ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٤١ ـ **المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**: عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين (ت٦٥٢هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٤٢ ـ **المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة** رضي الله عنه: أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (ت٦١٦هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٤٣ ـ **مختار الصحاح**: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت ـ صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٤٤ ـ **مختصر في قواعد التفسير**: خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار ابن القيم ـ دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٤٥ ـ **المخصص**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٤٦ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٤٧ ـ **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)**: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٤٨ ـ **مدخل في علوم القراءات**: السيد رزق الطويل (ت١٤١٩هـ)، الناشر: المكتبة الفيصلية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٤٩ ـ **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**: محمد بن عمر نووي الجاوي (ت١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الضناوي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٥٠ ـ **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمٰن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ)، المحقق: طيار آلتي قولاج، الناشر: دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٣٥١ ـ **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت١٤١٤هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ـ الجامعة السلفية ـ بنارس الهند، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٥٢ ـ **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٥٣ ـ **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٥٤ ـ **المستدرك على الصحيحين**: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٥٥ ـ **المستشرقون والتنصير**: علي بن إبراهيم الحمد النملة، الطبعة: الأولى.

٣٥٦ ـ **مسند أبي داود الطيالسي**: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت٢٠٤هـ)، المحقق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٥٧ ـ **مسند أبي يعلى**: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٥٨ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٥٩ ـ **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمٰن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٣٦٠ ـ **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت٢٥٥هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٦١ ـ **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**: مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٦٢ ـ **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٣٦٣ ـ **مشكاة المصابيح**: محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي (ت٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

٣٦٤ ـ **المصاحف**: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٣١٦هـ)، المحقق: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق الحديثة، مصر ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٦٥ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

٣٦٦ ـ **المصنف في الأحاديث والآثار**: أبو بكر بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٦٧ ـ **المصنف**: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٦٨ ـ **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي الحنبلي (ت١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٦٩ ـ **المطلع على ألفاظ المقنع**: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٧٠ ـ **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٧١ ـ **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**: الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٧٢ ـ **معاني القرآن للأخفش**: أبو الحسن المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، المحقق: د. هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٧٣ ـ **معاني القرآن وإعرابه**: إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٧٤ ـ **معاني القرآن**: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٧٥ ـ **معاني القرآن**: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي ـ محمد علي النجار ـ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة: الأولى.

٣٧٦ ـ **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٧٧ ـ **المعجزة الخالدة**: د. حسن ضياء الدين عتر، الناشر: دار النصر، حلب ـ سوريا، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٣٧٨ ـ **المعجزة الكبرى القرآن**: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.

٣٧٩ ـ **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٨٠ ـ **المعجم الأوسط**: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.

٣٨١ ـ **معجم البلدان**: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

٣٨٢ ـ **معجم الفروق اللغوية**: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٨٣ ـ **المعجم الكبير**: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٣٨٤ ـ **معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ**: عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي (ت٢٠١٠هـ)، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٨٥ ـ **معجم المؤلفين**: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى ـ بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨٦ ـ **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٣٨٧ ـ **المعجم لابن المقرئ**: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (ت٣٨١هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمٰن عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٨٨ ـ **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٣٨٩ ـ **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**: أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي (ت٢٦١هـ)، المحقق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، الناشر: مكتبة الدار ـ المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٩٠ ـ **معرفة الصحابة**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٩١ ـ **معلم التجويد**: د. خالد بن عبد الرحمٰن بن علي الجريسي، تقديم: العلامة الشيخ د. عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين. (بدون اسم للدار أو الطبعة).

٣٩٢ ـ **مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار**: أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٩٣ ـ **المغني في الضعفاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، المحقق: د. نور الدين عتر.

٣٩٤ ـ **المغني لابن قدامة**: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٣٩٥ ـ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩٦ ـ **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٩٧ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: أبو الحسن علي بن إسماعيل أبو موسى الأشعري (ت٣٢٤هـ)، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٩٨ ـ **المقتفى من سيرة المصطفى ﷺ**: الحسن بن عمر أبو محمد، بدر الدين الحلبي (ت٧٧٩هـ)، المحقق: د مصطفى محمد حسين الذهبي، الناشر: دار الحديث، القاهرة ـ مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٩٩ ـ **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٤٠٠ ـ **الملل والنحل**: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.

٤٠١ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

٤٠٢ ـ **المنتقى شرح الموطأ**: أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد بن التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ.

٤٠٣ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**: تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي (ت٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٠٤ ـ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٠٥ ـ **الموافقات**: إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٠٦ ـ **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**: أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي (ت٩٢٣هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ مصر.

٤٠٧ ـ **الموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءًا، الطبعة: (من ١٤٠٤هـ ـ ١٤٢٧هـ)، الأجزاء ١ ـ ٢٣، دار السلاسل ـ الكويت، الطبعة الثانية، الأجزاء ٢٤ ـ ٣٨: مطابع دار الصفوة ـ مصر، الطبعة الأولى، الأجزاء ٣٩ ـ ٤٥: طبع الوزارة، الطبعة الثانية.

٤٠٨ ـ **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**: جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٠٩ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

٤١٠ ـ **موسوعة بيان الإسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، القسم الأول، القرآن**: نخبة من الباحثين، فيهم: أ.د. أحمد يوسف سلمان، أ.د. محمد إبراهيم شريف، دار النهضة، مصر، الطبعة: الأولى: ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٤١١ ـ **موطأ مالك**: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، صحَّحه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، عام النشر: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٤١٢ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

(ن)

٤١٣ ـ **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**: د. محمد بن عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ)، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، ة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤١٤ ـ **النبوات**: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤١٥ ـ **النحو الوافي**: عباس حسن (ت١٣٩٨هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: ١٥.

٤١٦ ـ **نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**: أحمد بن علي حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المحقق: عصام الصبابطي، وعماد السيد، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤١٧ ـ **نزول القرآن والعناية به في عهد النبي ﷺ**: عبد الودود مقبول حنيف، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٤١٨ ـ **النشر في القراءات العشر**: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ)، المحقق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

٤١٩ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٢٠ ـ **النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**: أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (ت نحو ٣٦٠هـ)، المحقق: علي التويجري، إبراهيم بن منصور الجنيدل، شايع بن عبده بن شايع الأسمري، الناشر: دار القيم ـ دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٢١ ـ **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**: أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٤٢٢ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، المحقق: طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤٢٣ ـ **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**: محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (ت١٣٤٥هـ)، الناشر: دار الفيحاء، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ.

(ه)

٤٢٤ ـ **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم ـ دار الشامية، جدة ـ السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٢٥ ـ **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ـ جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٤٢٦ ـ **الهدى والبيان في أسماء القرآن**: صالح بن إبراهيم البليهي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

٤٢٧ ـ **الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية**: أبو شكيب محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي (ت١٤٠٧هـ)، الطبعة: الثانية.

٤٢٨ ـ **الهم والحزن**: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، المحقق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٤٢٩ ـ **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوقيفية، مصر.

٤٣٠ ـ **الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيد لأبي علي مسكويه**: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ)، المحقق: سيد كسروي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(و)

٤٣١ ـ **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

٤٣٢ ـ **وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور**: د. فهد بن عبد الرحمٰن بن سليمان الرومي، الناشر: طبعة مكتبة التوبة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٣٣ ـ **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، المحقق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٣٤ ـ **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمٰن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٣٥ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم رئيس قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بالرياض	أ
المقدمة	٥
التمهيد: وفيه: تعريف الحفظ والقرآن	١٧
أولًا: تعريف الحفظ	١٧
ثانيًا: تعريف القرآن	١٨
الفصل الأوّل: حفظ القرآن في تنزلاته	٢٣
مدخل	٢٤
المبحث الأول: حفظه في اللوح المحفوظ	٢٧
المطلب الأول: معنى اللوح المحفوظ وأسماؤه	٢٨
معنى اللوح المحفوظ	٢٨
أسماء اللوح المحفوظ	٣٠
المطلب الثاني: كتابة القرآن في اللوح المحفوظ	٣٢
المطلب الثالث: الحكمة من حفظ القرآن في اللوح المحفوظ	٣٩
المبحث الثاني: حفظه في نزوله إلى بيت العزة	٤١
المطلب الأول: حفظه بعصمة الرسول الملكي عليه السلام	٤٢
المطلب الثاني: صفات جبريل عليه السلام في الآيات ودلالتها على حفظ القرآن	٤٨
الفرع الأول: جبريل عليه السلام رسول من عند الله تعالى	٤٨
الفرع الثاني: وصف جبريل عليه السلام بالقوة وحصافة العقل ورجاحة الرأي	٤٩
الفرع الثالث: وصفه بالروح	٥١
الفرع الرابع: وصفه بالريادة والتمكين والأمانة	٥٢

الموضوع | الصفحة

المطلب الثالث: علاقة إنزال القرآن جملة إلى بيت العزة بحفظه ٥٣
المبحث الثالث: حفظه في نزوله على قلب النبي ﷺ ٥٧
المطلب الأول: حفظه بعصمة الرسول ﷺ ٥٨
المطلب الثاني: دلالة صفات الرسول البشري في الآيات على حفظ القرآن ٦٥
الفرع الأول: وصفه بالرسالة ٦٥
الفرع الثاني: وصفه بكمال الهداية ٦٦
الفرع الثالث: رجاحة العقل وأمانة التبليغ ٦٨
المطلب الثالث: حفظه بجمعه في قلب النبي ﷺ وتيسير حفظه له ٦٩
المطلب الرابع: حفظه بنزوله منجمًا على قلب الرسول ﷺ ٧٥
المطلب الخامس: حفظه بتثبيت النبي ﷺ على تبليغه ٨١
المطلب السادس: حفظه بمنع الجن والشياطين استراق السمع من السماء ... ٨٦
الفصل الثاني: **حفظ ألفاظ القرآن ومعانيه** ٩١
المبحث الأول: حفظ ألفاظه ومعانيه من التحريف ٩٣
المطلب الأول: تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم ٩٤
الفرع الأول: تعريف الكفالة ٩٤
الفرع الثاني: حديث الآيات عن الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن ٩٥
الفرع الثالث: أركان الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن ١٠٠
الفرع الرابع: أنواع الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن ١٠٤
الفرع الخامس: سمات الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن ١٠٥
المطلب الثاني: وقوع التحريف في الكتب المتقدمة واختصاص القرآن بالحفظ . ١٠٧
المطلب الثالث: أثر إنزاله باللسان العربي على حفظ ألفاظ القرآن ومعانيه .. ١١٤
المطلب الرابع: حفظ الله لألفاظه من التغيير والزيادة والنقصان ١١٩
المطلب الخامس: حفظ معانيه من التحريف والتأويل الباطل ١٢٢
المطلب السادس: النسخ لا يناقض نفي التبديل وحفظ القرآن ١٢٥
المبحث الثاني: حفظ القرآن عن الباطل والكذب ١٢٧

الموضوع | الصفحة

المطلب الأول: القرآن حق أنزله الله تعالى بالحق ١٢٨
الفرع الأول: وصف القرآن بالحق ١٢٨
الفرع الثاني: علم العلماء بأحقية القرآن الكريم ١٣٠
الفرع الثالث: وعد الله ببيان أحقية القرآن ١٣٣
الفرع الرابع: لا صمود لأي باطل كان أمام حق القرآن ١٣٥
المطلب الثاني: القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ١٣٦
المطلب الثالث: حفظ قصصه وأخباره عن الباطل والكذب ١٣٩
الفرع الأول: إسناد قصصه وأخباره إلى الله تعالى ١٣٩
الفرع الثاني: وصف قصصه وأخباره بكمال الصدق والحفظ ١٤٠
المطلب الرابع: حفظ أحكامه وتشريعاته عن الحيف والظلم ١٤٤
الفرع الأول: خلود أحكامه وتشريعاته وظهورها على الدين كله ١٤٤
الفرع الثاني: حفظ أحكام القرآن وتشريعاته عن الحيف والظلم ١٤٤
المطلب الخامس: حفظه عن الهزل والخطأ ١٥١
الفرع الأول: حفظه عن الهزل ١٥١
الفرع الثاني: حفظه عن الخطأ ١٥٤
المبحث الثالث: حفظ القرآن عن إلقاء الشيطان ١٥٧
المطلب الأول: تحقيق سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ ١٥٨
الفرع الأول: ما قصة الغرانيق؟ ١٥٨
الفرع الثاني: تحقيق قصة الغرانيق ١٦٠
المطلب الثاني: حفظ القرآن بنسخ ما يلقي الشيطان وإحكام الآيات ١٦٦
الفرع الأول: إزالة الباطل وما يلقي الشيطان ١٦٨
الفرع الثاني: إحكام الآيات بتثبيتها وإحقاق الحق في ألفاظها ومعانيها .. ١٦٩
المطلب الثالث: الحكمة من الابتلاء بإلقاء الشيطان ١٧٠
الفصل الثالث: **حفظ القرآن عن المعارضة والتناقض والاختلاف** ١٧٣
المبحث الأول: معنى حفظ القرآن عن المعارضة ١٧٥

الموضوع | الصفحة

المبحث الثاني: التحدي وعجز المكذبين عن معارضة القرآن ١٨١
المطلب الأول: دعوى المكذبين معارضة القرآن واستحالة ذلك ١٨٢
المطلب الثاني: دلالة التحدي وعجز المكذبين عن المعارضة على حفظ القرآن. ١٨٧
أهم سمات هذا التحدي ١٨٨
المطلب الثالث: أنواع التحدي في القرآن ١٩٢
النوع الأول: التحدي بأن يأتوا بمثله ١٩٢
النوع الثاني: التحدي بأن يأتوا بطائفة منه ١٩٣
المبحث الثالث: حفظه عن التناقض والاختلاف ٢٠١
المطلب الأول: القرآن يشبه بعضه بعضًا في الحكمة والحق ٢٠٢
المطلب الثاني: القرآن يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والبلاغة والبيان ٢٠٥
المطلب الثالث: القرآن الكريم يصدق بعضه بعضًا ٢٠٨
الفصل الرابع: **دلالة أسماء القرآن وصفاته على حفظه** ٢١١
مدخل ٢١٢
المبحث الأول: أسماء وصفات اتصف الله بها ووصف بها كتابه الكريم ٢١٥
المبحث الثاني: صفات أفادت حفظ القرآن بنسبتها إلى الله تعالى ٢٢٥
المبحث الثالث: دلالة أسماء القرآن وصفاته الأخرى على حفظه ٢٣١
الفصل الخامس: **الحفظ الشرعي للقرآن الكريم** ٢٣٧
مدخل ٢٣٨
المبحث الأول: تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن ٢٣٩
المطلب الأول: حكم المستهزئ بالقرآن أو بشيء منه ٢٤٠
المطلب الثاني: تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن ٢٤٨
الفرع الأول: تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن في التنزيل المكي ٢٤٩
الفرع الثاني: تحريم الجلوس في المجلس الذي يستهزأ فيه بالقرآن في التنزيل المدني ٢٥٢

الموضوع | الصفحة

المطلب الثالث: حكم القاعد في مجلس يستهزئ فيه بالقرآن ٢٥٣
المطلب الرابع: علاقة هجر مجالس الاستهزاء بحفظ القرآن ٢٥٦
المبحث الثاني: الاستماع والإنصات له ٢٥٩
مدخل ٢٦٠
المطلب الأول: أقوال المفسرين في وقت إيجاب الإنصات للقرآن وتحقيق القول فيه ٢٦٢
المطلب الثاني: التحريض على عدم الإنصات للقرآن صفة الكافرين ٢٦٦
المطلب الثالث: علاقة الاستماع والإنصات للقرآن بحفظ حرمته ٢٦٨
المطلب الرابع: تحريم اللغو عند سماع القرآن والإلهاء عن استماعه ٢٧٠
المبحث الثالث: الأمر بالاستعاذة من الشيطان عند تلاوته ٢٧٥
مدخل ٢٧٦
المطلب الأول: معنى الاستعاذة ٢٧٨
المطلب الثاني: حكم الاستعاذة لقراءة القرآن، ومحلها، ولفظها ٢٨٠
الفرع الأول: حكم الاستعاذة ٢٨٠
الفرع الثاني: محلها ٢٨٢
الفرع الثالث: لفظها ٢٨٣
المطلب الثالث: علاقة الاستعاذة عند قراءة القرآن بحفظه ٢٨٥
المبحث الرابع: تحريم امتهانه والتأكل به ٢٨٧
المبحث الخامس: الطهارة لقراءة القرآن ومس المصحف ٢٩١
المبحث السادس: الأمر بتلاوته وتعلمه وتعليمه والعمل به ٣٠١
المطلب الأول: الحث على تعلم القرآن وتعليمه، وأثر ذلك على حفظه ٣٠٢
الفرع الأول: ترتيب الثواب العظيم على تلاوته ٣٠٤
الفرع الثاني: الحث على طلبه وتعلمه ٣٠٤
الفرع الثالث: إيجاب حفظ القرآن عن ظهر قلب ٣٠٥
الفرع الرابع: تقرير رفعة حملة القرآن ومعلميه ٣٠٧

الموضوع | الصفحة

الفرع الخامس: الأمر بقراءة القرآن حتى مع وجود الشاغل ٣٠٩
المطلب الثاني: وجوب صيانة القرآن عن الخطأ في قراءته ٣١٠
المطلب الثالث: وجوب العمل بالقرآن والخضوع لأحكامه ٣١٤
المطلب الرابع: تحريم هجره، ووجوب تدبره ٣١٩
المبحث السابع: تحريم الجدال في آياته واتباع ما تشابه منه ٣٢٥
المطلب الأول: الترهيب من الجدال في آياته ٣٢٦
المطلب الثاني: وصف المكذبين للقرآن بالجدل والخصومة ٣٢٨
المطلب الثالث: علاقة تحريم الجدال في القرآن بحفظ حرمته ٣٣٠
المطلب الرابع: تحريم اتباع المتشابه منه ٣٣٣
الفصل السادس: **حفظ القرآن عن افتراءات المكذبين** ٣٤١
المبحث الأول: أساليب القرآن الكريم في الرد على المكذبين ٣٤٣
المبحث الثاني: رد افتراءات مكذبي القرآن على القرآن ٣٤٩
المطلب الأول: رد افترائهم أنَّ القرآن سحر أو شعر أو كهانة ٣٥٠
المطلب الثاني: الرد على طلبات المكذبين التعنتية ضد القرآن ٣٥٦
الفرع الأول: طلبهم للهلاك علامة على أحقية القرآن ٣٥٦
الفرع الثاني: طلبهم لخوارق العادات ٣٥٧
الفرع الثالث: طلبهم أن ينزل مع الرسول ملك ٣٥٩
المطلب الثالث: رد وصفهم القرآن بالإفك والكذب وأساطير الأولين ٣٦٤
المطلب الرابع: رد افتراء المكذبين أنَّ القرآن ليس من الله تعالى ٣٦٨
المبحث الثالث: رد افتراءات مكذبي القرآن على الرسول البشري والملائكي ٣٧٥
المطلب الأول: رد اتهامهم النبي ﷺ بالسحر أو الجنون أو الكهانة ٣٧٦
المطلب الثاني: رد زعمهم أنَّ النبي ﷺ ليس كفؤًا لحمل القرآن ٣٧٩
المطلب الثالث: تنزيه الله لرسوله ﷺ عن وصفهم له بالافتراء والكذب ٣٨٣
المطلب الرابع: إبطال رد اليهود للقرآن بزعم عداوة جبريل ﷺ ٣٩٢

الموضوع | الصفحة

الفصل السابع: ثمرات حفظ القرآن ٣٩٥
مدخل ٣٩٦
المبحث الأول: يقينية القرآن ٣٩٧
المطلب الأول: يقينية القرآن أعلى مراتب اليقين ٣٩٨
تعريف اليقين ٣٩٨
تعريف يقينية القرآن ٣٩٨
يقينية القرآن أعلى مراتب اليقين ٣٩٩
المطلب الثاني: تنزيهه عن الشك والريب ٤٠٢
المطلب الثالث: شهادة الله ملائكته بحفظ القرآن ٤٠٨
المبحث الثاني: خلود القرآن هداية للعالمين ٤١١
مدخل ٤١٢
المطلب الأول: صمود القرآن أمام التحديات ٤١٤
المطلب الثاني: تهيؤ أسباب الخلود للقرآن ٤١٦
المطلب الثالث: رفع القرآن قبيل الساعة لا يناقض خلوده ٤٢١
المطلب الرابع: رفع القرآن قبيل الساعة جزء من منظومة حفظه وصونه ٤٢٧
المطلب الخامس: حديث القرآن عن خلوده وبقائه ٤٢٩
الفرع الأول: هيمنة القرآن على الكتب الإلٰهية ٤٢٩
الفرع الثاني: تكفل الله تعالى بدوام حفظ القرآن ٤٣٤
الفرع الثالث: التحدي الدائم والمستمر أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بطائفة منه ٤٣٤
الفرع الرابع: توريث الله تعالى القرآن للأمة الإسلامية ٤٣٥
المبحث الثالث: عظمة القرآن وعلو مكانته ٤٤١
مدخل ٤٤٢
المطلب الأول: تعظيم الآيات للقرآن الكريم ٤٤٤
الفرع الأول: ضرب الأمثال لبيان عظمة القرآن ٤٤٤

الموضوع	الصفحة

الفرع الثاني: تعظيم القرآن في فواتح السور ٤٤٦
الفرع الثالث: تعظيم القرآن في خواتم السور ٤٤٧
الفرع الرابع: وصف القرآن بأوصاف العظمة ٤٤٨
الفرع الخامس: نسبة القرآن إلى الله تعالى ٤٥١
الفرع السادس: القَسَم بالقرآن، على عظمة القرآن وحفظه ٤٥٤
المطلب الثاني: علاقة حفظ القرآن بعظمته ٤٥٩
المطلب الثالث: فضل أهل القرآن وعلو مكانتهم ٤٦٠
الفرع الأول: من هم أهل القرآن؟ ٤٦٠
الفرع الثاني: سمات أهل القرآن ٤٦١
الفرع الثالث: علو مكانة أهل القرآن ٤٦٥
الفرع الرابع: المؤلفات في فضل القرآن وحملته ٤٧٤
الخاتمة ٤٧٧
قائمة المصادر والمراجع ٤٨٧
فهرس الموضوعات ٥٣٥
ملخص الرسالة باللغة العربية ٥٤٣
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية ٥٤٦

ملخص الرسالة باللغة العربية

عنوان الرسالة:

آيات حفظ القرآن الكريم ـ دراسة تفسيرية موضوعية

اسم الباحث:	إبراهيم بن عباس ناصر الشغدري.
المرحلة:	الماجستير.
المشرف:	د. شريف بن علي أبو بكر.
المناقشان:	أ.د/ بدر بن ناصر البدر، د. زكي صبري محمد.

اقتصر البحث في هذه الرسالة على دراسة الموضوع من خلال القرآن الكريم، وفقًا للمنهجية المتبعة في التفسير الموضوعي، كما يشمل البحث الآيات التي حملت معاني حفظ القرآن باللفظ أو المعنى، ويشمل صور الحفظ المتعددة الواردة في القرآن، كحفظه في نزوله وبعد نزوله، وحفظ ألفاظه ومعانيه، وحفظه الشرعي؛ أي: التشريعات التي حفظ الله بها حرمته.

ويهدف البحث إلى إظهار حفظ القرآن الكريم، من خلال آياته الكريمة، وبصوره المتعددة، التي وردت في القرآن الكريم، ودراسة الآيات المتعلقة بالموضوع دراسة قرآنية موضوعية.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على: مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة، وفهارس، وهي على النحو **التالي**:

المقدمة ثم التمهيد: في تعريف الحفظ والقرآن.

الفصل الأوّل: حفظ القرآن في تنزلاته.

الفصل الثاني: حفظ ألفاظ القرآن ومعانيه.

الفصل الثالث: حفظ القرآن عن المعارضة والتناقض والاختلاف.

الفصل الرابع: دلالة أسماء القرآن وصفاته على حفظه.

الفصل الخامس: الحفظ الشرعي للقرآن الكريم.

الفصل السادس: حفظ القرآن عن افتراءات المكذبين.

الفصل السابع: ثمرات حفظ القرآن.

ثم الخاتمة، ثم قائمة المراجع والمصادر، ثم الفهارس اللازمة للبحث.

وتوصل الباحث في نهاية البحث إلى نتائج من أهمها ما **يلي**:

١ ـ أنَّ حديث القرآن عن حفظه وصونه حديث شامل لكل أنواع الحفظ التي حفظ بها القرآن، واضح في الدلالة عليها، صريح في تقرير حقيقتها؛ حيث أوضح بجلاء شمولية الحفظ وديمومته، وفي كل مراحل نزول القرآن من السماء إلى الأرض، وحفظه لفظًا ومعنًى، وخلوده بعد ذلك محفوظًا.

٢ ـ هيأ الله تعالى للقرآن أسباب الحفظ الكونية والشرعية؛ فالكونية ما قدره ﷻ من أقدار كونية لحفظه؛ كعصمة الرسول الملكي والرسول البشري. والتشريعات ما أمر به من أوامر أو نهى عنه من نواه حفظ بها حرمته، وتلتقي الأسباب الكونية والشرعية في توفيق الله تعالى للرسول ﷺ والأمة بحفظ القرآن الكريم تلقيًا وتبليغًا وتفسيرًا، وهو وعد إلٰهي متحقق في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.. الآية

[فاطر: ٣٢]، حيث ذكر ﷻ أنَّه سيبقي في الأمة من يقوم بحق القرآن حفظًا وعملًا.

٣ ـ أنَّ القرآن قد أشار إشارة إلى رفعه قبيل الساعة إلى السماء في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ...﴾ [الاسراء: ٨٦] الآية، وأنَّ ذلك الرفع جزء من منظومة حفظ القرآن الكريم؛ لاستدلالات ذكرتها عند الحديث عن ذلك.

٤ ـ أنَّ الكفالة الإلٰهية بحفظ القرآن بنيت على كمال صفات القوة والقدرة وسعة العلم والإحاطة التي اتصف الله ﷻ بها ملتقية في ذلك مع صادق الوعد بحفظه وصونه.

٥ ـ ليس للباطل وأهله تأثير الْبَتَّة على القرآن، بل الأمر على عكس ذلك؛ فإن للقرآن التأثير الدامغ على الباطل فيكسره ويكشف زيفه ويعري زخارفه.

٦ ـ أنَّ الله تعالى شرع في القرآن الكريم الكثير من التشريعات القرآنية العظيمة والمقصودة لحفظ القرآن وصونه.

٧ ـ أنَّ حفظ القرآن الكريم أول تشريع قرآني وبدأت به في أول آية نزلت في القرآن، وأمرت به أول كلمة في القرآن وذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]؛ فلأن الرسول ﷺ لا يقرأ ولا يكتب كان معنى الفعل (اقرأ)؛ أي: احفظ القرآن واجتهد في تلقيه، وهذه الأولوية في هذا التشريع تعطي نتيجة أن حفظ القرآن أس التشريعات والأصل الذي يضمن لها بقاءها والعمل بها.

وقد نوقشت الرسالة بتاريخ ٣ من شهر رجب الموافق ١٤٣٣هـ، ٢٤/٥/٢٠١٢م، وحصل الباحث على امتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

In the Name of Allah, the Most Gracious,the Most Merciful

Kingdom of Saudi Arabia

Ministry of Higher Education

Imam Mohammed Bin Saud Islamic University

College of Religion Fundamentals

Section of Koran & Its Sciences

Abstract (in English)

Title: Keeping Holy Quran (An Objective Quranic Study)

Researcher: Ibraheem bin Abbas Naser Al-Shaghdari.

Degree: M.A

Supervisor: Dr. shareef bin Ali Abu baker.

Committee: Prof. Badr bin Naser Al-Badr.

Dr. Zaki Sabri Moh'd.

Alì praise is due to Allah and peace and blessing be upon his messenger

and his companions everyone.

Allah, the Almighty says: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

«This Verse is a challenge to mankind and everyone is obliged to believe in the miracles of this Qur'ân. It is a clear fact that more than 400 years have elapsed and not a single word of this Qur'ân has been changed, although the disbelievers tried their utmost to change it in every way, but they failed miserably in their efforts. As it is mentioned in this holy Verse: «We will guard it.» By Allâh! He has guarded it. On the contrary, all the other holy Books [the Taurât (Torah), the Injeel (Gospel).] have been corrupted in the form of additions or subtractions or alterations in the original text».

Research Delimitation:

The study is limited to the topic at hand through Holy Qur'an in decided to the methodology followed on objective interpretation. The research include Qur'anic verses through which senses and vocabulary are reserved. It also include multi- reservation phases mentioned in the Nobel transcript like keeping it before and after it was oracle to the prophet,- keeping its regulations and rules.

Aims:

1- Revealing the processes of keeping Nobel Quran.

2- Investigating related verses.

Research plan:

It includes: Introduction, preface, seven chapters, epilogue, and indices.

Consider:

Introduction: This, in turn, includes: research objectives,rationale, research limitation, purposes (research significance), review of related studies (information background), research contribution, methodology.

Preface: It covers:

1- Definitions.

2- Synonymous terminology.

Introductory chapter: keeping Nobel Quran through oraculation. It includes three sections:

1- Keeping Holy Quran in reserved transcript.

2- Keeping Holy Quran in the glamorous world.

3- Keeping Holy Quran in the prophetic mind.

Chapter 2: It also includes 3 sections:

1- Keeping Nobel Quran's vocabulary and senses from deviation.

2- Keeping Nobel Quran from falsification.

3- Keeping Nobel Quran devil's manipulation.

Chapter 3: Keeping Nobel Qur'an from contradiction and opposite arguments. This chapter incudes 3 sections:

1- Explanation of keeping Qur'an from argumentative viewpoints.

2- Stage of challenge and disability of disbelievers to object Nobel Qur'an.

3- Keeping Nobel Qur'an from contradictory and deviant point of views.

Chapter 4 : Significance of Qura'nic titles and description on reservation. This chapter includes sections:

1- Names and titles used by Allah to describe Himself as well as His Nobel book.

2- Titles indicated keeping the Holy book by attaching them to Allah the Almighty.

3- The significance of Qur'anic titles and other descriptive features on keeping it.

Chapter 5 : keeping Qur'anic regulations. This chapter includes sections:

1- Forbidding sitting among mockers of Holy Qur'an.

2- Ultimate listening and attention.

3- Seeking preverenge during recitation.

4- Forbidding humiliating it or using it as ameans through which food is eaten.

5- Complete cleanliness when reciting it or touching it.

6- Recitation, teaching, learning, and follow -up its rules.

7- Forbidding any arguments in its verses and following what may make us confused / sceptic.

Chapter 6: Keeping Nobel Quran from lies of disbelievers. This chapter includes the following sections:

1- Quranic method to falsify disbelievers.

2- Rejoinders of disbelievers on Quranic rebuttal arguments.

3- Rejoinders of disbelievers on Prophetic and Lord's messengers.

Chapter 7: Good conclusions of results of keeping Holy Quran. This chapter includes sections:

1- Surity and certainty of Nobel Quran.

2- Quran: The guidance of the worlds.

2- Greatness of a Nobel Quran and its high ranking.

Finally, the epilogue which includes the most important results and recommendations followed by references, resources and all necessary indices. Taken together, the study concludes:

1- The meaning of keeping Holy Quran is comprehensive which includes all starts of reservation and keeping (i.e., before and after it was sent to earth).

2-.Allah prepared all what helps keep His book be it through his angles, prophet, people or the whole universe.

Allah, the Almighty says:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

«Then We gave the Book (the Qur'ân) as inheritance to such of Our slaves whom We chose (the followers of Muhammad ﷺ). Then of them are some who wrong their ownselves, and of them are some who follow a middle course, and of them are some who are, by Allâh's Leave, foremost in good deeds. That (inheritance of the Qur'ân) - that is indeed a great grace».

3- Quran indicated that it will be lifted to the heaven before the Day of Recompense.

Allah, the Almighty says:

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

«And if We willed, We could surely take away that which We have revealed to you (i.e. this Qur'ân). Then you would find no protector for you against Us in that respect.. Except as a Mercy from your Lord. Verily His Grace unto you (O Muhammad ﷺ) is ever great.

4- The falsification of disbelievers is Quranic methodology.

5- Keeping the Nobel Quran doesn't only include people and other creatures; rather, it also covers places wherein it is put, etc.

Allah, the Almighty says: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ Nay! This is a Glorious Qur'ân, (Inscribed) in Al-Lauh Al-Mahfûz (The Preserved Tablet)!

And He says: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ «so let not your breast be narrow therefrom, that you warn thereby; and a reminder unto the believers

6- The processes of keeping Quran is tackled by Allah (the creator) which, definitely, means that it is based on the ultimate protection and entire perfection.

7- Many legislations have been legalized by Allah to keep His book.

8- Keeping Holy Quran was the first what Prophet Muhammad was asked to do («Recite in the name of your Lord who created all things»).

Allah, the Almighty says: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ Read! In the Name of your Lord Who has created (all that exists).

The thesis was discussed on rd of Rajab 433, (4.0th.012), and student has been given the excellency with first honorable rank.

The author would like to acknowledge his indebtedness to his teachers and colleagues in the Imam Mohammed bin Saod Islamic University and to all those who helped him in one way or another by giving him advice or moral support.

Finally all praise be to Allah, and may His peace and blessings be upon His Prophet Muhammad, his family and his companions.

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

دار ابن الجوزي 8428146
9 786038 298978